أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

عدد خاص

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
العدد (٥٦٩) محرم ١٤٣٤ هـ - نوفمبر / ديسمبر ٢٠١٢ م

كيف ننتصر لرسول الله ﷺ؟

السيرة النبوية.. ببليوجرافيا فكرية

كيف أعلم أسرتي حب رسول الله ﷺ؟

سورة الحجر والفيلم المسيء للرسول ﷺ

موسوعة الرد على الشبهات الموجهة ضد الإسلام

هدية العدد: التقويم الهجري - ملحق بالإنجليزية

مجانًا مع العدد «براعم الإيمان»

محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس، مع ضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

الوعي الإسلامي

الافتتاحية

إنا كفيناك المستهزئين

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

هذا وعد من الله لرسوله ﷺ أن ينصره ويكفيه، وأنه لن يضره من استهزأ به، وأن مقامه الكريم، وقدره العظيم، أسمى وأرفع من أن تصل هذه السخريات للنيل منه، فهو المبعوث رحمة للعالمين، فعلينا أن نعرّف المسلمين وغيرهم بسيرته وأخلاقه، ومزايا شريعته وهديه، من خلال وسائل الإعلام، تبصرة للناس، وحجة على المعاندين والجاحدين.

فإن الاشتغال بهدي النبي ﷺ ودراسة سيرته، ونشر محاسنه، من أفضل القربات، وأعظم الطاعات، وهو من خير ما أفنيت فيه الأعمار، وبذلت فيه الأوقات، واستنفرت له الطاقات، حيث اصطفى الله رسوله ﷺ من أشرف الخليقة، وجعله معنى الكمال على الحقيقة، فنقله في أكرم الأصلاب وأعظمها، وأودعه في أشرف البطون وأكرمها، أبرزه الله في حسن خَلق وخُلق، لا يفي بوصفه بحث، وليس عند الخلق ما يضيفون في الثناء بعد ثناء رب السموات والأرض، فهو معروف بالصدق والأمانة، والعفاف والصيانة، كما قالت خديجة رضي الله عنها: «كلا والله، ما يحزنك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»، وقد أدى الأمانة، ونصح الأمة، أرسله الله تعالى على حين فترة من الرسل، والناس في كفر بواح، وشرك صراح، وفساد عام، فجاء بالهدى المبين، فأزاح تلك العلل، وصدع بما جاء به من الحق، فكان أول ما صدع به، الأمر بعبادة الديان، والكفر بالطواغيت والأوثان، لتكون العبودية لله، والأنفس محررة من عبودية من سواه، بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، ويبين لهم ما أنزل الله من الكتاب، وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأمرهم بالاتباع، ونهاهم عن الابتداع، فهو أصل الإيمان وحلاوته، فكل من شنأه وأبغضه، وعاداه واتهمه، فإن الله يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره، ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: ١٠).

ومهما ذكرنا من موجبات محبته وعظمته، فلن نوفيه حقه، ولقد بين القرآن الكريم هذه الحقوق.

ولقد تجلت روائع المحبة والتعظيم حقًّا عند من عرفوا قدره حق المعرفة، أهل السبق بالإيمان، صحابته الكرام، ولاشك أن هذا النموذج كان أثرا من آثار عظمته، لأنه جاء بنور التوحيد، والانقياد إلى الملك المجيد، داعيًا إلى الله بحاله ومقاله، دالًّا عليه بحسن دعوته وجميل أفعاله.

ولقد تجلت أسباب النصر، من الحب الصادق، والتضحية بالنفس، فداء للرسول ﷺ، فعلى كل غيور أن يسلك هذا الطريق، طريق السيرة العطرة، ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ﴾ (التوبة :٤٠).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٩

محرم ١٤٣٤ هـ

العام الخمسون

نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية

للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية- ٤ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

موضوع الغلاف

إنه ﷺ فخر للبشرية جمعاء.. فمنذ أربعة عشر قرنا يقف وراءه أكبر الفلاسفة وأعظم المفكرين وأشهر العباقرة وأذكى رجال العلم الذين زينوا سماء الفكر عندنا.

كيف ننتصر لرسول الله ﷺ؟

الإسلاموفوبيا.. أسباب البروز وإمكانات التجاوز

خطبة الوداع.. النموذج الأسمى للتعايش الإنساني

قرطبة.. أرض الفرسان

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم . - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار •الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية: ٥ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٥ ريالات • الإمارات : ٥ درهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن:دينار واحد • مصر : ٢ جنيه •اليمن : ١٠٠ ريال •لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سوريا: ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • الجزائر: ٤ دينار جزائري •تونس: دينار واحد تونسي • المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني • باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية / إنا كفيناك المستهزئين	فيصل يوسف العلي
٦	نبي الرحمة / رسول الرحمة.. سامحهم فإنهم لا يعرفونك	د.محمد سعيد باه
٨	نبي الرحمة / شعاع من نبي الرحمة	السنوسي محمد
١١	نبي الرحمة / الفيلم المسيء للإسلام	جاك صبري شماس
١٢	نبي الرحمة / سورة الحجر والفيلم المسيء للرسول ﷺ	محمد شلبي
١٥	رثاء / إلى جنة الخلد يا «أبو بلال»	التحرير
١٦	نبي الرحمة / كيف ننتصر لرسول الله؟	مريم عبدالحميد- هداية محمد
٢٠	نبي الرحمة / انفعالاتنا.. كيف نضبطها؟	محمد حبيب - هاجر حسونة
٢٤	نبي الرحمة / الرسول والعلم	إبراهيم نويري
٢٧	نبي الرحمة / هل سجلنا موقفا في صفحة وطويناها؟	د.إيمان عادل عزام
٣٠	نبي الرحمة / في حضرة الحبيب ﷺ	إيمان القدوسي
٣٢	نبي الرحمة / البيان النبوي.. تفرد وخصوصية	د.خالد فهمي
٣٦	نبي الرحمة/ الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية	محمد عرابي
٣٩	نبي الرحمة / القرن الهجري	عمر زهر الفل
٤٠	نبي الرحمة / الإسلاموفوبيا.. أسباب البروز وإمكانات التجاوز	محمد شتوان
٤٤	نبي الرحمة / نحو ردة فعل إيجابية تجاه الإساءة	عبدالعزيز قاسم
٤٦	نبي الرحمة / الخلق الكريم	مياسة النخلاني
٤٨	لغة وأدب/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٥)	عبدالله آيت الأعشير
٥٠	نبي الرحمة / مسيرة خاتم النبيين ﷺ	علاء الدين عبدالفتاح
٥٢	نبي الرحمة / موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام	مريم عبدالحميد
٥٤	نبي الرحمة / كيف أعلم أسرتي حب رسول الله؟	د.آندي حجازي
٥٧	نبي الرحمة / لماذا الإسلام؟	محمود عبدالرحيم
٦٠	نبي الرحمة / آن ماري شيمل عميدة الاستشراق الألماني وصديقة الإسلام	أحمد رشاد
٦٣	نبي الرحمة / في مديح سيدنا رسول الله ﷺ	محمد عباس
٦٤	نبي الرحمة / السيرة النبوية.. ببليوجرافية منتقاة للأعمال الفكرية	فاطمة الزهراء محمد عبده
٦٨	نبي الرحمة / خطبة الوداع.. النموذج الأسمى للتعايش الإنساني	كمال خليل
٧١	نبي الرحمة / حوار مع الدكتور خالد حنفي	محمد ثابت
٧٤	ببي الرحمة / بعيدًا عن مظاهرات العنف.. كيف نعلن حبنا لرسولنا ﷺ؟	بشرى شاكر
٧٨	نبي الرحمة / المستشرقون والقرآن والنبي ﷺ	السيد المخزنجي
٨٢	تفسير / الفروق الفردية في كتاب الله	د.عبدالله رمضاني
٨٤	منارات/ قرطبة.. أرض الفرسان	دار الإعلام العربية
٨٨	فتاوى الوعي	محمود محمد الكبش
٩٠	الوعي نت	خالد محمد خلاوي
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	من غرر الحكم	بشار بكور
٩٨	مسك الختام/ في طريق الهجرة	د.محمد بابا عمي

كلمة العدد

فخر البشرية

إن تسليط الأضواء على شخصية الرسول ﷺ السامية، وشرحها وبيانها، ثم تقديمها كمنقذ للبشرية، وكإكسير للمشاكل المستعصية على الحل، وللأمراض غير القابلة للشفاء، وإظهار هذه الشخصية السامقة وسيرتها بما هي أهل له كان رغبة ملحة لديّ.

إنه ﷺ فخر للبشرية جمعاء.. فمنذ أربعة عشر قرنًا يقف وراءه أكبر الفلاسفة وأعظم المفكرين وأشهر العباقرة وأذكى رجال العلم الذين زينوا سماء الفكر عندنا.. يقفون وراءه خاشعين قد عقدوا أيديهم أمامهم وهم يخاطبونه ويقولون: «أنت الإنسان الذي نفخر بانتسابنا إليه».

ويكفي للاستدلال على مدى عظمته ﷺ بأنه على الرغم من كل عوامل الهدم والنخر التي أصابت عصرنا، فنحن لا نزال نسمع من فوق المآذن أصداء نداء «أشهد أن محمدًا رسول الله»، ولا نزال نشاهد كيف أن الروح المحمدية تفتح في كل مكان آفاق السمو نحو الأعالي، فيغمرنا الوجد والشوق خمس مرات كل يوم في عالم الروح.

ونستطيع أن نشير إلى دليل عظمته فنقول بأنه على الرغم من كل هذا العمل المتواصل لأعداء الله في الداخل والخارج في الإفساد والإضلال، فإننا نرى حتى في هذه الأيام كيف أن العديد من الشباب في عمر الزهور يتراكضون نحوه، ويحومون حوله مثلما تحوم الفراشات حول النور.

وهذا أمر فريد لا نجد له مثيلاً في العالم؛ فالزمن لم يستطع أن يمحو من قلوبنا ومن صدورنا أي حقيقة من الحقائق العائدة له ﷺ، ولا أن يبليها.. أجل، فهي حقائق غضة ندية ونضرة على الدوام.

إن الزمن يتقادم ويشيخ، وإن بعض المبادئ والأفكار تتعفن وتتهاوى، أما منزلة الرسول محمد ﷺ فستبقى متفتحة في الصدور كأكمام الورود العبقة أبد الدهر، وستبقى نضرة في القلوب على الدوام.

محمد فتح الله كولن

الاشتراكات • داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

رسولَ الرحمة.. سامِحْهم فإنهم لا يعرفونك! (١)

د.محمد سعيد باه - أستاذ جامعي في السنغال

فوق كوكبنا اليوم ما يربو على ألف مليون ونصف من الأنفس يدينون لله بالوحدانية ويوالون محمدًا ﷺ بالطاعة. وفي الصف المقابل جماهير يتبعون آلهة شتى، وآخرون على وجوههم هاموا، لكل طرائق قدد في الاتباع واختيار الأنموذج، لكن أفيهم من يضاهي محمدًا في حيازة خلال الخير وصدق الحدب• على بني البشر؟

نستجلي آفاق هذا التساؤل في اللوحات التالية:

الشعار والدثار

لا أحد قيل له قبلك، ولا يقال لأحد بعدك: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة: ١٢٨). واها! لقد وجدتها! «رؤوف رحيم»، هذا هو عنوانك ودثارك وشعارك وأنشودتك الصادحة:

وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء (٢)

وصفوك فأخطأوا

حين قالوا «رسول المسلمين» لأني سمعت الله بعد أن بشر بمقدمك خيرة موكب رسل الله، يناجيك: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا﴾ (سبأ: ٢٨).

الحقوق المقدسة

ختمت للبشرية خارطة طريق سلخت عمرًا مباركًا تحكم رسمها، وقفت وسط جموع لبت نداء الحياة التي أطلقتها، على تلك التلال الجرداء التي تعطرت بخطى الخليل ﷺ، في تلك اللحظة الفارقة حين انطلقت عقارب التاريخ، تعلمهم جوامع الخير كله:

«الحقوق المقدسة» التي لا يجوز انتهاك بند منها، في زمن كانت «الحضارات» شرقًا وغربًا ، تتلهى بإراقة دماء البسطاء:

«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم...»، إنها أشمل حصانة لهذا الكائن الهش في وجه الطواغيت، إحدى المعجزات:

أخوك عيسى دعا ميتًا فقام له
وأنت أحييت أجيالًا من الرمم (٣)

أنت من سيّج الحمى الآمن

في جنبات بكة أحكم الحصار من ضاقوا ذرعًا بنداء الخير العميم الذي تجاوبت أصداؤه بين التلول، ألقيت نظرة عجلى على خارطة العالم فوقع بصرك على ذلك الربع الآمن في الشاطئ الآخر: «فإن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد».

جعلت كل بيت يدندن فيه الموحدون باسم رب الأكوان ملجأً آمنًا مهما تباينت

• حَدِبَ فلان على فلان حَدَبًا ، أي : عطف عليه وحنا.

الشارات ولو في المعتقد:
﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة: ٦).

قلب امتلأ شفقة حتى فاض

يوم لمحت نعشًا مذهوبًا به في رحلة اللاعودة، هببت واقفًا تحية للإنسان، قالوا: إنها جنازة يهودي، فسارعت إلى تصحيح تصور معوّج لو ترك لسار سنة سيئة في تمزيق شمل البشرية: أليست نفسا»؟!
هذا هو ميزانك المنصوب: ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ (النساء: ١).
ولم لا! فأنت العنوان الضخم الذي يختزل الخير كله دقه وجله أوله وآخره: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

سمو في بشرية وتواضع في نبوة

كنت أمينا مع الله ومع الناس، قلت لهم في الذي أنزل عليك لتقرأه على الناس على مكث، حين طالبوك بما ليس مشمولاً في وظيفتك البانية: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ (الكهف: ١١٠).
وقف أمامك خصوم يجادلونك فما زدت أن هتفت مستجيبا لأمر من أولاك أنعمه: ﴿إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾ (سبأ: ٤٦).
بنيت حصنا للحريات يسع سكان المعمورة ولو أنهم دخلوا في السلم كافة كان حماهم، وأطلقت تلك الأنشودة التي تفجر الأشواق إلى الانعتاق والانطلاق نحو الفضاء الطلق حيث لا جبر ولا قيود، ألم تك تتلو ليل نهار، وأنت تخاطب أقوامًا عشش الباطل في أدمغتهم:
﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (سبأ: ٢٤).
لم تك تشك- حاشاك وأنت المستيقن- لكنك آثرت رسم معالم منهج هدى!

بنيت للإنسان بيت العز

قبل مجيئك لهذا العالم المنكوب كان الظلم والظلام يموجان فيه موج البحر! في طيبة، رسمت دوائر للأخوة بعضها وراء بعض، دبجت لهم دستورًا حافظًا للحقوق ومقسمًا للحظوظ مرسيًا أركان العدالة والمساواة على أساس صحة الانتساب لآدم:
«هذا كتاب من محمد النبي، بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين (وكذلك نص على بطون اليهود كلها)، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم... وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم» (٤).

يا صاحب المشكاة هل من شعاع؟

كانت رسالتك، وستظل، نقطة مشعة وسط ذلك الركام من الجهالات في عالم متحطم الأضلاع، يضيع الكائن البشري في جنباته وتهدر حقوقه، أما أنت، يا صاحب المشكاة التي بددت دياجير الحياة، فقد جعلتها سياج أمن تعجز كل دساتير ومواثيق الأرض أن تجاريه:
«من آذى ذميًّا فأنا خصمه» (رواه أبوداود).

فككت عقال العقول فتفتقت

«تتفكروا»، بهذه الكلمة المجلجلة رفضت غلق أبواب العقول وسد منافذ المنطق، بل ظللت تهتف على البشر مناديا لهم إلى تخصيب هذه الهبة الربانية الرائعة (العقل) وروافدها كي لا يسيروا وراء كل ناعق يوردهم الهلاك.

أمنية المهاتما

ولي كل يوم أمنية! أن أقلب صفحة من سيرتك العطرة كما قال حكيم الهند المهاتما غاندي حين أسرته تلك الخلال العاليات:
«بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول محمد وجدت نفسي بحاجة للتعرف أكثر على حياته العظيمة، إنه يملك بلا منازع قلوب ملايين البشر».
أما وكيف ملكت هذه القلوب لملايين البشر؟ لأنك قلت- وقولك عقيدة وجهاد: «يأيها الناس إنما أنا رحمة مهداة!» (رواه الحاكم).

من ناجى جلمودًا أصم غيرك؟

قلت لقرية أخرجك أهلها (مكة) وعينك ذارفة لدمعة حرى ووجدانك هائج: «إنك لأحب بلاد الله إلي وأحب أرض الله إلي ولولا أني أخرجت منك ما خرجت».
هل ناجى أحد قبلك جلمودًا أصم بهذه الرقائق: «وهذا أُحُد وهو جبل يحبنا ونحبه»؟
حتما: لا، وربي!

سؤال صنديد فارسي

سؤال طرحه قبلُ صنديد فارسي لأحد سفرائك، فكان أن فاجأ العالم بتلك الإجابة التي تتهادى اتضاحًا:
«لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

أعظم بيوم جاء يحمل رحمة
للعالمين وعزة ورقيًا (٦)

اتبعناك لأنك النموذج الأمثل

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الأحزاب: ٢١).
اتبعناك لأنك علمتنا وزكيتنا وغرست فينا الحب لله وما خلق الله من شيء:
﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة: ٢).
اتبعناك، ولم لا! أنت من وجهتنا إلى أن نمعن النظر في جميل ما خلق الله مبدع الأكوان: ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ (الأنعام: ٩٩).

الهوامش

١- دهمتني تداعيات «الفيلم» وأنا أخط أولى حروف مقالي: «لماذا يهملون عرض لوحات الخير والجمال؟» مستلهما السيرة العطرة.
٢- لأمير الشعراء.
٣- لأمير الشعراء.
٤- انظر نص الصحيفة في سيرة ابن هشام.
٥- صحيفة المدينة، المصدر نفسه.
٦- للشاعر الليبي محمد البشير المغيربي، نقلا عن السيرة النبوية للدكتور علي محمد الصلابي.
٧- للشاعر السنغالي الشيخ موسى كاهْ، من فحول الشعراء الأفارقة، نظم بالعربية وباللغات الإفريقية وبالحرف القرآني.

شُعاعٌ من نبيِّ الرحمة صلى الله عليه وسلم

السنوسي محمد السنوسي
كاتب متخصص في الفكر الإسلامي

لا شك أن المرء مهما بلغ من فصاحة القلم واللسان، ومهما أوتي من دقة التعبير وحسن البيان، ومهما تحلَّى بنبل المقصد والغاية؛ فإنه يُقبل حين يقبل هيَّابًا وجِلا مشفقًا وهو يحاول أن يخط ولو سطورًا قليلة عن النبي ﷺ وأخلاقه ورحمته..

إذ كيف للنفس المثقلة بالذنوب والكدر، أن تصِفَ صاحبَ الخلق العظيم، وصاحبَ السمو البشري الذي لا يدانيه سمو؟! وكيف للبصر الذي لا يمتد أبعد من أمتار معدودة أن يحيط بأشعة الشمس النافذة؟!

إن غاية أمل المرء- حينئذ- أن يحوم حول هذا النبع الفيّاض، وأن يُشرِّف عقله وقلبه وقلمه بسيرة النبي ﷺ العطرة، حتى لو كان عاجزًا- وهو كذلك بالفعل- أن يوفيه ﷺ مِعْشَارَ ما يستحقه.

أما عن حق النبي ﷺ من الثناء والتبجيل والتوقير والنصرة، فيكفي أن نقول: لقد وصفه ومدحه ونصره مَن اصطفاه وصنعه على عينه، وأدّبه فأحسن تأديبه، وهو الله سبحانه، فأغناه عن كل مدح وتبجيل، ورد عنه كل كيد وتربص واستهزاء.. فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وبشَّره وطمأنه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٥).

فنحن الذين نعطر ألسنتا بذكره ﷺ، ونحن الذين نتشرف بالكتابة عنه وبتعريف الناس به، ونحن الذين بحاجة ماسة إلى تجلية بعض من عظمة أخلاقه وإشعاعات رحمته، وسط هذه الظلمات التي تحيط

بسفينة البشرية..

رحمته ﷺ من رحمته سبحانه:

إن صفة «الرحمة» صفة جامعة لكل الشمائل الإنسانية، ولجميع الفضائل التي تنشدها البشرية في «النموذج الكامل» من الرجال، فليس أدل على الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة من صفة «الرحمة»، بحيث إذا وصف بها إنسان، كان ذلك يعني أنه متصف بغيرها من الصفات والفضائل.

ولذلك استحقت «الرحمة» أن يوصف بها النبي ﷺ وبصيغة تفيد الحصر والقصر، وأن تكون عنوانًا دالاً وجامعًا على رسالته الخاتمة؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقال ﷺ عن نفسه: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»(١).

وقد ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره إشارة مهمة، وهي أن الله سبحانه خصَّ محمدًا ﷺ في القرآن الكريم بوصف الرحمة، ولم يصف به غيره من الأنبياء، جاء ذلك في أكثر من موضع كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، أي: برحمة جبلك عليها وفطرك بها، كنتَ لهم لينًا(٢).

فرحمته ﷺ هي فيض من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وهي علامة على لطفه سبحانه بعباده، فلأن الله رحيم بخلقه، يريد لهم الخير، ويكره لهم العنت والمشقة؛ أرسل إليهم خاتم رسله برسالته الخاتمة.. فهو ﷺ - في تعريف موجز- الرحمةُ الذي جاء بشريعة كلها رحمة من عند الرحمن الرحيم.

والحال هكذا، فلم يكن عجبًا أن يجمع الله لنبيه اسمين من أسمائه الحسنى، أحدهما مشتق من الرحمة، فقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

رحمةٌ بلا حدود:

لم تكن الرحمة عند النبي ﷺ مجرد فضيلة من الفضائل، يَجمُل أن يتصف بها النبي الأكرم ومثالُ الإنسانية الأرفع؛ بل كانت نبعًا فياضًا يسقي كل من يمر بطريقه، وكانت مصدر إشعاع دائم يصيب بدفئه كلَّ الناس، حتى غير المؤمنين.. ويرسل لمساته الحانية في كلِّ المواقف، حتى في الحروب والغزوات!!

كان النبي ﷺ يداعب الأطفال، ويسلم عليهم، ويقبِّلهم.. وقال لمن استنكر ذلك: «أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّه نَزَعَ من قُلُوبِكُمْ الرَّحمَةَ؟!»(٣).. يسمع بكاء الصبي فيسرع في صلاته؛ رحمةً به وبأمه(٤).

بل كان ﷺ يستمع إلى شكوى الحيوان ويمسح عنه دمعه، وقال لمن ظلم جَمَله وحمَّله فوق طاقته: «أَفَلا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِه الْبَهِيمَة الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؛ فَإِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»(٥).

وفي غزوة أحد التي أصابه فيها من الأذى ما لم يكن في غيرها من الغزوات، كان يدعو ربه لمن آذوه: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»(٦).. ولما قيل له: ادعُ على المشركين، أجاب ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»(٧).

وما موقفه ﷺ يوم الفتح، من أهل مكة الذين عذبوه وأخرجوه، بخاف على أحد؛ فقد سجَّل التاريخ بفخار كلماته التي تفيض عفوًا ورحمةً: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»(٨).. هكذا بلا قصاص، أو حتى كلمة لوم وعتاب!!

يُجلِّي الأستاذ/ خالد محمد خالد جانبًا من عظمة «الرحمة» عند النبي ﷺ فيقول: «تنتشر الرحمة لدى محمد ﷺ حتى يغطي دفؤها كل مَقْرور، وحتى تشمل الأحياء جميعًا من إنسان وحيوان، وفي المواطن التي تعظم فيها الحاجة إليها، نجد الرسول ﷺ يركز إلحاحه عليها، فهو- مثلاً- إذا حث على الرحمة بالطفل، يركز بصورة أشد على الرحمة بالطفل اليتيم، أو الطفل اللقيط، وإذا حث على الرحمة بالحيوان وهو يعمل، يركز بصورة أوفى على الرحمة بالحيوان وهو يُذبح، وهكذا يدور قلبه الكبير مع دواعي الرحمة حيث تدور»(٩).

رحمته ﷺ.. «أبوَّة معنوية»(١٠):

إذا أردنا أن ننفذ إلى عمق معنى «الرحمة» كأبرز الصفات الدالة عليه ﷺ حتى أضيف إليها، وعرَّف نفسَه بها قائلاً: «وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ»(١١).. فربما أسعفنا في هذا المقام ما أسميته «الأبوة المعنوية».

• فإذا كان الأب يرعى أبناءه في جميع أحوالهم، ويبذل لهم الخير ما وسعه الجهد والطاقة، ويسامحهم ويعفو عنهم إذا أخطأوا في حقه؛ فإن النبي ﷺ كان كأنه «أب» للناس جميعًا.. لدرجة أن القرآن يتنزل عليه يدعوه- في أكثر من موضع- أن يخفف عن نفسه ما يجد من حزن وألم بسبب عنت قومه وتكذيبهم(١٢)، فيقول: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦)، ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (فاطر: ٨).

بل لنتأمل هذه الصورة الحسية التي يرسمها الحديث النبوي الشريف للدلالة على حرص النبي ﷺ على الأمة، ولبيان شفقته حتى على العاصين منهم! فيقول ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْفَرَاشُ وَالْجَنَادِبُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»(١٣).

نبي الرحمة

هذه «الأبوة المعنوية» التي تشير إلى ما بذله النبي ﷺ من رحمة للناس جميعًا، وليس لأصحابه والمؤمنين به فحسب(١٤)، تشير من ناحية أخرى إلى ما هو مطلوب منا وواجب علينا تجاهه ﷺ.

إن الابن البار يسعى جاهدًا لنيل رضا أبويه، وتلبية حاجاتهما، لا يرفع عليهما صوته، ولا يَحدُّ النظر فيهما، يصل رحمهما، ويَبرُّ أصدقاءهما بعد وفاتهما، ويُنفذُ وصيتهما، ويردد في صلواته وسجوده: (رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا).. وهذه الحقوق للوالدين على الأبناء تشبه، بل تكاد تتطابق تمامًا مع ما يجب للنبي ﷺ علينا من حقوق!

وقد أوجز القرآن الكريم الواجبات المستحقة على المسلمين تجاه نبيهم الكريم في قوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، جاء في تفسير ابن كثير: (قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته، ونصحه لهم؛ فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحُكمَه فيهم مقدمًا على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥). وفي الصحيح: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١٥).

• وأمام هذه الهجمة الغربية المتكررة على نبينا ﷺ، يجب أن نُسائل أنفسنا:

هل قمنا بما تمليه واجباتُ تلك «الأبوة المعنوية» علينا لرسول الله ﷺ ؟!

هل كنا بحاجة لانتظار هذه الرسوم السيِّئة والمسيئة حتى نعقد مؤتمرات وندوات، ونعلن عن مبادرات ومشاريع لتعريف العالمين- الذين كُلفنا من بعد النبي ﷺ بإبلاغهم- بالنبي الخاتم، وبصفاته وشمائله، وشريعته؟!

هل عظَّمنا رسول الله ﷺ بعد وفاته، ولم نرفع الصوت احتجاجًا على شرعه، مثلما أُمرنا بخفض الصوت في حضرته حال حياته؟!

أين أخلاق النبي ﷺ من حياتنا التي طغت عليها الماديات والعداوات و «حَالِقَةُ الدِّين»؟!

هل نَحن بسلوكنا قدوة حسنة لما ظل يدعو إليه ﷺ ثلاثة وعشرين عامًا، تحمل فيها من العنت والمشقة ما تحمل؛ حتى تصلنا كلمة الله؟!

• آن للمظاهرات والاحتجاجات التي عمت دولًا إسلامية كثيرة، نصرةً للنبي ﷺ ودفاعًا عنه، أن تنتقل من «ردِّ الفعل» بما فيه من ارتجالية وانفعالية وآنية، إلى «الفعل» بما يتطلبه من عمل دؤوب، وجهد منظم، وتخطيط مبدع، ومؤسسات نشطة، وأفكار مبتكرة، وأخذ بزمام المبادرة، ولغة إعلامية قادرة على النفاذ عبر الثقافات والأفهام المختلفة..

فهل تفي الأمة بحقوق نبي الرحمة ﷺ عليها، وتعد للسؤال جوابًا قبل أن يحاجّها أمام الله سبحانه؟!

الهوامش

١- أخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة.

٢- التحرير والتنوير، من «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب»، بتصرف.

٣ - متفق عليه من حديث عائشة.

٤ - أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاةِ فَأُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ؛ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ».

٥ - أخرجه أحمد وأبوداود من حديث عبدالله بن جعفر، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. ومعنى «تُدئبه»، أي: تتعبه بكثرة العمل؛ قاله المنذري في الترغيب والترهيب.

٦ - متفق عليه من حديث ابن مسعود.

٧ - أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة.

٨ - ذكره ابن هشام في السيرة النبوية، والبيهقي في السنن، وضعفه الألباني.

٩ - إنسانيات محمد، ص: ٢٠، ٢١، طبعة دار المعارف.

١٠ - لعل في تسمية زوجات النبي ﷺ بـ «أمهات المؤمنين»، ما يسوغ لنا وصف علاقته ﷺ بأمته بـ «الأبوة المعنوية». وقد أخرج أبوداود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ» (حسنه الألباني في صحيح أبي داود). قال النووي رحمه الله: هل يقال للنبي ﷺ أبوالمؤمنين؟ فيه وجهان لأصحابنا: أصحهما عندهم الجواز وهو نص الشافعي أنه يقال أبوالمؤمنين أي في الحرمة، ومعنى الآية: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (الأحزاب:٤٠) لصلبه. راجع التفصيل في فتوى بعنوان «حكم إطلاق لفظ الوالد على العالم أو الكبير» على موقع «إسلام ويب» http://www.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=٢٨٣١٩

١١ - أخرج مسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ». وفي «شرح السنة» للبغوي من حديث حذيفة قال: لقيت النبي ﷺ في بعض طريق المدينة، فقال: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَأَنَا الْمُقَفَّى، وَأَنَا الْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ».

١٢- بينما يدعو القرآن الكريم المؤمنين إلى المسارعة والمسابقة في نيل مغفرة الله وجنته التي عرضها السماوات والأرض، ويحذرهم من التثاقل والإخلاد إلى الأرض، إذ هو يدعو النبي ﷺ إلى عدم الأسف والحزن على إعراض قومه بعد أن بذل غاية وسعه واستطاعته؛ فما عليه إلا البلاغ والإنذار.. فتأمل حال النبي ﷺ بمن دونه!

١٣ - أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبدالله.

١٤ - اختلف العلماء في المراد من «العَالَمِينَ» في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، هل هم الذين آمنوا به ﷺ، أم يشمل غيرهم أيضًا، قال الطبري: «وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدًا ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم، فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم، فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله» أ. هـ.

١٥- من «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

الفيلم المسيء للإسلام

جاك صبري شماس- شاعر سوري

حرية التعبير لا تعني على الإطلاق الإساءة إلى المعتقدات والمشاعر.. وحرية التعبير دون ضوابط أخلاقية لا تختلف عن شرعة الغاب.

حاشا لمثلك.. من يذم ويشتم
وبك البسيطةُ تقتدي والأنجُمُ
ملأتْ محبَّتك الأنام وأغدقت
وبكل روض في ودادك برعم
كيف الرعاعُ يلفِّقون مساوئًا
والشرع خاتمه النبيُّ المسلم
من ذا الذي يهذي بغير حقيقة
والحق شمسٌ لا تغيب وتهرم
إن الذي زرع الشمائل في الدنى
سرعان ما يزهو الندى والموسم
والمرء يشمخ في سموِّ فعاله
والله يمنحُهُ المرام ويُعْظم
دين تجلَّى البرُّ في فرقانه
وبه تكرّم بالفضيلة «مريمُ»
والغرب أمريكا وذؤبان الغوى
خبث يهدهد في الصدور ويجثم

والفتنة الكبرى نتاجُ تعصُّب
أعمى تخبَّط بالظلام يخيِّم
قل ما تشاء فلن تهزَّ عقيدة
عصماء في شفة الدنى تتكلمُ
أنا من نصارى يعرب لا أرتضي
ذمَّ النبوة أو نفاقًا يؤلمُ
تجري العروبة في عروق دمائنا
والضاد حرف في الهوى يترنَّمُ
هذي يدي عرباءُ تنثر طيبَها
والقلبُ ينبض بالإخاء وينعم
وبليغُ قرآنِ الرسول مُخلَّدٌ
إعجازه آيٌ جليلٌ مُحْكَم
ويحفّ وجهَ محمَّدٍ ألقُ السنا
ومناره وجهٌ وثغرٌ يبسمُ

سورة الحجر والفيلم المسيء للرسول ﷺ

كان القرآن الكريم ـ ومايزال ـ منهجًا شاملًا، وخبرًا صادقًا، فهو مصدر الأمة في تشريعها، وهو مرجعها في أزماتها ومشكلاتها، إنه {تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ}، فلا تجد قضيةً تجدُ على المسلمين في جنبات الزمان والمكان إلا والقرآن الكريم قد بيَّنها وحكم فيها، إما بقاعدة عامة أو قاعدة خاصة.

محمد شلبي
كاتب مصري

وسورة الحجر من بين سور القرآن الكريم تتعلق من أولها إلى آخرها تعلقًا متينًا بالأحداث الأخيرة ـ ولعلها الآخرة بإذن الله ـ التي يراد بها النيل من الإسلام ورسول الإسلام ﷺ.

فإنها سورة تؤسس للتصور العام في ذهن المسلم كيف كان العداء للرسل والاستهزاء بهم كما لم تبينه سورة أخرى، وتبين الأسباب النفسية لهذا الاستهزاء، وكيفية التعامل معه بطريق حكيم رشيد.

مطلع السورة

تبدأ السورة بتأسيس معنى جمع كلام الله تعالى لكل شيء: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ فوصفت كلام الله تعالى بأنه كتاب وبأنه قرآن، ولم يرد ذلك مجموعًا إلا في سورة الحجر، والمعنى الدلالي للجذر:

«كتب»، والجذر: «قرأ» هو: الجمع، أما «كتب» فالكتابة: التقييد، والتقييد جمع شيء إلى شيء برباط موثق، وأما «قرأ»، فمنه قرا الماء في الحوض، أي: جمعه، ومنه القرية التي تجمع الناس ومنه القراءة التي هي جمع الحروف والكلمات بعضها إلى بعض.

فالكتابة: تعني جمع المعاني عن طريق الصورة، والقراءة تعني جمع المعاني عن طريق النطق.

وهكذا لفظتا كتاب وقرآن.

فقد جمع الله تعالى في وحيه تفصيل كل شيء..

ثم بدأت السورة تبين شيئًا من المضامين التي فصلها القرآن وتناولت منها سورة الحجر بعضًا..

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.. هذه أول علامات الحديث عن قضية الاستهزاء بالرسول ﷺ.

إذ الكافر حين يتأكد من كونه على الباطل وكوننا على الحق ثم لا يجد سبيلا للهدى، لا يكون أمامه إلا الانتقاص والاستهزاء بالحق وأهله..

وهي الظاهرة النفسية المعبر عنها في دراسات علم النفس بظاهرة: «العنب الحصرم».

ويرصد القرآن هذه الظاهرة في آيات كثيرة.. ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم: ٥١)، فاتهموه بالجنون رغم حسدهم له لكونه على الحق.

﴿وَدَّ كَثِير مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ (البقرة: ١٠٩)، فأمرهم بالعفو والصفح على الأذى الناتج عن حسدهم لأهل الحق.

وكذلك في مطلع هذه السورة ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾!!.

ثم تبين السورة أن استهزاء الكفار بالرسول ﷺ ليس عادة جديدة: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.. إنها تسلية للرسول ﷺ فما من رسول إلا وتعرض للاستهزاء.. وبين التلميح والتصريح عن الاستهزاء يتوعد الله تعالى المستهزئين ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، إنه استهزاء كذلك.. فالاستدراج قبل الأخذة الوبيلة يمثل قمة الاستهزاء.. يأكلون ويتمتعون ويتلهون ثم يأتيهم فجأة ما يوعدون..

ثم تستأنف السورة الحديث عن الكفار المستهزئين مبينة أنهم سيظلون على ضلالهم مهما ظهر لهم من آيات الله تعالى ومعجزات رسله.. ثم تسرد السورة آيات من آيات الله تعالى التي من شأنها أن تهدي القلوب السليمة..

ثم تبدأ بذكر قصص المستهزئين بالأنبياء على مر التاريخ..

وفي هذا الصدد تبدأ بأول المستهزئين جميعًا، إنه إبليس:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

ثم بينت الآيات جزاءه المعلوم للعالمين.. اللعنة الدائمة.. ثم قارنت الآيات مصير الكافرين هذا بمصير المتقين.. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

ثم استأنفت الآيات قصص المستهزئين ومصائرهم.. فذكرت قصة لوط عليه السلام، إذ استهزأ به قومه فقالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٨٢).

وخلال القصة يقسم الله تعالى بحياة الرسول ﷺ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.. تشريفاً للنبي ﷺ وكبتًا لأعدائه.

ثم ذكرت قصة أصحاب الأيكة.. قوم شعيب عليه السلام..

ثم ذكرت أصحاب الحجر.. قوم صالح..

ولعل سائلًا يسأل لماذا ذكر الله تعالى ثلاث قصص فقط لقوم عذبوا؟

إن الرابط بين هذه القصص هو الاستهزاء بالآيات وبالرسل..

فذكر قوم لوط لاستهزائهم المذكور آنفًا..

وذكر قوم شعيب لاستهزائهم به كذلك: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود: ٩١).

وذكر قوم صالح لأنهم قالوا: ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (هود: ٦٢)..

أما سائر القصص ففيها بجانب السخرية الطغيان وشدة اللدد، كما فعل قوم نوح مع نوح وعاد مع هود، وفعل اليهود مع موسى عليه السلام، فذكر من القصص ما كانت السخرية فيه غالبة على الطغيان.. ثم بعد أن ذكر الله تعالى طرفًا من قصص المستهزئين يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصفح الجميل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.. ولا محالة أن هذا الصفح تجاه استهزاء الأعداء كان مرحلة انتقالية، نسخت بالأمر بالمواجهة والأمر بالغلظة..﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٧٣).

وفي آخر السورة يأمر الله تعالى نبيه أن يصدع بالدعوة ولا يلقي بالًا للمستهزئين الحاقدين: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ × إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.. كان هذا موجزا شديدا لمسار المعاني في سورة الحجر.. كي نستخلص منها الحقائق التي يمكن أن نواجه بها سلوك الكفار الأخير في استفزاز المسلمين..

متمثلة في الحقائق التالية:

نبي الرحمة

الحقيقة الأولى: أن العظيم لابد أن يُحسَد

فحسد الإسلام ومحاولة النيل منه ليلَ نهارَ إن هو إلا دليل على عظمته ومنهجه الحق؛ لأن الصغير التافه لا يخشى له خطر.

وهذه الحقيقة لابد أن تورث المسلمين عزة وأن تملأهم ثقة، فكثير منهم الآن يولون وجوههم شطر الدول الغربية على أنها اليد الحاكمة في العالم وأنها القوة الضاربة، غير أن الواقع يثبت مما هو مبثوث في أنحاء الجغرافيا والتاريخ أن المسلمين هم القوة الأولى في العالم بقوة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، إذا انطلقوا منها وعملوا من أجلها.

الحقيقة الثانية: أن الاستهزاء بالرسول ﷺ دلالة على الضعف

إن الاستهزاء بالرسول ﷺ دلالة ضعف عميق، وعجز عن التأثير، ودليل على حبوط المكر والكيد.

فلو كان لديهم طاقة على التأثير في الإسلام، أو قوة في أعمال اليد لما اضطروا إلى أعمال اللسان والاستفزاز الصبياني..

يذكرنا هذا بقول الرسول ﷺ لمن جاءه يشتكي: إن أحدنا يجد في نفسه، يعرض بالشيء، لَأَنْ يكون حِمَمَةً أحب إليه من أن يتكلم به، فقال: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة» (سنن أبي داود: ٥١١٢، صححه الألباني).

فالشيطان لا سلطان له على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.. وكذلك أولياء الشيطان.

الحقيقة الثالثة: أن الاستهزاء مستمر

فالحق أوله كآخره، وأعداؤه في التاريخ كأعدائه في الحاضر والمستقبل..

والكفر كله ملة واحدة.. تجد الكائدين له في مشارق الأرض كالكائدين له في مغاربها.. وتجد أسلوبًا واحدًا ولسانًا واحدًا.

فالعجب ممن يتعجب من هذا الاستهزاء..

والعجب ممن يثور ضده هذه الثورة..

لأن الذي يترك خزانته مفتوحة في الطريق أمام البر والفاجر.. ثم يثور عند سرقتها هو الأولى بالملام والأولى بالإنكار..

وهذه هي الحقيقة الرابعة التي يجب أن نفهمها من خلال سورة الحجر

الحقيقة الرابعة: الكلاب تنبح والقافلة تسير

إن العمل المستمر الصالح أفضل ما تواجَه به الترهات والأباطيل.

لو أن أحد الفاسقين وسط عشرة من المتدينين . مثلًا . ما استطاع أبدًا أن يسب أو أن يستهزئ..

بينما هو بين أمثاله يخرج منه السباب سيلًا سهلًا..

إن الأصل أن يعمل المسلمون على نصرة دينهم باتباع منهجه القويم.. وتجديد الإيمان الذي انخرم إهابه.. وتَثَلَّمَ حدُّه في كثير من أرضِ الإسلام..

إن الأصل أن يَظْهَر المسلمون للناس بخصوصيتهم الإسلامية في الملبس والمأكل والمشرب وطبيعة الحياة..

ولكن كيف نثور عليهم ونحن لهم أتباع في طبائعنا وبعض أفكارنا..

إن هذه الأمة لو عادت لأمر الله بالقدر الذي كانت عليه أو ببعض هذا القدر ما استطاع أبدًا أحد في العالم أن ينتقصها؛ لأن العالم يسير بقانون «الحق مع القوة» ونحن لا ينقصنا الحق ولا تنقصنا القوة.

إلا أننا ضيعنا الحق بعدم اتباعه، وضيعنا القوة بالتفرق والترك والتكاسل.

قد ضيعنا قوتنا بالتفرق فرقًا وأحزابًا تجاوزت اختلاف التنوع إلى اختلاف التضاد ثم إلى اختلاف العداء..

ضيعنا قوتنا بالشراء بدلًا عن الإنتاج..

وباستخدام التكنولوجيا بدلًا عن المشاركة في تطويرها..

وحين استبدلنا مناهج البشر بمنهج الله تعالى..

فالنصرة الحقيقية للرسول ﷺ هي بإحياء سنته واتباع منهجه، ونشر طريقته وهديه في أنحاء الأرض.

إنه حين يرى الناس ثباتنا على مبادئنا..

واستقلاليتنا بشخصيتنا..

فلن يجرؤ أحد على استهزاءٍ تُعْرَف عواقبه قبل أن تُعْرَف أحداثه.

فكن أول مناصر بأن تكون أول من يحيي سنة ويميت بدعة.

إلى جنة الخلد يا «أبوبلال»

التحرير

فقدت الصحافة الإسلامية ومجلة «الوعي الإسلامي» الزميل الكاتب الصحفي تمام أحمد الصباغ (أبوبلال) والذي عمل بالمجلة لأكثر من ٣٣ عامًا، وقد وافته المنية يوم ٢٠١٢/١٠/٨ عن عمر يناهز ٦٧ عامًا، بعد تعرضه لوعكة صحية في الآونة الأخيرة اقتضت دخوله المستشفى وإجراء أكثر من عملية جراحية. والفقيد يرحمه الله ولد في حمص عام ١٩٤٤م، وحصل على ليسانس الآداب قسم التاريخ من جامعة دمشق، وقدم إلى الكويت أواخر السبعينيات من القرن العشرين، حيث عمل صحفيًا بعدد من المجلات الإسلامية الكويتية، فعمل في مجلة المجتمع لمدة عشر سنوات ابتداءً من عام ١٩٨٠م، وعمل أيضًا في مجلة الخيرية التابعة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، ثم التحق بمجلة «الوعي الإسلامي» حتى وفاته، وقد قام يرحمه الله بدور مميز في المجلة، وكان يكتب سلسلة «مجاهد» وهي من الشخصيات الشهيرة التي عرفت بها مجلة «براعم الإيمان» التي تصدر مع «الوعي الإسلامي».

وعرف عن الفقيد الجدية في العمل ودماثة الخلق والصدق في المعاملة، حيث كان محل حب واحترام من الجميع.

وتعرب أسرة تحرير «الوعي الإسلامي» عن خالص تعازيها في الفقيد سائلين الله أن يسكنه فسيح جناته ويلهم أسرته وذويه الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

بعد تكرار الإساءة إلى مقامه الشريف

كيف ننتصر لرسول الله ﷺ؟

مريم عبدالحميد- هداية محمد
دار الإعلام العربية

ليست هذه المرة الأولى- وحتمًا لن تكون الأخيرة- التي يتطاول فيها أعداء الإسلام على اختلاف مللهم ونحلهم ومعتقداتهم على سيد الأنبياء والمرسلين وخير خلق الله نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، وقبل سنوات قليلة ثارت أزمة الرسوم المسيئة لمقامه الشريف، وقبل أسابيع تجددت الأزمة بفيلم مسيء أنتجه بعض نصارى المهجر المقيمين في أميركا وهولندا وغيرها من بلاد الغرب، وبمشاركة من بعض اليهود، ما أشعل احتجاجات غاضبة في العديد من عواصم العالم، تباينت بين العنف تارة، والاحتجاج السلمي تارة أخرى..

«الوعي الإسلامي» سألت عددًا من العلماء والمثقفين والمفكرين عن الوسيلة المثلى للانتصار للإسلام ورسوله الكريم ﷺ في هذه الأزمات المتكررة، وإليكم التفاصيل.

د.إدريس: الغضب والمقاطعة سلاح الأمة.. والمواقف الصارمة مسؤولية أولي الأمر

د.ريان: الضغط على الغرب بلغة المصالح.. واستخدام القانون الدولي لتجريم الإساءة

أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر د.عبدالفتاح إدريس أكد أنه لا يمكن الانتصار لنبي الإسلام ﷺ بمجرد قبول اعتذار من أساءوا إليه، بل على المسلمين أن يرفضوا الاعتذار رفضًا تامًا، وأن يسعوا للقصاص من القائمين على هذا العمل الدنيء دون غيرهم.. بمعنى أنه إن أمكن للمسلمين القصاص من هؤلاء الذين أجرموا في حق الرسول ﷺ فعليهم ذلك، ولا يمتد هذا القصاص لعموم اليهود والنصارى، أي لا يجوز للمسلمين أن يعتدوا على السفارات الأجنبية، أو أن يهددوا من يعملون بها، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

وتابع قائلًا: وعلى المسلمين أيضًا أن يعبروا عن رفضهم لهذه الإساءة والانتصار للرسول ﷺ بمقاطعة التعاون مع أميركا وبضائعها، باعتبار أن الفيلم أنتج وأخرج تحت نظر الرقابة الأميركية، ما يعني أن الأميركيين كانوا على علم بأن هذا الفيلم يحمل إساءة وإهانة للمسلمين، وهذا ليس له سوى معنى واحد فقط.. هو «أن أميركا تنظر للمسلمين بعين السخرية، وتعتبر الإسلام والمسلمين بلا أي قيمة».

وأبدى د.إدريس عجبه واستغرابه قائلًا: لم أرَ من المسلمين سوى الغضب فقط، في حين ينبغي على القائمين على الأمر أن يتخذوا مواقف صارمة وحازمة ضد الإدارة الأميركية وكل دول العالم؛ حتى تتصدى لمثل هذه الافتراءات، وتمنع تكرارها.

أما أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر د.أحمد طه ريان فوجّه حديثه لكل من يحتجون ويغضبون كلما تجددت إساءة لرسول الله ﷺ، قائلًا: ينبغي عليكم أن تغضبوا، لكن ينبغي أيضًا أن ينضبط هذا الغضب بالضوابط الشرعية، فيكون بأسلوب حضاري يتفق ومبادئ الإسلام، فمن الممكن الاعتصام أو الإضراب أو التظاهر بشكل سلمي، لكن دون تخريب أو استخدام القوة أو الأساليب الهمجية التي تسيء إلى صورة الإسلام، وهذا أحد الأمور التي يخطط لها القائمون على مثل هذه الإساءات، فليس مقصدهم فقط أن يسيئوا لرسول الإسلام ﷺ كشخص، بل أيضًا يسعون للإساءة للإسلام من خلال إظهار المسلمين في تصرفاتهم كهمج منفلتين.

وأضاف د.ريان: ننتصر لرسول الله أيضًا بالضغط على حكومات الدول التي تصدر لنا هذه الإساءات؛ حتى تتخذ من الإجراءات ما يضمن عدم تكرار هذه الإساءات مستقبلًا، ومعروف أن هذه الدول لا تعرف سوى لغة المصالح، والأمتان الإسلامية والعربية تمتلكان من وسائل الضغط ما يجبر دول الغرب والشرق على احترام الإسلام.. وفي الوقت ذاته علينا استخدام الآليات القانونية المتعارف عليها دوليًا لاستصدار إعلان دولي من خلال الأمم المتحدة لتجريم الإساءة لمقدساتنا وملاحقة القائمين عليها.

مؤامرة فعلية تحاك ضد المسلمين

بدوره، أكد المفكر الإسلامي والفقيه الدستوري د.أحمد كمال أبوالمجد، على أن الإساءة إلى أي من المقدسات الدينية أمر لا تقبله كل الدساتير والأعراف الدولية لدى المجتمع العالمي، والإسلام هو دين الجمال والتسامح، وهو الدين الكامل الذي يكفل لكل الناس حرية الاعتقاد دونما أدنى إكراه أو إيذاء، وعلى هذا النحو يجب على الأمم الأخرى أن تعاملنا بهذه المنهجية العظيمة التي تعلي من شأن جميع البشر، فما بالنا بخير البشر، وقد جعل الإسلام من احترام وتقديس كل الرسل على مر العصور شرطًا من شروط تمام الإيمان، فنحن نؤمن بعيسى وموسى والنبيين- عليهم السلام- كما نؤمن تمامًا بمحمد ﷺ.

أضاف د.أبوالمجد: بكل تأكيد يتعين علينا جميعًا معاداة كل من يظهر العداء لرسولنا الحبيب ﷺ، ويحاول أن يحقر من مقدساتنا ورموزنا الدينية، لكننا يجب أن نضع نصب أعيننا أن ننتصر لنبينا المصطفى ﷺ باتباع أخلاقه، وكيف كان يتعامل مع كل من تعمدوا إيذاءه؛ حتى نستطيع أن نظهر الوجه الحقيقي لسماحة الإسلام واعتداله، بالشكل الذي يحبه ويرضاه، لا بالشكل الذي تسوقنا إليه أهواؤنا وأمزجتنا، ويشمت أعداءنا فينا، ونمرر الفرصة تلو الفرصة على أعدائنا بالتفوه على الإسلام بأنه دين العنف والإرهاب.. على عكس حقيقته.

ولعلي أرى أن ثمة مؤامرة فعلية تحاك ضد المسلمين بطريقة ممنهجة وليست عشوائية من طرف ما لا نعرفه، ولكن نعرف ماذا يريد من هذا التشويه المشين للرسول ﷺ، وعلينا ألا نلتفت إلى هذه الأشياء الحقيرة النكرة، وأن نهتم بتوحيد صفوفنا؛ لأنه مهما كان منا لن نستطيع أن ننصره إلا بوحدتنا وليس بتناحرنا فيما بيننا.

وربما أحيانًا تكون الضارة نافعة.. فقد سمعنا أن أكثر من ٣٠٠ شخص في أميركا قد أشهروا إسلامهم في المركز الدعوي الإسلامي بأميركا بعد استفسارهم عن كينونة الدين الإسلامي.

كما أوضح أبوالمجد أن من بين قضاياه المستقبلية التي يرى أنه لابد من حتمية تحقيقها، والتي يعكف حاليًا على الإعداد لها، هي التوحد حول رؤية محددة لمفهوم التنوير الديني، وإسقاطه على الواقع الذي تعيشه الأمة في هذه المرحلة العصيبة التي تموج بها بالعديد من القضايا الحتمية والمصيرية في جميع البلدان العربية.. وكأنها حرب ضروس مدبرة ضدنا، مشددًا على ضرورة توافق علماء الأمة حول مفهوم واضح لخطاب ديني موحد يجمع شتات الأمة، ويقرب بين الفوارق الفرعية بينها، ويقود الناس إلى تشريعات وسطية تدفع الناس إلى التنوير الصحيح والعلم الذي يخدم مصالح الأمة واندماجها داخل جنبات النظام العالمي الذي من المفترض أننا جزء منه، بالشكل الذي يحفظ لأمتنا الكرامة الحقيقية والسلام المبني على الاحترام المتبادل، وليس الذي يفرق بين مكوناتها ونسيجها الواحد.. الذي طالما تحدّث عنه الإسلام في مناهضته للفرقة والتشرذم الذي تعيشه أمتنا الآن، فلا يمكن أن ننتصر دون أن يعلي الجميع المصلحة العامة على أي مصالح أخرى.

نموذج قوي

بينما أكد أستاذ الأديان والمذاهب بجامعة الأزهر د.خالد السيد غانم، أن الرد يكون أولًا بإظهار أنموذج فريد قولًا وفعلًا للمسلم المتبع للإسلام ورسوله الكريم ﷺ، ثم بمحاولة دراسة السيرة والتعرف عليها من خلال الإعلام والتعليم والأسرة؛ للتعرف أكثر إلى حياته ﷺ، ومن ثم الدفاع عنه من خلال الكتابة واللسان.. كما قال الرسول ﷺ لحسان بن ثابت وهو يرد على هجاء المشركين للرسول قال: «اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»، أو «ورُوحُ الْقُدُسِ مَعَكَ».

وتابع: أيضًا لابد من الظهور السريع للموقف الديني والسياسي من جانب أولي الأمر، مع عدم الانسياق وراء أي إساءة حتى لا تخرج الأمور عن سياقها الطبيعي، وتتحول إلى حرب وفتنة قد تتحول من العدو إلى أبناء الوطن الواحد، وقد أحسن المصريون- مسلمين ونصارى- حينما تعاملوا بذكاء مع هذه الأزمة، ولم تقع بينهم صدامات، كما كان يسعى القائمون على هذه الفتنة..

لذلك ينبغي أن يعي كل مسلم أن الانتصار لرسوله الكريم يكون بتقديم أنموذج قوي للمسلم والدولة سياسيًا واقتصاديًا وأخلاقيًا؛ حتى يرى الآخرون ترجمة عملية للإسلام في حياة أتباعه.

الحوار مع الآخر

وعلى المستوى الثقافي، أكد وزير الثقافة المصري السابق د.شاكر عبدالحميد أن الطريقة المثلى للرد تكون بإظهار عظمة الإسلام، وإبراز الشخصيات المؤثرة في تاريخه، وتوضيح قيم الإسلام وما يحمله من تسامح واعتدال وعطاء وغيرها من القيم العليا النبيلة.. كما ينبغي أيضًا الاهتمام بالحوار مع الآخر بشكل أكثر هدوءًا وبعيدًا عن العنف والتطرف.

بينما أوضح الكاتب إبراهيم عبدالمجيد، أن أفضل رد هو التجاهل التام؛ لأن أي

محاولة للرد على هذه الإساءات المتكررة تعطيها قيمة لا تستحقها، خاصةً وأنها تافهة.

ورفض عبد المجيد رفع دعاوى قضائية على منتجي الفيلم، موضحًا أنها ستكون قضايا خاسرة، ولاسيما أنها ستعطي للفيلم- وغيره من الإساءات الموجهة للإسلام- مزيدًا من الاهتمام.

طرق أخرى

بدوره، أكد أستاذ الفلسفة د.أنور مغيث أن الفيلم سيئ جدًّا، أنتجته مجموعة تتسم بالتعصب والجهل، لكن كان هناك إمكانية للرد بطرق أخرى غير اللجوء إلى العنف، موضحًا أن التجاهل التام لهذا الفيلم كان من أفضل الردود، مشيرًا إلى أنه تم إنتاجه منذ نحو عام ولم يحظَ باهتمام أحد إلا بعد أن ثار المسلمون ضده.. ولذلك نحن أحييناه من العدم وصنعنا له قيمة لا يستحقها.

وتابع: وبما أنه تعذّر التجاهل، فقد كانت هناك إمكانية التظاهر السلمي، حيث كان من الممكن للجماهير أن تخرج حاملةً لافتات أو شعارات منددة بهذا الأمر دون لجوء إلى العنف، وبهذا يصل إلى الآخر أن هذا الفيلم مرفوض.

رد الفعل الثالث هو اللجوء إلى القضاء لمنع عرضه، أو لعقاب من أصدره، بدعوى أنه ليس مجرد إساءة للرسول ﷺ فقط، لكنه يحمل انتقادات لأخلاق أنبياء آخرين مثل المسيح وموسى، والخطر في ذلك أنه يزيد من التعصب، فمثلًا المواطن الأوروبي الذي يسكن بالقرب من جار مسلم إذا شاهد هذا الفيلم سيصبح معاديًا للجار المسلم ومن الممكن أن يؤذيه، ومن هنا تعد هذه النوعية من الأفلام التي تهدد التعايش السلمي المشترك ويجب منعها، لما تحمله من تأجيج للكراهية والعدوان على مجموعة معينة من السكان.

ولأول مرة أجمع جميع قادة العالم بمن فيهم القادة الأميركيون أنفسهم على إدانة هذا الفيلم، وعلى أنه فيلم «مقزز»، وأدانته معظم الصحف في أميركا وأوروبا بما فيها «التليجراف»، «الجارديان»، «النيوزويك»، «اللوموند»، «الفيجارو»، لكن

د.أبو المجد: ننتصر لنبينا المصطفى ﷺ باتباع أخلاقه

د.غانم: تقديم أنموذج قوي للمسلم سياسيًّا واقتصاديًّا وأخلاقيًّا

-للأسف- هذا الإجماع أضعناه بالسلوك الخاطئ المتمثل في حرق السفارات وقتل الأبرياء وإرهاب الناس.

وبالنسبة إلى المستقبل أوضح: ينبغي أن نعلم أن هذه لن تكون الإساءة الأخيرة، ورد الفعل الذي ظهر ليس رادعًا لكارهي الإسلام- وهم كُثُر- عن صناعة مثل هذه الأفلام، بل بالعكس هو محفّز؛ لأنه يشجع آخرين على تكرار التجربة، فكان التجاهل هو أفضل رد حتى يستوعب الآخر أنه حتى إذا كرر التجربة لن يؤثر في شيء، ونتوقع أن تُنتج أفلام أخرى تحمل إهانة مماثلة يجب أن نتعامل معها بنوع من التعالي الكريم الذي لا ينزل إلى مستوى الصغائر.

رأي عام دولي

أخيرًا، أوضح الأستاذ بكلية الإعلام جامعة القاهرة د.ياسر عبدالعزيز أن التظاهر عمل مشروع، وبعض أشكال التعبير عن الغضب التي ظهرت في عدد من الدول العربية مقبولة، لكن الكثير من مظاهر الاحتجاج كانت منحرفة ومسيئة إلى الإسلام أكثر من الفيلم، ومن غير المقبول أبدًا أن يتم اقتحام السفارات أو الاعتداء عليها أو قتل الدبلوماسيين، أو حتى الطعن في العقيدة المسيحية، بل لدينا عدد من الوسائل التي يمكن من خلالها مواجهة مثل هذه الأعمال المسيئة.. منها الاحتجاج المسؤول البعيد عن استخدام العنف أو ازدراء العقائد، ومنها أيضًا رفع قضايا ضد صناع الفيلم، وإنتاج أفلام عالمية بجودة فنية عالية تتحدث عن الدين الإسلامي ورسوله الكريم ﷺ، وهناك أيضًا المحاولات السياسية لبلورة رأي عام دولي يقنع الولايات المتحدة بمراجعة إطارها التشريعي؛ ليتضمن موادّ تحول دون تغوّل الحريات على المقدسات.

غضب شديد

لقي فيلم «حياة محمد رسول الإسلام» غضبًا شديدًا من المسلمين في جميع أنحاء العالم، تم استثماره في «ليبيا» بقتل السفير الأمريكي، وفي «مصر» إلى احتشاد الآلاف أمام السفارة الأميركية ومحاولة اقتحامها، وكذا تكرر الأمر بعنف في اليمن، فضلًا عن التظاهرات الغاضبة في مختلف الدول العربية والإسلامية.. يُذكر أن الفيلم الذي أنتجته جماعة أقباط المهجر في الولايات المتحدة بالمشاركة مع القس «تيري جونز» يتناول بشكل ساخر حياة النبي محمد ﷺ، من إخراج سام باسيل، وبدعم من «الهيئة العليا للدولة القبطية» التي يترأسها عصمت زقلمة الذي يقدّم نفسه على أنه رئيس الدولة القبطية المنتخب، وموريس صادق سكرتير عام الدولة، وتحت رعاية كنيسة القس تيري جونز، بولاية فلوريدا الأميركية!! ويبدأ الفيلم بمشهد اعتداء مجموعة من المسلمين المتطرفين في صعيد مصر على صيدلية لطبيب صيدلي مسيحي.. يشعلون فيها النيران مع تواطؤ من رجال الشرطة، ثم ينتقل إلى الحديث عن بداية قصة حياة النبي محمد ﷺ، مستخدمًا ممثلًا أميركيًّا يقدم الشخصية بكثير من التجني؛ ثم يتحوّل إلى تقديم رسول الإسلام وصحابته على أنهم مجموعة من المتطرفين هواة العنف والدماء واستباحة الأعراض!

العدد (٥٩١) محرم ١٤٣٤هـ / نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٢م

مع توالي الإساءات إلى
الإسلام ورسوله الكريم..

انفعالاتنا..
كيف نضبطها في ميزان الشرع؟

محمد حبيب - هاجر حسونة
القاهرة - دار الإعلام العربية

وزير الأوقاف المصري: نرد على المسيئين بحضارية الإسلام دون امتهان أو انتهاك للحرمات

د.زقزوق: علينا ضبط النفس ولم شتات أمتنا لإفساد أحقادهم ورد كيدهم في نحورهم

مع توالي وتكرار الإساءات الموجّهة إلى الإسلام ورسوله الكريم، ومع خروج العديد من التظاهرات الغاضبة في العديد من البلدان الإسلامية للتنديد بهذه الإساءات، وتسبب مندسين وفوضويين في نزوع بعضها إلى العنف.. شدّد عدد من علماء الإسلام على أن المسلم الحق يعرف كيف يضبط انفعالاته في ضوء الشرع حتى لا يساق إلى ما يريده له أعداء الإسلام من مظاهر العنف والفوضى والتخريب وسفك الدماء.. وأكدوا لـ«الوعي الإسلامي» أن شريعة الإسلام والهدي النبوي الشريف أكبر ضمانة لتقنين هذه الانفعالات وجعلها عنوانًا لسماحة الإسلام وعدم مقابلته الإساءة بالإساءة.

أكد د.طلعت عفيفي وزير الأوقاف المصري، على أن الإسلام دين المدنية ودين الحضارة يحمل في منهجيته كل رسائل السلام السمحة عبر كل العصور، ويشتمل في مضمونه على دعم السلام العالمي بين شعوب الأرض والأمم المختلفة سواء في الدين أو الجنس أو اللغة، ويعتمد في جميع نصوصه وشرائعه على التأكيد الدائم والمستقر على حرية الاعتقاد دونما أدنى إكراه أو إجبار من شخص إلى آخر أو من فصيل إلى فصيل، بل وصل الإسلام إلى أبعاد أخرى في حرية التعبير وإبداء الرأي وإطلاق العنان للفكر دونما إخلال بمبدأ ضرورة الاحترام والتقدير بين الأمم وبين الشعوب، فلا ينبغي لأحد كائنًا من كان أن يتطاول لا بالسب ولا بالقذف ولا بالفحش على أعظم مخلوقات الله في أرضه من لدن آدم وحتى قيام الساعة وهو رسول البشرية ﷺ الذي أرسله ربه رحمة للعالمين.

وتابع الوزير قائلًا: نحن تحت أي مزاعم لن نسمح أبدًا بهذا التطاول، وأخلاقنا التي تعلمناها من إسلامنا تدفعنا إلى الغيرة على نبينا ﷺ والدفاع عنه بطريقة حضارية وأسلوب يرتقي ويتفق مع قيم الدين الحنيف، فنرد دون امتهان أو انتهاك لحرمات الغير أو تخريب في المنشآت أو قتل الأنفس بغير وجه حق، وكلها ممارسات تضر أكثر مما تنفع، فالحفاظ على رسالة الإسلام ورسالة رسول الإسلام ﷺ لا يأتي إلا من خلال التحلي بفضائل الإسلام والابتعاد عن نواهيه؛ لنعطي للأمم حولنا انطباعًا بشريًا حضاريًا راقيًا يتواءم مع حضارة الإسلام العصرية منذ أكثر من 1400عام، ومما لاشك فيه أن ما حدث من ردود أفعال وعصبية لدى المسلمين في جميع بقاع الأرض تجاه الإساءة للحبيب محمد ﷺ هو غضبة إيمانية عظيمة بكل المقاييس لابد من الاستفادة من إيجابياتها والثبات على ما أسفرته من إظهار مكانة وقيمة الرسول الحقيقية لدى أمته، والعمل على دحض كل ما فيها من سلبيات وتفسيرات خاطئة لدى البعض من الرد على هذه الإهانات عن طريق التخريب أو التعدي على الحرمات أو المقدسات الأخرى، ولعل الهدف الأسمى الذي أطالب الجميع بالالتفاف حوله هو منع كل محاولات الفتنة ونشر الفوضى من قبل المغرضين الذين هم في انتظار لموجات غضب عارمة من المسلمين تجاه هذه القضية، وعلى الجميع توخي الحيطة والحذر بما يفسد على المتربصين بالإسلام تحقيق أغراضهم وأطماعهم الخبيثة في تفتيت وحدة الصف وإشاعة الفوضى في البلاد.

وشدد الوزير قائلًا: علينا جميعًا أن نفوّت عليهم هذه المحاولات المستميتة ونكون أكثر وعيًا وحكمة في التعامل مع القضية، ليدرك العالم كله أن الإسلام دين الحضارة ودين رسائل السلام العالمية، ونطالب المجتمع الدولي إذا كانوا بالفعل ينادون بضرورة احترام الآخر واحترام المقدسات والرموز الدينية ونشر السلام العالمي، بحتمية ملاحقة ومحاسبة هؤلاء المتطاولين ومعاقبتهم على كل ما اقترفوه من إفك وتدليس في حق نبي الأمة ﷺ وتجريم كل ما من شأنه تشويه صورة الإسلام كما يفعلون بمن يعادون السامية.

لم شتات الأمة

أما وزير الأوقاف الأسبق د.محمود حمدي زقزوق فتساءل: هل يجرؤ أي من هؤلاء المرتزقة الذين أساءوا لرمز البرية محمد ﷺ أن يقوموا بفعل مثل هذه الأباطيل تجاه المقدسات والرموز اليهودية؟ أعتقد أن ردود الأفعال ستكون هي العقاب الرادع والفوري لهم، وعلينا

غضبة المسلمين لرسولهم مشروعة.. وعليهم حمايتها بالحذر من المخربين والمندسين

د.سلامة: يجب أن تكون أفعالنا من هدي النبي ﷺ وألا يخرجنا الغضب عن سماحة الإسلام

في ظل هذه الأزمات المتتالية أن نطالب جميع منظمات وحكومات العالم التنديد والرفض والتجريم لهذه الممارسات الطائشة التي تنال من شخص أفضل ما أنجبت البشرية عبر تاريخها محمد بن عبدالله ﷺ وهو الأمر الذي لو استمر بهذه الكيفية سوف ينذر بعواقب وخيمة على صعيد السلام بين الشعوب، وهو أمر أكثر كارثية حال حدوثه هذا على صعيد المجتمع الخارجي، أما ما يتعين علينا أن نفعله إزاء تلك الإساءات فهو ضبط النفس ولم الشمل والشتات الذي تشهده أمتنا بالشكل الذي يسمح لنا بتفعيل خطوات جادة وعملية نحو الرد بإظهار سماحة الإسلام واحترامه لجميع الأديان والشرائع السماوية وتقديسه وإيمانه بكل الأنبياء والرسل دون تفريق بينهم، وتعريف العالم بأنه رسول الحق الذي ما جاء إلا ليهدي العالمين إلى صراط مستقيم مستقره الخلود في الجنة وفوزه البعد عن النيران في الآخرة، لا للتخريب ولا للعنف ولا للعنصرية، وعلى الجميع أن يقيم الإسلام في نفسه أولا حتى نبني كرامتنا الحقيقية التي كفلها لنا الإسلام وأقرها لنا رسول السلام ﷺ فلا ينبغي لنا أن نسمح للمتربصين بأمتنا والمريدين لها السوء أن يروا أثر أفعالهم فينا كما يحلمون بتمزيق أوصال أمتنا ووحدتها، فلابد وأن نفسد أحقادهم ونجعل كيدهم في نحورهم.

الالتزام بهدي النبي ﷺ وسنته

بدوره أوضح د.سلامة توفيق مستشار وزير الأوقاف المصري، إنه في الوقت الذي تتزايد فيه أزمات الأمة الإسلامية وتكثر مشكلاتها يتعرض البعض من غير العقلاء لشخص رسول الله ﷺ بمحاولات بغيضة لتعمد الإساءة لشخصه ومكانته ﷺ بين العالمين، في المقابل من هذا يجب على المسلم الفطن ألا تدفعه هذه الإساءات المتكررة إلى أن يحيد على منهجية الرسول في رد الإيذاء، فرسولنا ﷺ هو القمة والقامة والمكانة جاء ليعلم البشرية كيف تكون السماحة وكيف يكون الأدب الجم وكيف يكون السلم والسلام، فقد أخبره الله من فوق سبع سماوات بأنه سوف يتعرض لمثل هذه المحاولات المغرضة وأكثر من ذلك بعد أن مدحه وأعلى من منزلته وقيمته عند الله وعند سائر البشر في كل زمان ومكان، فقد زكاه ربه قائلا: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبتر﴾ فكل من يتعرض لذاته الكريمة هو شخص أهوج أبتر عمله ناقص خبيث، وعلى الأمة الإسلامية إذا كانت حقا تحب رسول الله ﷺ أن تعبّر عن

د.سالم عبدالجليل: لا يمكن مقاومة هذا التيار الجارف إلا بالتواصل مع أعدائنا بلغتهم

د.ربيع: الإسلام نهانا عن مقابلة الإساءة بالإساءة

هذا الحب بصورة عملية في أن تتبع هديه وسنته وآدابه وتعاليمه وتجتنب نواهيه من خلال مواقفه العملية ومن خلال اقتفاء أثره كما جاء في صحيح الدين، وعلى الأمة قبل أن تعاتب الغير أن تحاسب نفسها أولاً هل التزمت منهجه أم لا؟ ويجب على الأمة مراجعة نفسها وأعمالها مع رسولها فنجد أن من أبناء الأمة إذا ما وقع في مشكلة أو مشاجرة مع أحد أن تلفظ والعياذ بالله بسب الدين جهرًا أمام الجميع ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأي دين يسبه أليس هو الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ والذي يدعي أمثال هؤلاء حبه وتقديسه؟ أليس مقام الحب أن يعظم هذا الدين لا أن يسب؟ يجب على الأمة أن تفتش أولاً في أفعالها، وأن ينظر كل صانع منا في صنعته ويسأل نفسه أهو متقن لها أم لا؟ فالرسول أمرنا بالإتقان في كل شيء نفعله فقال «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» فتنهض أمتنا وتزدهر حضارتنا فتكون لنا الهيبة والمكانة والريادة وسط الأمم فلا يتجرأ علينا أحد ولا يتجرأ على رسولنا أهوج أو أبتر، والرسول لا يحتاج منا ونحن ندافع عنه أن نقوم بإحراق السيارات والمحلات والميادين والممتلكات العامة والخاصة فهو بريء من كل فعل وأمر يدعو لهذا الجرم، وإذا أردنا أن يسعد بنا رسولنا الحبيب يوم القيامة أن نلتزم بأمانته وصدقه وهديه، ونستعيذ بالله أن نقف يوم القيامة في موقف لا يرضى به الرسول ﷺ ويقول لربه كما جاء في قرآننا الكريم ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾.

الوصول إليهم بلغتهم

أكد د.سالم عبدالجليل وكيل وزارة الأوقاف الأسبق، إن الأمة الآن أحوج ما تكون إلى حشد الرأي العام الدولي تجاه هذه القضية المثيرة لكل اشمئزاز، وغضب من قبل أعداء البشرية وأعداء السلام في العالم الذين قاموا بارتكاب هذه التصرفات الشنعاء والحمقاء بالإساءة إلى رسولنا الكريم ﷺ، ولابد من التوافق حول صيغة محددة نستطيع من خلالها عرض السيرة المحمدية وهدي الرسول ﷺ على العالم أجمع وتوجيه دفة الغضب والإثارة نحو الاتجاه الحضاري والمدنية والتعايش بشكل يليق بمنهجية الإسلام في التعامل مع مثل هذا العفن الذي شهدناه من إساءة وتطاول، الغرض منه فقط تشويه صورة الإسلام ذلك الدين القيم الحق، وتمزيق أواصر الترابط ونشر الفتنة بين الأمم، لكن أعتقد أننا أذكى بكثير من المضي في اتجاه هذه السخافات التي لا تسيء فقط إلا لحضارة من يفعلها وتعكس عنصريتهم وأحقادهم ضد السلام والإنسانية تحت مزاعم الحرية البغيضة التي يروجون إليها، لا يمكن أن نقاوم هذا التيار الجارف المستفز لغضب المسلمين إلا من خلال الوصول إليهم بلغتهم وتجميع قوانا نحو تحقيق إظهار سماحة رسولنا ونقاء سلوكياته وترفعه عن كل خطأ وعصمته من كل ما يؤذى الآخرين.

لا نقابل الإساءة بالإساءة

بينما أكد د.عبدالله ربيع أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر ضرورة تقنين وضبط ردود الأفعال من جانب المسلمين على هذه الإساءات المتكررة، مؤكدًا أن الإسلام يرفض اللجوء إلى العنف ولا يحض عليه، لذلك ينبغي أن يضبط المسلم انفعالاته في ضوء الشرع، وبدلاً من اللجوء إلى العنف أو مهاجمة سفارات الدول التي تسيء للإسلام ينبغي تفعيل سلاح المقاطعة لمنتجات هذه البلدان، وأن نطالب بمحاكمة المسيئين في بلادهم وحسب قوانينهم التي تعاقب بتهم ازدراء الأديان وعدم الحفاظ على حقوق الآخرين.

كل هذه الأمور من الممكن اتخاذها، ولا يظهر بعدها المسلمون في حالة غوغائية وبدون عداء الآخر، والنبي ﷺ يقول «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» فعلينا أن نطالب بحقوقنا أمام الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان، وقد نهانا الإسلام عن أن نسب الكفار فيسبوا الله كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فنحن منهيون عن مقابلة الإساءة بالإساءة.

الرسول والعلم

إبراهيم نويري
باحث جزائري

لم تعرف البشرية دينًا مثل الإسلام عُني بالعلم أبلغ العناية وأتمّها دعوة إليه وترغيبًا فيه، وتعظيمًا لقدره، وتنويهًا بأهله وحثًا على طلبه وتعلّمه وتعليمه، وبيانًا لآدابه، وتوضيحًا لآثاره وترهيبًا من القعود عنه أو الازورار عن أصحابه أو المخالفة لهدايته، أو الاستخفاف بأهله.. إنك تقرأ «الأسفار المقدسة» في العهد القديم أو الجديد، فلا تكاد عينك تقع على هذه الكلمات (العقل، الفكر، النظر، البرهان، العلم، الحكمة...) فإذا قرأت القرآن الكريم وجدت فيه- كما يذكر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن- ما يلي:

كلمة «عقل» لم ترد اسمًا أو مصدرًا في القرآن، وورد بديلًا عنها كلمة «الألباب» وتكررت 16مرة، وكلمة «النهى» بمعنى العقول وردت أيضًا مرتين.

أما مشتقات كلمة «عقل» فقد تكررت تسعًا وأربعين مرة، وكذلك مشتقات كلمة «فكر» ثماني عشرة مرة، ومشتقات كلمة «فقه» إحدى وعشرين مرة، وكلمة «حكمة» تكررت عشرين مرة، وكلمة «برهان» مضافة وغير مضافة سبع مرات، وهذا عدا كلمات أخرى لها صلة بالعلم والفكر مثل «انظروا» و«ينظروا» ونحو ذلك..

والمفكر الإسلامي د. يوسف القرضاوي تعرض لهذه المسألة في كتابه القيم «الرسول والعلم» الذي طبع طبعات عديدة، يقول فضيلته: ففي «الجامع الصحيح» للإمام محمود بن إسماعيل البخاري نجد- بعد أحاديث بدء الوحي، وكتاب الإيمان- كتاب العلم، وقد اشتمل كما يقول الحافظ بن حجر في «الفتح»: من الأحاديث المرفوعة على مائة حديث وحديثين، منها ستة عشر حديثًا مكررًا، وفيه من الآثار الموقوفة على الصحابة ومن بعدهم اثنان وعشرون أثرًا.

وفي صحيح مسلم وباقي الأصول السبعة(الموطأ وسنن الترمذي وأبي داوود والنسائي وابن ماجة) كتاب أو أبواب للعلم، تقصر أو تطول.

وحسبنا أن نذكر هنا أن كتابًا مثل «الفتح الرباني» في ترتيب مسند الإمام أحمد قد ضمّ في كتاب العلم واحدًا وثمانين حديثًا، وأن كتاب «العلم» في «مجمع الزوائد» للحافظ نورالدين الهيثمي قد بلغ 840 صفحة في كل صفحة عدد من الأحاديث.

وفي «المستدرك» للحاكم النيسابوري بلغت أحاديث العلم 44 صفحة، أما كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري فجمع في كتاب العلم 140 حديثًا.

كما أن كتاب العلم في سفر «جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد» للعلامة ابن محمد بن سليمان قد ضم 145 حديثًا.. ولكن ليس معنى ذلك أن هذا العدد من الأحاديث في هذا الكتاب أو ذاك هو

كلّ ما يتعلق بموضوع العلم.
فالواقع أن هناك عشرات ومئات أخرى من الأحاديث لها صلة بالعلم ولكنها وُضعت في مظان أخرى، فالحديث الذي استفدنا منه اهتمام الرسول ﷺ بالإحصاء الكتابي لعدد الرجال من المسلمين هو في صحيحي البخاري ومسلم ولم يُذكر في كتاب العلم.
والحديث الذي دلّ على محاربة الرسول ﷺ للأمية بتعليم أبناء المسلمين الكتابة عن طريق الأسرى، لم يذكره من ذكروه في أبواب فضائل العلم.
والأحاديث التي عُنيت بما يتعلق بالطب والتداوي ونحوها لم تُذكر في كتاب العلم، بل في كتاب الطب و التداوي وهلم جرا.
وهكذا نجد كثيرًا مما يتصل بالعلم متناثرًا في أبواب كتب الحديث تحت عناوين شتّى.. وما على الباحث البصير المطلع إلا أن يلتقطها من مظانها القريبة والبعيدة، ويجمع شتاتها، ويصنفها التصنيف الذي يوضّح فكرته ويحقق هدفه وغايته.

منزلة العلم والعلماء في ضوء السنة النبوية المطهّرة

تكاثرت أحاديث النبي ﷺ وتتابعت- بعد آيات القرآن الكريم- في بيان فضل العلم والعلماء ومنزلتهما عند الله تعالى وعند الناس في الدنيا والآخرة، ورفعت العلماء مكانًا عليًا.. لا يُسعى إليه على قدم، ولا يُطار له على جناح، وإنما يُبلغ بواسطة العلم.
ولا ريب أن أولى العلوم بذلك هو علم الدين، الذي به يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه، ويهتدي إلى غايته، ويكتشف طريقه، ويعلم ما له وما عليه، على نحو صحيح ثم يأتي بعد ذلك علم يكشف عن حقيقة تهدي الناس إلي حق، أو تقربهم من خير، أو تحقق لهم مصلحة، أو تدرأ عنهم مفسدة، يقول رسول الله ﷺ: «من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» (رواه البخاري وابن ماجة من حديث معاوية) .
ويقول أيضًا: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا حفّتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمَن عنده» (رواه مسلم وأصحاب السنن) .
وفي حديث آخر يقول: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له مَن في السموات، ومَن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، و فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر» (رواه الإمام أحمد وأبوداوود والترمذي وابن ماجة).
فهذه الأحاديث الشريفة تدل على فضل العلم، وبخاصة العلم بالدين، أو على حد تعبير الحديث «الفقه في الدين» والواقع أن الفقه في الدين أخصّ وأعمق من مجرد العلم بالدين، فالعلم معرفة بالظاهر فحسب، أما الفقه فمعرفة بالظاهر واللب معًا، والعلم يتصل أكثر ما يتصل بالعقل وحده، والفقه بالعقل والقلب معًا أو على حدّ سواء.
ولهذا فإن مجرد العلم بالأحكام الشرعية العملية الجزئية كأحكام الطهارة والنجاسة، والرضاع والزواج والطلاق، والبيع والشراء، كما هو مدلول الفقه في الاصطلاح الشائع لا ينشئ الفقه المراد في الحديث، والذي هو دليل على إرادة الله الخير بصاحبه.

مكانة العلم لدى السَلف الصالح

يقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أيها الناس عليكم بطلب العلم، فإن لله رداء محبة، فمن طلب بابًا من العلم، ردّاه بردائه ذاك». وسأل رجل ابن عباس عن الجهاد فقال له: «ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد؟ تبني مسجدًا تعلّم فيه القرآن، وسنن النبي ﷺ والفقه في الدين».
وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «نعم المجلس مجلس تنشر فيه الحكمة، وتنشر فيه الرحمة» (يعني مجلس العلم).
وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والنصير على السراء والضراء، والوزير عند الخلاء، والقريب عند القرباء ومنار سبيل الجنة، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة، سادة هداة، يعتدّ بهم، أدلة في الخير تقتفى آثارهم، وتُرمق أفعالهم، وتُرغّب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسهم، وكلّ رطب ويابس يستغفر لهم، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها.. إلى أن قال رضي الله عنه: به يُطاع الله، وبه يُعبد، وبه يُمجّد، وبه يُتورع، وبه تُوصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعمل تابعه، يُلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء».
وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: «لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم، أي أنهم بالعلم يُخرجون الناس من حدَ البهيميَة إلى حدَ الإنسانية»..
وقال يحي بن معاذ: «العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة».
وسئل ابن المبارك: «من الناس؟ فقال: العلماء قيل: ومن الملوك؟ قال: الزهَاد».
وعلّق على هذه المقولة أبوحامد الغزالي فقال: «ولم يجعل غير العالم من الناس، لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هي العلم، فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه أو جسمه،

فإن الجمل أقوى منه، و لا بعظمته فإن الفيل أعظم منه، ولا شجاعته فإن السبع أشجع منه، ولا بأكله فإن الثور أوسع منه بطنًا، ولا بسفاده فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يُخلق إلا للعلم» (الإحياء باب العلم، ص7) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «حاجة الإنسان للعلم، أكثر من حاجته إلى الطعام والشراب».

ويجزم فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي بأن الإسلام هو أول دين يفضّل الاشتغال بالعلم وطلبه، والتبحر فيه، على التطوع بالشعائر المعروفة، من صلاة وصيام وحج ونحو ذلك.. مع أن القرآن يعلن في صراحة وجلاء، أن الله تعالى لم يخلق الثقلين إلا ليعبدوه :﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات:56).

بيد أن العبادة على غير علم هي كبنيان على غير أساس، فالعلم هو الذي يوضّح أركان العبادة وشروطها، وآدابها الظاهرة وأسرارها الباطنة، كما يُبين ما يصحّحها وما يبطلها، وما يكملها أو ينقصها..

والعلم يُعرف صاحبه بمنازل الأشياء، ومراتب الأعمال، حتى يميّز بين النفل والفرض، ويبين المهم وغير المهم، ويبين الأصول والفروع، فلا يقدم نافلة على فريضة، ولا يقدم غير المهم على المهم، ولا يضيع أصلًا من أجل فرع، وفي مثل هذا قال بعض سلفنا: «إن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة».

وقالوا: «من شغله الفرض على النفل فهو معذور، ومن شغله النفل على الفرض فهو مغرور».

ومن فضل العلم على العبادة أنَ معظم العبادات قاصرة النفع لا تتجاوز صاحبها، فالمصلي الصائم والحاج والمعتمر والذاكر والمسبّح.. يزيد عملهم من حسناتهم، ويرفع من درجاتهم، ولكن المجتمع من ورائهم لا ينال من جراء عباداتهم شيئًا مباشرًا، يحقّق لهم منفعة أو يدفع عنهم مضرة.

أما العلم فنفعه متعدّ.. فلا يقتصر على صاحبه، بل يتجاوزه إلى غيره من الناس، من كل من يسمعه، أو يقرؤه، وقد يكون بينه و بينهم جبال ووهاد، وبحار و قفار...

فالعلم لا يعرف الحدود والقيود، ولا يعترف بالحواجز والسدود، وخاصة في عصرنا الذي ينشر فيه العلم المسموع بالإذاعة، والمرئي بالتلفاز، في ثوان معدودة، بل في اللحظة نفسها إلى المستمعين و المشاهدين في مساحات شاسعة، و ينشر العلم المكتوب بواسطة الطباعة الحديثة إلى آفاق المعمورة في أيام، بل في ساعات معدودة أحيانًا .

ولا عجب أنْ روى أبوأسامة رضي الله عنه قال: ذُكر للنبي ﷺ رجلان، أحدهما عالم، والآخر عابد، فقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح) وروى عنه حذيفة بن اليمان بلفظ: «فضل العلم خير من فضل العبادة» (رواه الطبراني في الأوسط، والبزار بإسناد حسن) .

ومن فضل العلم على العبادة: «أنه لا ينقطع بانقطاع الحياة، و لا يموت بموت أصحابه، فمن صلّى أو صام، أو زكّى أو حجّ أو اعتمر، فإن هذه لها مثوبتها الجزيلة عند الله تعالى، لكنها تنتهي بانتهاء أدائها والفراغ منها».

أما العلم فإن أثره يظلّ باقيًا ممتدًا، ما دام في الناس من ينتفع به، مهما تطاولت السنون، وتعاقبت القرون.

لذلك قال ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا علّمه و نشره، وولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورّثه، أو مسجدًا بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته» (رواه ابن ماجة بإسناد حسن، والبيهقي، كما رواه ابن خزيمة في صحيحه).

وبهذا يعيش العالم عمرًا بعد عمره المحدود، وبخاصة مَن كتب وصنّف فإن عمر المكتوب أطول وأثره أبقى

ألا ترى أننا اليوم ننتفع بتراث علمائنا السابقين، وندعو لهم، ونترحّم عليهم، وبيننا وبينهم أزمانٌ وقرونٌ تتدقّ فيها أعناق المطي.

قال يحي بن أكثم، قال لي الرشيد يومًا: «ما أنبل المراتب؟ قلت: يا أمير المؤمنين ما أنت فيه؟! قال: أتعرف من هو خير مني؟ قلت: لا.

قال: لكني أعرفه.. رجل يقول: حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ قال: هذا خير مني، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ﷺ فهو لا يموت أبدًا، ونحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقي الدهر» (ذكره ابن القيم في مفتاح دار السعادة) .

وما أبلغ ما قال الإمام علي رضي الله عنه لكميل بن زياد: «العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على الإنفاق، والمال تنقصه النفقة، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

العلم يُكسب العالم الطمأنينة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وضيعة الأموال تزول بزوالها، مات خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة (قال ابن القيم: هذا الأثر ذكره أبونعيم في الحلية).

فما أعظم أن تنتفع أمتنا الإسلامية بعلمائها، وما أجمل أن نستفيد جميعًا بتراثنا العلمي، حتى نقضي على سلبيات واقعنا، وننطلق في بناء حاضرنا وتأسيس مستقبلنا.. واستعادة مكانتنا الدولية، فنحن لسنا غرباء على الإنسانية.. فقد تزعمّت الأمة الاسلامية القافلة البشرية، مدّة تقترب من ألف عام.. ولها اليوم في منهج دينها ومنهج رسولها خير أسوة وخير مثال، إذا هي صدقت العزم على الالتزام مرة أخرى بطريق العزة والكرامة والخيرية النافعة لكلّ بني الانسانية.

هل سجّلنا موقفًا في صفحة وطويناها.. أم أشرق علينا اليوم صبح جديد؟

د. إيمان عادل عزّام - أكاديمية سعودية

اعتدت أن أتألّم حيث أنفعل.. فتبكي عيناي أدمعًا ومدادًا معًا. فأمّا أدمعي فتعرف طريقها منهمرة على سهل خدّي، وأمّا مدادي فأبثّه صفحتي، فإمّا أن تكتم سرّي.. وإمّا أن تذيعه بأمري..

ودموعي التي فيها رَوْحٌ من رُوحي، ومدادي الذي له لون من دمي، كلاهما لديه القدرة على إطلاق أسيري المحبوس في سجن أضلعي، فيريحاني - بإطلاقه - من صراخه الذي يصمّ أذني فيؤلمني، ومن هياجه الذي يُنهكني ويؤذيني، ومن ثقله الذي يقبع على رئتي فلا تعود تقوى على أخذ نفسي.

وهكذا كنت دوماً.. إذا تعبت؛ بكيْتُ، وإذا بكيْتُ؛ كتبت، وإذا كتبت؛ ارتحت..

ولكني اليوم خالفت عادتي .. فقد انفعلت أكثر ما يكون الانفعال، وبَكيَتْ روحي أكثر ما بَكيَتْ في يوم قط، وعجباً..! لم تعرف دمعتي طريقها .. لا على خدّي ولا على صفحتي، وإنما تحجّرت في مقلتي تؤلمني، فلا هي تسقط، فتطلق أسيري فتخرسه وتريحني.. ولا هي تجفّ فتُنسيني ألمي.

تألّمت كثيراً.. ثمّ تحاملت على نفسي رغم ضعفها وهوانها، وارتعشت يداي وهي تحاول - عبثاً - أن تُحكمَ القبضة على قلمي ليخطّ .. لعلّي أرتاح.. لكن دون جدوى، فقد خانتني أناملي.. وأحجم قلمي مثل دمعي، فكلهم اليوم يخذُلني.

ظلّ الصراخ يملؤني.. وليس من سبيل إلى إسكاته...تشوّش عقلي... واضطرب تفكيري:

هل أكتب ؟ لا.. لن أكتب..

هل أكتب ؟ لا.. تأخّرتُ كثيراً..
هل أكتب ؟ لا.. كتب غيري..
هل أكتب ؟ لا أعرف ماذا أكتب !! إذاً ..لن أكتب.

يستمر التشويش في فكري، فيشبه التشويش المتعمّد على بعض القنوات الفضائية الذي نسمع عنه كثيراً في هذه الأيام؛ لكن ليس ثمّة تردّد يمكن التحوّل إليه، فأبقى.

رأيت نفسي صغيرة مثل ذرّة غبار في يوم عاصف رياحُه عاتية، أو مثل حبّة رمل في صحراء جدباء قاحلة مترامية، أو مثل قطرة في بحر مالح أجاج لا شاطئ له، ورحت أردّد: إذاً لن أكتب... فلا عهد لي بذرّة تُمسك قلماً، ترى: ماذا تريد..! أجبتُ سريعاً :وماذا يهمّ ما تريده ذرّة.. إنها مجرّد ذرّة !!

استسلمت.. وأطعت دمعي وقلمي، فلم أكتب.

ولكن استمر صراخ أسيري الذي ضاقت عليه أضلعي، وعلا صوته أكثر وأكثر، ودفع صياحه بقوة تلك الدمعة المتحجّرة، فأزاحها عن مكانها فتدحرجت كصخرة ثقيلة بغيضة على أرض وعرة، وانفجر من ورائها سيلٌ كانت تحبسه، فتحرّك القلم سريعاً بين أناملي، فما عدت أستطيع أن أوقفَه .. فبكيت كثيراً وكتبت .. ولكن احزر..! لقد بكيت اليوم وكتبت .. لكني-عبثاً - ما ارتحت..

إنّ الأمر إذا اتّصل بنصرة رسول الله ﷺ كان جليلاً ومهيباً معاً.. فإن الله-تعالى- ناصر رسوله، وكفى بالله نصيراً، ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾(التحريم: ٤)، فسيدُنا رسول الله ﷺ منصورٌ بنصر الله له، ومعصومٌ بحفظ الله - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، مصانٌ كفاه الله المستهزئين، فقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٥)، وإنّه في مقام عال عند ربّه.. محمود عند الخلائق أجمع .. فلا أذى يطاله ولا يصل إليه، وإن الكفرَ كلّه بملله ونحله، مهما جار أو مال لا يسيئ إلا إلى نفسه.

ثمّ: ما الناس أجمع ؟! وما قيمة ما قالوه مهما كان.. إن كان ربّ الناس مدحه وأثنى عليه فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم:٤).

إنه لا يحجب نور الشمس شيء إلا العمى إذا أصاب صاحبه فتركه يتخبط في ظلامه، وتبقى الشمس مشرقة مضيئة ساطعة.. ويظلّ - لعماه - لا يراها.. وأنّى له أن يراها !!!

ارتحت قليلاً الآن.. فقد أوضحت لتلك الذرّة - أنه لا فضل لها - ولو بمقدار ذرّة- في نصرة رسول الله ﷺ سواء كَتبتْ أو لم تكتبْ، وإنما الفضل لله - تعالى وحده- فهو ناصره وعاصمه وكافيه وحاميه ومظهر دينه على كل الأديان ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣).

إنّ كل ما يأتيه المسلم في حق رسول الله ﷺ هو في الحقيقة يأتيه لنفسه، تماماً كالصلاة على رسول الله ﷺ التي يغتنم العاقل بها فضل الله - تعالى- عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ يومًا فوجدته مسرورًا، فقلت: يا رسول الله: ما أدري متى رأيتك أحسن بِشرًا وأطيب نَفْسًا من اليوم؟! قال: وما يمنعني وجبريل خرج من عندي الساعة، فبشّرني أن لكل عبد صلّى عليّ صلاة يُكتب له بها عشرُ حسنات ويُمحى عنه عشر سيئات، ويرفع له عشر درجات، وتُعرَض عليّ كما قالها، ويُرَدُّ عليه بمثل ما دعا» (١).

قال الإمام الرازي -رحمه الله -: «إذا صلّى الله وملائكته عليه، فأي حاجة إلى صلاتنا؟ نقول: الصلاة عليه ليس لحاجته إليها، وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه، كما أن الله - تعالى - أوجب علينا ذكر نفسه، ولا حاجة له إليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه» (٢).

فالحقيقة أنّنا عندما ننتصر لرسول الله ﷺ إنما ننتصر لأنفسنا. إننا نُري ربّنا - سبحانه وتعالى - أننا ننتظم في سلك من يحبّ الله ورسوله وينصره، ونتبرأ ممن هو ضدّ لذلك ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥).

إنّنا إذا قمنا بشيء من حق رسول الله ﷺ علينا إنما نعطي أنفسنا عذرًا نسأل به رسول الله ﷺ الشفاعة يوم الموقف عندما نطلبه.. روى أنس رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ نبي اللّه ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لي يوم الْقِيَامَة قال: قال: أنا فَاعِلٌ بهم. قال: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يوم الْقِيَامَةِ يا نبي اللّه ؟ قال: اطلبني أَوَّلَ ما تطلبني على الصِّرَاط. قال، قلت: فإذا لم أَلْقَكَ على الصِّرَاط ؟ قال: فأنا عِنْدَ الْمِيزَانِ قال: قلت: فإن لم أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قال: فأنا عِنْدَ الْحَوْضِ لاَ أُخْطِئُ هذه الثَّلاَثَ مواطن يوم الْقِيَامَةِ» (٣).

إنّنا يوم ننتصر لرسول الله ﷺ إنما نسعى جاهدين لنحمي أنفسنا-

نقول: «ننصر رسول الله»...!- فإذا بنا نختبئ خلف رسول الله ﷺ ليحمينا كما حمى أصحابه يوم بدر«عن علي رضي الله عنه قال : لَمّا حَضَرَ الْبَأْسُ يوم بَدْرٍ اتّقَيْنَا بِرَسُولِ اللّه، وكان من أَشَدَّ الناس، ما كان أو لم يَكُنْ أَحَدٌ أَقْرَبَ إلى الْمُشْرِكِينَ منه» (٤).

ارتحت الآن أكثر .. فإني أشعر بك – أيها القارئ – تفهمني – بل وتوافقني على أن الفضل كلّه لله – تعالى – ولرسوله.. والمنّ كلّه لله – تعالى – ولرسوله.

هدأت يسيرًا.. والتقطت أنفاسي .. واستعدت توازني.. ومضيت أكتب بهدوء رغم مرارة أشعر بطعمها في كل شيء حولي.. وهو أن أراه في كل عين حتى عيني.

أخي المسلم : إنهم ما قصدوا رسول الله ﷺ إنما قصدونا نحن بأذيّتهم .. إننا أهنّا أنفسنا فهُنّا بين الأمم.. وقد حذّرنا سيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عندما قال: «أنتم كنتم أقل الناس، فأعزّكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزّة بغيره يذلّكم الله تعالى» (٥) لكنا – للأسف – لم نسمع التحذير.. أو سمعناه ولم نلق له بالاً.. فَجَرّ علينا ذلك وبالاً.

إننا لم نعرف قدر نبيّنا.. فكيف يعرف قدره غيرنا؟!!

إننا ظلمنا أنفسنا.. يوم حرمنا أنفسنا وأولادنا سيرة رسولنا تعطّر مسامعنا وأيامنا ومجالسنا، وتكون الغذاء الذي يغذّينا، والدواء الذي يسقينا.. والروح الذي يحيينا حياة الكرام الأعزّاء.. ورحنا نبحث عن غذاء غيره.. فتهنا وتعبنا .. وما ارتوينا ولا شبعنا، وغدونا الأذلاّء بين الأمم.. فلا كرامة لنا.

إن رسول الله ﷺ هو الأسوة التي علينا اتباعها في هديه وسنّته ودخوله وخروجه وجلوسه ومشيه ونومه وصلاته وقيامه، وفي كل شيء. لقد علّمنا كل شيء ولم يترك شيئاً: «عن أبي ذَرّ رضي الله عنه قال: تَرَكَنَا رَسُولَ اللّه ﷺ وما طَائِرٌ يُقَلّبُ جَنَاحَيْهِ في الْهَوَاءِ إلا وهو يُذَكّرُنَا منه علْمًا، قال: فقال: ما بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرّبُ مِنَ الْجَنّةِ ويُبَاعِدُ مِنَ النّارِ إلا وقد بُيّنَ لَكُمْ» (٦).

فأين نحن ممّا علّمنا نبيّنا وحبيبنا وسيّدنا محمد ﷺ ؟!!!

لقد علّمنا لنعيَ عنه، أو لنبلّغَ ما علّمنا لمن يعيَه .. فما فعلنا هذا ولا ذاك.. !! لقد أبطأنا عنك يا رسول الله..- عفواً أقصد: أبطأنا عن أنفسنا – دعوتنا فما أجبنا ونحن نقرأ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤) لكن يشهد الله – تعالى – أنك يا رسول الله روح الروح، وأنك نور العيون.. وأننا نحبّك وإن كنّا جهّالاً طائشين.. ثرنا، فرفعنا المعاول والعصي.. أحرقنا ونددنا وكسّرنا وقتلنا.. ثم رجعنا إلى بيوتنا فنمنا.

هل نحن سجّلنا موقفاً في صفحة وطويناها.. !

أو هل نحن تألمنا فصببنا جام غضبنا على أعلام مزّقناها.. أو جدر كسرناها.. أو بيوت أحرقناها.!!

لا أدري.. ما عدت أعرف جواباً. كلّ ما أعرفه شيء واحد، هو أننا نحبّك يا رسول الله – صلى الله عليك وعلى آلك وصحبك وسلّم- نحبّك رغم الجهل والخطأ والرعونة والضعف والبعد والمعصية .. نحبّك رغم أننا لا نحبّ أنفسنا.. نحبّك رغم أننا لا نعرف كيف نعبّر عن حبّك على طريقتك التي ترضيك والتي يرضاها لنا ربّ العالمين .. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (عمران: ٣١).

فهل آن الأوان لكي نعرف كيف نعبّر عن حبّنا لك ؟!.. نعرفك ونعرف عظيم قدرك.. فنتّبعك..! نعرف عظيم شمائلك.. رفقك ولينك ورحمتك، فنزداد حباً فيك..! ننشر سيرتك وحديثك وسنّتك بفعلنا قبل قولنا.. نتخلّق بأخلاقك!.. نرفع رايتك.. نتّبع سبيلك.. نردّد أذكارك التي علّمتنا.. نبلّغ رسالتك للآفاق.. نستنقذ بك كل نفس أوشكت على الهلاك.. ليس ثمّة عصر مضى فيه من وسائل الاتصال والإعلام مثل ما في عصرنا، فهل سيدخل دينك في كل بيت بالحبّ قبل الحرب ؟!!

نعم .. ولا شكّ .. فإنّ الإسلام منصور بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل . وسيدخل هذا الدين كل بيت: «عن الْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يَقُولُ: لاَ يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلاّ أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ كَلِمَةَ الإِسْلامِ بِعِزّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلّ ذَلِيلٍ» (٧).

فلنكن أنا وأنت – أيها القارئ – فيمن احتمى بالإسلام في صبح يوم جديد فدخل معه كلّ بيت لا فيمن تخلّف عنه فقعد، فإنا لا ندري إن كان الله – تعالى – يقبل عذراً بعد عذر الثلاثة الذين خلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة العسرة، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلّفُواْ حَتّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَيْهِ ثُمّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنّ اللّهَ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ﴾ (التوبة: ١١٨).

الهوامش

١- مصنف عبدالرزاق ج٢ ص٢١٤ رقم (٣١١٣).
٢- التفسير الكبير ج٢٥ ص١٩٦.
٣- مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص١٧٨ (١٢٨٤٨).
٤- مسند أحمد بن حنبل ج١ ص١٢٦.
٥- المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٨٨.
٦- المعجم الكبير ج٢ ص١٥٥ (١٦٤٧).
٧- صحيح ابن حبان ج ١٥ ص٩٣ (٦٧٠١)

في حضرة الحبيب ﷺ

إيمان القدوسي- كاتبة صحفية

الإنسان ذلك الكائن المعجزة ذو الألف وجه.. كم قدحت العقول زناد أفكارها لتفهمه وتستوعبه ولم تصل لعلم يقيني، كم وضعت نظريات في علم نفس الإنسان وطرحت رؤى بدت متكاملة متجانسة خلابة ولكنها سرعان ما تهاوت عند محاولة تطبيقها، وبينما تدور كل الكائنات الأخرى في مدار غرائزها، وحده الإنسان يظل دائما خارج التوقعات.

عندما يصفو ويشف يضرب أروع أمثلة الإبهار فتجده مثالا للرحمة والشجاعة والبسالة، وعندما تغلبه نوازع الشر يبدو وحشًا تأنف من حقارته السباع الضارية، وليس أدل على تلك الحالة من أولئك الطغمة الذين حاولوا الإساءة لأشرف الخلق محمد ﷺ فانقلبت الإساءة عليهم ورأى العالم كله كيف صاروا نموذجًا فجًا مقززًا للخسة وفقدان شرف الخصومة.

إنهم أشباه البشر الذين يعتقدون أن التشويه يعلي قدرهم وذلك لعجزهم عن التحلي بالفضائل البشرية فيستعيضون عن ذلك بالاجتراء على المقدسات ومحاولة النيل من عقيدة أكثر من مليار مسلم، إن من ينطح الصخر بهدف تفتيته هو أوفر عقلًا ممن يحاول النيل من عقيدة مسلم وقر الإيمان في قلبه وغشيه اليقين.

يا حبيبي يا رسول الله بأبي أنت وأمي وصلوات ربي وسلامه عليك، كل هذا الغضب الذي انفجر في وجه الإساءة لا يوفيك حقك، ولكن ما حدث جعل حضورك وافرًا في قلوبنا، وذكرك على ألسنتنا وفي مجالسنا، وجعلنا نرى كيف بدأت قصة الحياة العليا للإنسان معك.

ماذا كان شكل العالم من قبلك؟ بدا مكفهرًا شاحبًا يستعبد الأقوياء الضعفاء ويتجبر الملوك الهالكون على العباد ويسود الظلم والقهر، لقد كان عصر ازدهار عنصر الطين في الإنسان وتواري الروح وانغلاق آفاقها، ربما ظل عدد من الموحدين يتمسكون بإحياء أرواحهم والتعبد في خلواتهم سائلين المولى عز وجل أن يمن على البشرية بنبيها الأخير.. ذلك النبي الذي كان دعوة إبراهيم ونبوءة موسى وبشارة عيسى عليهم السلام ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

هاهي أكفهم الضارعة في ظلمة الليل البهيم تبدو لنا كشموع فضية تلقي بنورها الكليل على من حولها، وتؤكد أنه مهما كانت حلكة الظلام فإن للكون إلهًا وللإنسان روحًا تشعر

وتحس وتتسامى، جاء محمد ﷺ فأعلى الروح ونشر ضياءها ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ٢١)، ولم يغفل نصيب الجسد من الدنيا ليظل حاملًا للروح وليعمر الأرض ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص: ٧٧).

آية واحدة فيها منهج رباني يجمع بين خيري الدنيا والآخرة، وفائدة الفرد والمجتمع، عندما أستمع إليها بقلبي وعقلي وجوارحي تسجد روحي خاشعة.. سبحان ربي! ما أجل كلامه الذي لا يشبه كلام البشر وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اكتمال الرسالة

جاء ﷺ لينقل الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وليضع الكلمة الفصل في كل ما يخص الإنسان في حياته على الأرض ويكفل له السعادة والتوازن والرقي.

يقول الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله فجعل الناس يطيفون به ويقولون ما رأينا بنيانًا أحسن من هذا إلا هذه اللبنة. فكنت أنا تلك اللبنة» (صحيح مسلم).

لقد جاء ختام الأنبياء واكتمال الرسالة الإلهية للبشر ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة: ٣).

ورغم أن القرآن الكريم هو كتاب دين وتعبد وليس كتاب علم إلا أنه من الإشارات أن العلم الحديث مهما تطور على مر العصور ووصل لحقيقة علمية أو إنسانية ثابتة راسخة فإنها تؤكد وتعزز ما جاء في القرآن قبل أربعة عشر قرنًا، ولقد تعددت المواقف التي أسلم فيها الباحثون والعلماء والمفكرون الجادون في البحث عن الحقيقة والراغبون بشغف في الرسو على شاطئ اليقين، ودائما يحدث الموقف هكذا.. عالم أفنى عمره في البحث وعندما توصل لنتيجة مؤكدة وجديدة تمامًا يجد وصفها التفصيلي في القرآن الكريم فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

حقائق فلكية وعلمية واجتماعية لا حصر لها ولا يتسع المجال لذكرها ويمكن للراغب في تتبعها أن يحصل على المزيد من الدهشة من هذا الكتاب المعجز الذي لا تنقضي عجائبه (القرآن الكريم)، ولعل اهتمامي بالشؤون الأسرية هو ما جعلني أركز على جانب اجتماعي مهم، فنحن نعرف تلك الدعوات النسوية القائلة بأن الرجل والمرأة متساويان تماما في الخلق وأن الفروق بينهما هي مجرد أثر للدور الاجتماعي وقد راجت هذه النظرية في الغرب حتى اعتبرت حقيقة، ولكن أحدث الدراسات التفصيلية للعالم والفيلسوف الأميركي «جون جراي» أثبتت أن هناك اختلافًا جذريًا بين الجنسين وكأنهما قد جاءا من كوكبين مختلفين.. كل هذا العناء لخصته الآية الكريمة ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ (آل عمران: ٣٦) والتي بنيت عليها الكثير من أحكام الأسرة المناسبة للمجتمع.

آفاق جديدة

كل الكتب تبلى ويزهدها القارئ بمرور الزمن، بمجرد أن يمضي على قراءتك لكتاب أبهرك سنوات قليلة ثم تعاود قراءته تجده قد فقد بريقه وخفت زهوته وصار مملًا تجاوزه الزمن فتتخلص منه وتلقيه جانبًا، إلا كتابًا واحدًا هو «القرآن الكريم».. في كل تلاوة تتفتح آفاق جديدة أمامك، وفي تلك السورة التي تلوتها في صلاتك من قبل ألف مرة.. ما بالك هذه المرة تقف أمامها خاشعًا مرددًا لمعانيها التي وقعت توًا في قلبك بشكل مختلف تأمل معي: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا. إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا﴾ (الإنسان: ١-٣) سبحان الله تبدأ السورة بتساؤل يوضح حقيقة الإنسان وقدره عندما لم يكن شيئًا مذكورًا، ثم تلخص الآية التالية خلق الإنسان وابتلاءه ونعم ربه عليه والأمانة التي تحملها، أما الآية الثالثة ففي كلمات حاسمة تبين لنا السبيل، والسؤال الآن: هل أضافت كلماتي شيئا لشرح الآيات؟ لا والله. بل إن تأمل الآية نفسها واستلهام المعنى ليس فقط من كلماتها، ولكن من وقع حروفها وجرسها.

دور الإيمان

كيف وصلنا القرآن الكريم؟ ومن كان حامل كلمة الله الأخيرة لعباده ومنهج حياة البشر إلى يوم القيامة؟ إنه محمد رسول الله ﷺ، يقول «مايكل هارت» في مقدمة كتابه الشهير «العظماء مائة وأعظمهم محمد»: «إن اختياري محمدًا ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي حقق أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليها سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمدا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته، ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضًا وحد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم، أيضا في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها».

وقد ينقلب الإنسان على أحد أوجهه العجيبة ويتساءل وما دور الإيمان في حياتي؟ وتقول له أيضا أحدث الدراسات: إن الإيمان هو المصدر الوحيد الذي يمنحك الثروة النفسية.. تلك الثروة التي لا يمكن تعويضها من أي مصدر آخر والتي تنعكس رضا في نفسك، وبركة في حياتك، وسعادة تغمر جوانحك.. فاستزد منها وأنت تصلي وتسلم على حبيبك المصطفى فتشعر كأنك قد نلت شرف المقام في حضرة الحبيب.

البيان النبوي.. تفرد وخصوصية

قراءة في الأدبيات

د.خالد فهمي - أستاذ اللغة العربية - جامعة المنوفية

في ظل الجاري اليوم من التعرض لمقام النبي الكريم ﷺ فإن أولى علامات الانتصار له هي فحص جوانب عظمته الباقية على الزمان.

وفحص خصائص بيانه أمر مهم جدًا دعويًا وإنسانيًا وحضاريًا.

ومن الثابت الوارد في حق اللسان النبوي الكريم أنه أوتي جوامع الكلم، وهو بعض المفهوم من منطوق الحديث الصحيح الذى يروي فيه أبوموسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت فواتح الكلم وخواتمه» (صححه الألباني).

صحيح أن الحديث مروي في باب مناقب المصطفى ﷺ، وصحيح أنه مثار ثناء وارتقاء، لكنه مع ذلك شيء ينبغي أن يتأمل في سياقٍ عظمة الرسالة التي جاء بها، تلك الرسالة التي ترى البيان شرطًا تأسيسيًا لمعنى النبوة ووظائفها، وهو بعض المفهوم من المنة الإلهية الكريمة في مفتتح سورة الرحمن في ﴿علمه البيان﴾ وهو بعض المفهوم الذى توصل إليه سادتنا الأصوليون عندما قرروا أن التفهيم أصل تتبني عليه الشريعة، على ما قرر- مثلًا- الإمام الشاطبي في الموافقات.

على أن المهم جدًا في هذا السياق أن نرى هذا الحديث يمثل ظاهرة جديرة بالدرس والتأمل، وأعني بذلك أن علماء السيرة- ومن ظاهرهم من علماء الحديث تعيينًا- اعتنوا ببحث هذه الظاهرة، وهو بعض ما يتجلى في الأبواب الكبيرة التي وردت في كثير من المصنفات التراثية حول كلامه ﷺ، وهو ما تجد أمثلة عليه في:

الشمائل، للإمام الترمذي، المتوفى ٢٧٩هـ.

جمع الوسائل في شرح الشمائل، للإمام القاري، المتوفى ١٠١٤هـ.

شرح الشمائل، للإمام المناوي المصري، المتوفى ١٠٣١هـ.

وهذا الكتاب بشرحيه مثال واحد لما أخبرتك عنه من العناية الموصولة في سلف الأمة وخلفها بهذا الباب المهم من أبواب نبوة المصطفى ﷺ، وإلا فإن ثمة تاريخًا ممتدًا يعيي الجامعين من الأدبيات الواصفة و الشاهدة لبيانه ﷺ.

خصائص المنطق النبوي

ومن تأمل المرويات الحديثية حول منطقه وكلامه يقف على عدد مهم من الخصائص المائزة والفارقة في آن معًا، تتعاطى مع مسألة بيانه التي يجب أن ترعى خلال كونها مسألة تأسيسية في أمر النبوة وتكوينها، وهذه الخصائص التي نطقت بها المرويات الحديثية مجملة فيما يلي:

١- إيثار الوضوح والبيان، وهو الأمر الذي تجده ظاهرًا مستعلنًا في حديث أم المؤمنين عائشة- رضى الله عنها- أنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم، أو كسردكم، ولكنه يتكلم بكلام بين»، وفي شرحه يبين القاري أنه ﷺ لم يكن يعجل في كلامه، ولا تتابع في كلامه بحيث يلتبس على السامع، بل كان يفصل كلامه، ويتكلم بكلام واضح مفهوم غاية الوضوح.

وهذه السمة تبدو مفهومة ومقبولة في إطار كونه ﷺ مأمورًا بالبلاغ للناس، وليس ثمة تكليف دون إيضاح وإفهام وتبيين، وفي ذلك من الشفقة والرحمة بالخلق الأمر الظاهر الجلي.

٢- الكلام عند الحاجة، ومما ورد في وصف منطقه ﷺ ما رواه هند بن أبي هالة أنه قال: كان رسول الله ﷺ لا يتكلم في غير حاجة، أي من غير ضرورة دينية أو دنيوية، وهو أمر مفهوم في إطار قضية التحرز والتوخي من الكلام بلا فائدة حسية أو معنوية، والمفهوم هو التطبيق العملي لقول الله تعالى: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾.

وهذا الذي نذكره هنا- مستنبطًا من حديث ابن أبي هالة- استقر قانونًا ملهمًا في أيدي البلاغيين القدامى، وعلماء علم لغة النص المعاصرين يعين على تفهم الخطاب، وهو المعروف بمبدأ: تحكيم المقام، وهو بعض المفهوم من قول الحديث إنه لم يكن يتكلم من غير حاجة، فالحاجة، أو الضرورة أيا ما كان نوعها تجعل للكلام الصادر بشأنها قيمة ووجاهة، وتجعل ارتباط المتلقين له بمرسله ارتباطًا ذا خصائص نوعية مؤثرة.

٣- إحاطة الكلام افتتاحًا واختتامًا بذكر الله تعالى، وقد نص العلماء في معرض بيان خصائصه ﷺ في الكلام أنه كان يفتتح الكلام ويختمه أو يختتمه بذكر الله تعالى، والمعنى أن كلامه ﷺ كان محفوفًا بذكر الله، ومستعانًا بالله، ويستفاد من هذه السمة تعليم الأمة استيعاب الزمان بذكر الوقتين ابتداءً وانتهاءً لتحقيق البركة حالًا وقالًا.

٤- التكلم بجوامع الكلم، وهذه سمة من متواتر ما استقر عند أهل العلم وصفًا لمنطقه ﷺ، وهي تعني انطلاقه فيه واحتكامه إلى القرآن في كلامه، وهو من هذه الناحية أعلى نموذج ذاب القرآن الكريم في جنانه وتجلى على لسانه.

صحيح أن هذه السمة مسوقة سوق المدح في شأن حديثه صلوات الله وسلامه عليه، لكن ذلك ليس كل ما في المسألة، بل هي عاكسة لأمر مهم جدًا.. أشار إليه القاري في شرحه لشمائل الترمذي، عندما قرر أن واحدًا من معاني هذه السمة جمعه بين فعل القرآن وقوله في سلوكه ﷺ.

أضف إلى ذلك أن هذه السمة تعكس مسألة مهمة جدًا متعلقة بمستوى بديع من القدرة العقلية، والاتزان الانفعالي تتجلى في التكلم بألفاظ يسيرة متضمنة لمعان كثيرة، وهو أمر جاء في موضعه، إذ قد ثبت له من قبل بعثته هذه الرجاحة التي كان الكلام مجلى ظهورها، ومسرح تجلياتها، ولأمر ما قالوا قديمًا: المرء مخبوء تحت لسانه، فإذا تكلم ظهر، وفي هذا السياق يمكن أن يقف المرء طويلًا أمام النصوص العوالي التالية:

«المحتكر ملعون» (المستدرك للحاكم).

«الندم توبة» (مسند أحمد).

«الصوم جنة» (سنن النسائي).

«المستشار مؤتمن» (صحيح مسلم).

«الصبر رضا» (تاريخ ابن عساكر).

ففي هذه النصوص دليل واضح على هذه السمة، ودليل واضح على ما يندرج تحتها من علم وافر، لا فضول فيه ولا تقصير، بحيث لا يمكن استشعار نقصان أو زيادة فيه.

جوامع الكلم الموصوف بها حديثه ﷺ نصوص مكتنزة بالحكمة، ترمي نحو الفصل بين الحق و الباطل، ومن ثم كان كلامه ﷺ فصلًا، متناسقًا.

٥- استثمار اللسان وغير اللسان في منطقه ﷺ، ومما اتسم به حديثه ﷺ أنه كان حريصًا على استثمار اللغة، أي الألفاظ بجوار أعضاء جسمه الشريف في عملية التواصل مع الآخرين، في بر بالغ ظاهر من وصفه بأنه لم يكن جافيًا ولا غليظًا قولًا وفعلًا، وفي هذا السياق يرصد شراح المرويات حول صفة كلامه ما يلي:

أ- أنه إذا أشار إلى أحد أشار إليه بيده، أو بكفه كلها، فرارًا من احتمال مظنة التكبر والتجبر.

ب - وأنه إذا تعجب قلب كفه من الهيئة التي كانت عليها حال التعجب.

ج - وأنه يصل إشارته بكلامه في المسألة التي يستعمل الإشارة فيها.

د- وأنه إذا غضب أعرض وأشاح إما عدولًا عما يقتضيه الغضب، أو أظهره التماسًا لفهم الآخرين.

هـ- وأنه إذا فرح غض طرفه، تواضعًا، وظهرت الوضاءة على وجهه..

وفي هذا السياق يمكن صنع معجم لإشاراته ﷺ يكون هاديًا لتحصيل المراد منها في سياقاتها المختلفة، توصلًا إلى دراسة أساليب الاتصال

غير اللفظي عنده وغاياته، وآثاره في إيضاح المعاني، والتأثير في المخاطبين والمستمعين.

كانت هذه الخصائص الأربعة هي ما دار حولها مرويات وصف حديثه ومنطقه في أدبيات السيرة النبوية المطهرة قديمًا في هذا الباب المهم.

تفرد البيان النبوي.. قراءة في الأدبيات المعاصرة

لقد كان لبعض ما مر من سمات وخصائص، أدركها شراح الأحاديث النبوية المتعلقة ببيان صفة منطق النبي الأنور ﷺ مما ورد في أدبيات شمائله ﷺ.. أثر في فتح الطريق أمام إفراد البيان النبوي بفضل الدراسة وإنعام النظر، حتى صح القول بتفرده وخصوصيته من دون غيره من أنماط الكلام التي يتعاطاها البشر جميعًا.

وفي هذا السياق تأتي مجموعة من الأدبيات المعاصرة التي التفتت إلى هذه الخصوصية التي تجلت في التأليف المستقل في البلاغة النبوية، والبيان النبوي، وسنقف عند أمثلة لمجموعتين من هذه الأدبيات نرصد من خلالهما ما توافر لهذا البيان الخصب من الميزات والسمات، من جانب، وما تفتحه من آفاق لا تزال رحبة أمام الدارسين في هذا المجال من جانب آخر كما يلي:

أولا: أدبيات البيان النبوي المعاصرة (طريق للتأصيل والتطبيق وكشف للخصائص):

وفي هذه النقطة تأتي العناوين التالية المختارة من أزمنة وأمكنة مختلفة، ولمؤلفين ذوي مشارب وتخصصات مختلفة؛ لتعكس تواتر ما اختص به البيان النبوي من ميزات جعلته في الذروة من البيان البشري:

١- البلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، ١٩٢٦م.

٢- البيان النبوي، للدكتور محمد رجب البيومي، ١٩٨٧.

٣- التصوير الفني في الحديث النبوي، لمحمد الصباغ، ١٩٨٨م.

٤- من بلاغة النبوة، للدكتور عبدالقادر حسين، ١٩٩٣م.

٥- الروائع والبدائع في البيان النبوي، لمحمد نعمان الدين الندوي، ١٩٩٦م.

ويلاحظ على هذه القائمة المختارة ما يلي:

أ- امتداد العناية بالتأليف المستقل في البيان النبوي زمنيًّا ليغطي العصر الحديث منذ فترة قديمة إلى يومنا هذا.

ب- امتداد العناية بالتأليف المستقل في البيان النبوي في الجزء العربي من العالم الإسلامي (في مصر والشام..)، والجزء غير العربي من العالم الإسلامي (في الهند..).

ج- اتساع مساحة الدرس للبيان النبوي ليغطي جوانب التنظير والتطبيق جميعًا.

د- اتصال التأليف في البيان النبوي الشريف في العصر الحديث بما ورد عن تاريخ العلم في هذا الباب عند المسلمين القدماء.

وقد برزت الحقائق التالية في تناول هذه المجموعة المختارة للبيان النبوي، بحيث يمكن أن نقرر أن الدراسة النظرية التطبيقية لنصوص من البيان النبوي أكدت ما تقرر قديمًا في باب تفرد كلامه ﷺ:

١- الخلوص والقصد والاستيفاء، وهي ثلاثة دعائم أقام عليها الرافعي درسه للبلاغة النبوية، وهذه الدعائم هي الترجمة المعاصرة لما كان معروفًا سلفًا من حيازته ﷺ لجوامع الكلم، وانتفاء اللغو عن كلامه، إذ كلامه فصل، لا فضول فيه.

وفي هذا السياق يلتفت الرافعي إلى مسألة جوهرية وحاكمة في النظر إلى بيانه ﷺ وهي من متواتر المعلوم عنه، وهي نفي الشعر عنه، وفي هذه

الحقيقة التي يعيد الرافعي استثمارها هنا إشارة مهمة لتخليص كلامه ﷺ من شبه التخيل والمبالغة، ومجافاة الحقيقة والتهويم إلى غير ذلك مما هو لصيق بطبيعة النصوص الشعرية، وهي التفاتة موفقة جدًا من الرافعي.

٢- وفي محطة ثانية ينطلق الندوي وعبدالقادر حسين تعيينًا من استثمار الثابت من خصائص بيانه ﷺ في التماس النماذج التطبيقية المبرهنة على ما جاء إجمالا في باب وصف منطقه وحديثه ﷺ، إذ التفت الندوي إلى ما سماه بإعجاز الإيجاز، ممثلا على ذلك بنموذج خطبته ﷺ بمناسبة الكسوف التي يقول فيها بعد الثناء على الله تعالى: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا حياته، فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة». ويقف الندوي أمام نموذج فريد من أدب الدفاع عن الحق، ومحاصرة الأساطير المهددة لمنطقة الإيمان الراشد الأسمى.

وقد استثمر الندوي ما روي قديمًا من علامات تظهر حين يغضب رسول الله ﷺ لانتهاك حرمات الله في تحليله لقول المصطفى: «أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر هل يهدى له أم لا؟! فوالذي نفس محمد بيده لا يغل أحدكم منها شيئًا إلا جاء يوم القيامة يحمله في عنقه»!

ففي هذا النموذج الذى اختصرناه دليل على انسجام البيان النبوي مع المقام وتعاطيه مع الموقف، والتحليل المعجمي والأسلوبي للنص الكريم كاشف عن بنية الغضب، وآليات الزجر والتحريض المانعة من الغلول، ومن انتهاك حرمة المال العام.

وفي كل تحليلاته التطبيقية يبرز الأستاذ الندوي ما استقر من أمر حيازة المصطفى ﷺ لجوامع الكلم.

وهي الخصائص التي انطلق منها عبدالقادر حسين في تحليله لعدد من

هذه أدلة انسجام البيان النبوي مع المقام وتعاطيه مع الموقف

النصوص النبوية، وإن كان قد فرقها، فلم تظهر الخصائص جلية مجموعة في حيز واحد.

٣- أما محاولة محمد الصباغ في التصوير الفني في الحديث النبوي، ففضلًا عن انطلاقها من نقطة مبدئية هي: التماس مع النص القرآني العزيز، وهو بعض المستفاد من عنوان الدراسة التي تغازل عنوان دراسة المرحوم الأستاذ سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، وهو بعض المفهوم- كما مر بنا هنا- من وصف حديث النبي ﷺ بأنه أعطي جوامع الكلم، بمعنى ذوبان القرآن في لسانه.. هذه النقطة المبدئية على فضلها لم تظهر الظهور اللائق بها في الأدبيات المعاصرة حتى في عمل محمد الصباغ هنا.

وقد جاءت خصائص العلو البياني للكلام النبوي واضحة عنده، وواضحة عند د.محمد مصطفى هدارة مقدم الكتاب رحمه الله.

٤- وازداد وضوح هذه السمة التي تستمد ألقها وبريقها من سقي القرآن الكريم لشجرة البيان النبوي عند محمد رجب البيومي، الذى يقرر أن القرآن الكريم هو أستاذ محمد ﷺ، ليقرر أن إبداع النص النبوي فرع عن إعجاز النص القرآني.

ثانيا: آفاق جديدة

على أنه من المهم جدًا أن نقرر أن ثمة أبوابًا وآفاقًا جديدة لم تزل رحبة تحتاج إلى السير في مضمارها؛ كشفًا عما يميز البيان النبوي الكريم من خلال التعانق مع المعرفة اللغوية والبلاغية المعاصرة، وهو ما يمكن أن ندلل عليه بأمثلة دالة على أن الطريق لا تزال طويلة أمام من يطمح إلى الكشف عن ميزات الخطاب النبوي الشريف وهي:

١- الخصائص الفنية في الأدب النبوي، للدكتور محمد بن سعد الدبل، ١٤١٩هـ.

٢- تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، للدكتور حسام أحمد قاسم، ٢٠٠٥م.

٣- مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، السياق وتوجيه دلالة النص، للدكتور عيد بليغ، ٢٠٠٨م.

فهذه نماذج ثلاثة تفتح سبلًا متنوعة لإمكان التعاطي مع الحديث النبوي من مستويات متعددة كلاسيكية تقليدية، على ما يتبدى من دراسة محمد الدبل، ودلالية لغوية في دراسة حسام قاسم، وإرهاصية تطمح إلى ميلاد نظرية بلاغية خاصة بالحديث النبوي تتعاطى مع خصوصيته، تدخل في حوار مثمر مع عدد من المقولات في الدساتير البلاغية الوافدة من الجغرافية الغربية بغية نقضه، والقفز بعيدًا عن حدود تطبيقها على الخطاب النبوي.. ولا سيما في جوهره التعليمي، مما يعيد الثقة مرة أخرى- بعد زمان طويل من التغريب- بإمكان خلق نظرية بلاغية عربية ذات نسق عربي خاص يعترف بخصوصية الأنساق الكلامية العربية.

إن دراسة الخطاب النبوي في دلالته على تفرد وخصوصية أمر قديم ظاهر في العناية التي أفردت له في الدرس التراثي، في مثل المجازات النبوية التي أبدعها الشريف الرضي، وهو الخيط الذي ظل موصولًا بحياة العلم حتى العصر الحديث.. وإن اتخذت هذه الحياة مسارات متنوعة قابلة لمزيد من التنوع في قابل الزمان، ليظل ذلك كله شاهدًا على المكانة المرموقة التي يحتلها النص النبوي الشريف في الميزان الحضاري للخطاب الإسلامي، وليظل شاهدًا كذلك على عظمة النبي ﷺ.

الخطاب الديني من خلال الأحـــ

(ماهيته .. أهميته)

محمد عرابي- باحث في الدراسات الإسلامية

يعد الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية ركنا من أركان العملية التربوية المهمة في بناء الفرد والمجتمع، بما يحمله من قيم أصيلة ومعان سامية وتوجيهات ربانية، تستهدف الإنسان الذي هو محور العملية التوجيهية، بخاصة الشباب الذين هم عماد الأمة ورمز قوتها ورمز عطائها ومشعل حضارتها، فالخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية منصب على تحقيق أهداف الإسلام في بناء شخصية متكاملة قدوتها الرسول ﷺ، وتستهدف تنشئة صالحة قويمة، بحيث يعيش الشباب حياته في أمن وطمأنينة، وفي سعادة وصلاح حالٍ، يدرك رسالته في هذه الحياة إدراكا واعيًا صحيحًا مستنيرًا، ويؤدي هذه الرسالة بقوة وأمانة، فالشباب هم الفئة المقصودة أكثر من غيرها في الخطاب الديني اليوم، لبناء شخصيتهم وعلاج مشكلاتهم، فهو خطاب تربوي موجه، له غاياته وأهدافه وأساليبه وخصائصه.

مفهوم الخطاب الديني:

الخطاب الإسلامي هو الخطاب الذي يستند إلى مرجعية إسلامية من أصول دين الإسلام: القرآن والسنة، وأي من سائر الفروع الإسلامية الأخرى، سواءً كان منتج الخطاب منظمة إسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أم غير رسمية أم أفرادا متفرقين، جمعهم الاستناد إلى الدين وأصوله كمرجعية لرؤاهم وأطروحاتهم لإدارة الحيوات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمؤسساتية والثقافية التي يحيونها، أو التعاطي مع دوائر الهويات القطرية أو الأممية أو الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها.

والخطاب الإسلامي يمتاز بالتجديد في إطار أسس العقيدة الإسلامية، وترتبط مضامينه بحاجات المسلمين، وفق احتياجاتها ووفق أولوياتها، وتتصل مقاصده لمعالجة التحديات التي تواجهها الأمة، وليس بخاف أثر المعركة الثقافية التي تديرها ضدَّ الإسلام والمسلمين مؤسسات معادية، يقف وراء حملاتها فكرٌ مضادٌ يستهدف كيان الأمة، يشن الغارة على أسسها وقيمها، وينسب إلى دينها قيما باطلة صاغ منها مقولات الإرهاب الإسلامي والتخلف الإسلامي، وغيرهما من المقولات الباطلة، وهدفه إيجاد فاصل من التمييز والكراهية بين أمة الإسلام والأمم الأخرى. (١).

ويقصد بالخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية: الكلام الموجه من قبل الرسول ﷺ، سواءً الموجه للفرد أو الجماعة، والذي يحمل مضمونًا دينيًا تربويًا ذا طابع توجيهي وإرشادي، بما يحقق المصلحة العامة للخطاب في

ـــــاديث النبوية

الدنيا والآخرة، ويسهم في بناء شخصية سوية ومتوازنة. (٢).

ويؤخذ من التعريف السابق أن أسلوب الخطاب من أبرز الأساليب النبوية المستخدمة في توجيه الشباب وعلاج مشكلاتهم، فالخطاب - ولا يزال - هو الأسلوب الأمثل في التأثير على المخاطبين أو المتلقين، طالما اعتمد على الإقناع المنطقي، والتحفيز النفسي، والتوجيه الديني... إلخ، مع اعتماده على الوسائل اللغوية المطلوبة في التأثير - على تعددها- كل منها في سياقها المناسب للموضوع المطروح، وقد التفت القدماء إلى أهمية الخطاب وتأثيراته في شتى المجالات، وكانت تأثيرات الخطاب القرآني والنبوي من أبرز التأثيرات، وأعظمها أثرًا، حتى لقد تحول المجتمع الجاهلي إلى مجتمع مختلف، وعمت تأثيراته العالم بأسره، ليسطع نور الحق والخير والعدل على الإنسانية جمعاء، متى ما أصغت بوعي لذلك الخطاب الرباني، وتخلت عن آفتي الكبر والعناد، والتفتت إليه بحيدة وموضوعية صرفة، كما فعل الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم.

إن التحول الكبير والنجاح العظيم الذي حققه ﷺ في صناعة الأمم والأجيال، حتى ارتفعت الأمة من السفوح إلى قمم الجبال، كان نتيجة منهج تربوي تعليمي دعوي رصين، له معالمه وسماته، وهو بلسم ودواء أصيل لما نزل بالأمة من انحدار وانكسار وهوان، فحري بنا أن نتأمل منهج النبي ﷺ، وطريقته في تربيته وتعليمه ودعوته، وندرس الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية الموجهة للشباب دراسة متأنية متفحصة، لتحديد معالمه واستنباط سماته وخصائصه، فلن يصلح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

إن الأحاديث النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، لكونها جاءت وحيًا من الله عز وجل، أجراه على لسان رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (النجم: الآيات ٣ -٥) وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر:٧).

لقد تحقق في شخصية النبي ﷺ المثل الأعلى والنموذج الأسمى للكمال الإنساني، وهذه الشخصية المعجزة الخاتمة التي جمعت تمام القيم وعظيم المُثُل تظل دومًا قدوة مُثلى ونموذجًا يُحتذى وأسوة حسنة في شتى مجالات التربية وجوانب التنشئة.

فشخصية النبي ﷺ تُمثل وتُجسد تعاليم وتربية الإسلام قولاً وأداءً وتعاملاً في مختلف شؤون حياته من عبادات ومعاملات؛ سواءً أكان ذلك الأداء قوليًا، أو فعليًا، أو موافقةً منه ﷺ لما صدر عن بعض أصحابه رضي الله عنهم من الأقوال أو الأفعال؛ فإن هذا يعني أنه ﷺ بمثابة «المثال الإنساني المتفرد، الذي يُعتبر اتّباعُه والتأسي به جزءًا أساسيًا من التكليف الإلهي المتكامل الوارد في الكتاب والسُنة، سواءً أثناء بعثته، أو بعد موته، وإلى يوم القيامة.. وهو المثال الذي ينبغي أن يُحتذى في كل ما ثَبَتَ أنه فعله، أو قاله، أو قرّره، دون أن يطمح أحدٌ في بلوغ مرتبته، سواءً في الأداء، أو في الإحسان، أو في الثواب». (٣).

وشخصية النبي ﷺ، هي الشخصية الإنسانية المثالية التي يجد فيها الإنسان مربيًا عظيمًا ذا أسلوب تربوي فذّ، يُراعي حاجات الطفولة وطبيعتها، ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، أي يراعي الفروق الفردية بينهم، كما يُراعي مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم، يُراعي في المرأة أنوثتها، وفي الرجل رجولته، وفي الكهل كهولته، وفي الطفل طفولته، ويلتمس دوافعهم الغريزية؛ فيجود بالمال لمن يُحب المال حتى يتألف قلبه، ويُقرّب إليه من يُحب المكانة؛ لأنه في قومه ذو مكانة، وهو من خلال ذلك كله يدعوهم إلى الله وإلى تطبيق شريعته، لتكميل فطرتهم، وتهذيب نفوسهم شيئًا فشيئًا، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم، وتوجيه طاقاتهم لاستغلالها في الخير والسمو. (٤).

وإنه من الطبيعي أن يبلغ النبي ﷺ رسالته من خلال طرق وأساليب كان لها دورها الفعال في استيعاب الصحابة رضي الله عنهم لها، وامتثالهم لما جاءت به من مُثل وقيم وتعاليم، ساعد في ذلك ما تحلى به النبي المعلم ﷺ بما منحه الله إياه، فلقد كان ﷺ مستكملاً للصفات التي لا غنى عنها في إبلاغ كل رسالة عظيمة من رسالات التاريخ، كانت له فصاحة اللسان واللغة، فقد أوتي ﷺ جوامع الكلم وفصل الخطاب، وكانت له قدرة على تأليف القلوب وجمع الثقة، وكانت له قوة الإيمان بدعوته وغيرته البالغة في نجاحها. (٥). لقد كان ﷺ يمتاز بسهولة ألفاظه، ودقة اختياره لمعانيها، يكره التكلف وفضول الكلام، لم يسمع الناس بكلام أعم نفعًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ. (٦).

لقد قام علماء الأمة بمحاولة تصنيف الأحاديث النبوية، وجمع ما كان له علاقةٌ بالجانب التربوي في عدد من الكتب والمؤلفات التي تتحدثُ عن بعض الملامح والتوجيهات والدروس المستفادة من هدي التربية النبوية، ومنهجها العظيم، وأهدافها السامية، وأساليبها المتعددة في جوانب مختلفة من الحياة.

وليس هذا فحسب؛ فهناك كثيرٌ من الدراسات والاجتهادات التي ركّزت على المضامين والمفاهيم والأبعاد والآداب والدروس التربوية النبوية، فكُتبت الكتب وأُلفت المؤلفات، وأعدّت الدراسات المتنوعة التي توضح بما لاشك فيه أن السُّنة النبوية المطهرة مصدرٌ تربويٌ رئيسٌ وزاخرٌ بالكثير من المبادئ والقيم والأهداف والأساليب والمضامين والدروس ذات العلاقة بحياة الإنسان والمجتمع المسلم.

أهمية الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية:

تظهر أهمية الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية من خلال:

١- الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية الموجهة للشباب يساهم في الوقاية من الخطأ والضلالة، لقول النبي ﷺ الذي رواه مالك (ب.ت، ج٥، ص١٣٢٣): «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه».

٢- الاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب -٢١)، فالنبي ﷺ خير قدوة يقتدي بها المسلمون في جميع النواحي الأخلاقية والتشريعية والعقائدية، فهو ﷺ يمثل المنهج الذي يعلمه ويربي به ويربي على هديه بلا تناقض بين القول والعمل والقدوة التي أعطاها (٧) قد بلغت في مراتبها أعلاها، وكلما توالت الدهور وتعاقبت العصور، وجد الناس في توجيهات وعبادة النبي ﷺ وأخلاقه الشاملة المُثل العلا والأسوة الصالحة والمنار الهادي.

٣- الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية يوجه سلوك الشباب ويعطيهم التناسق وعدم الازدواج بين الفضيلة والرذيلة ومعرفة الأمور، ومحاكمتها للتمييز بين الصواب والخطأ والمرغوب فيه والمرفوض والأخلاقي وغير الأخلاقي.

٤- الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية وأفعال الرسول ﷺ وأخلاقه وتقريراته وشمائله وفضائله، هي القواعد التي بُني عليها المجتمع الإسلامي، فدراسة سيرة الرسول ﷺ هي في جوهرها دراسة في تشكيل حضارة، وبناء أنموذج حياة جديد.

٥- الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية يعمل على ضبط تصرفات الفرد وفق معايير وأخلاق راسخة ومثل سامية، فينتج لنا قلوبًا جديدة خلاقة، ونفوسًا حية قوية فتية، ومشاعر غيورة متأججة، وأرواحًا طموحة متطلعة متوثبة، تتخيل مُثلا عُليا وأهدافًا سامية لتسمو نحوها وتتطلع إلى الوصل إليها، قبل أن تسعى إلى بلوغها والتمسك بها.

٦- الخطاب الديني من خلال الأحاديث النبوية يستمد أهميته من عالمية الرسالة الإسلامية، فالإسلام عقيدة وشريعة لحكم الحياة، ومعنى عالمية الرسالة أنها دعوة لجميع البشر، دعوة ليست عنصرية، ولا قومية، ولا محدودة بحدود جغرافية أو إقليمية أو وقتية.

التحول الكبير الذي حققه النبي ﷺ في صناعة الأمم والأجيال جاء نتيجة منهج تربوي دعوي رصين

الهوامش

١- الدسوقي محمد (١٤٢٣): تجديد الخطاب الإسلامي، مجلة منار الإسلام الإماراتية، صفر ١٤٢٣- مايو٢٠٠١،ص٥٧.

٢- أبو دف محمود خليل (٢٠٠٨): جودة الخطاب التربوي في السنة النبوية (دراسة تحليلية)، بحث مقدم لمؤتمر المعلم الفلسطيني، غزة، جامعة الأقصى، كلية التربية. ص٥.

٣- رمزي عبدالقادر هاشم (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية التربوية، الدوحة، دار الثقافة، ص٥٨.

٤- النحلاوي عبدالرحمن (١٤٢٦هـ). أصول التربية الإسلامية وأساليبها. ط (٢٣)، دمشق: دار الفكر، ص (٢٦- ٢٧).

٥- علي سعد إسماعيل (١٤٢٦): أصول التربية الإسلامية، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٦٤.

٦- العماري علي (١٤٣١): بلاغة الرسول ﷺ، القاهرة: وزارة الأوقاف، سلسلة دراسات إسلامية، العدد ١٧٥، محرم ١٤٣١- يناير٢٠١٠، ص٦٥.

٧- الأنصاري عبدالله إبراهيم (١٩٨٧): تربية الناشئة في ضوء السيرة، الدوحة - قطر، مطابع قطر الوطنية، ص٥٣.

القرن الهجري

عمر زهر الفل - الكويت

من لابن آدم وهو اليوم مقتول
بزخرف العلم مفتون ومخبول
يُغري العوالم بالعلم الذي جَهِلَتْ
منه الملايين، تسبيها الأباطيل
والعلم إن كان مقرونا بمظلمة
يوما فقد فَضَل المعلومَ مجهول
في هيئة الأمم الشلاء ساخرة
ندَّ السلام ولج القال والقيل
نبغي السلام وقد مل السلام وما
نبغي من الحق مهجور ومملول
في كل عام لنا ذكرى مهاجرة
المسلمون بهم هجر وتنكيل
إذ هاجر الحق من أم القرى وسرى
يجلو العقول، وما للحق تبديل
تقسو قريش فيدعو الله مغفرة
ويشتكي ليس إلا اللهَ مسؤول
تلكم قريش أتت تزجي عصائبها
وقد سرت معها العود المطافيل
وساومته فما يبغيه من ذهب
وسؤدد وعذارى فهو تنويل
يستعجل النور أن يغشى قلوبهم
قبل الممات، وخير الخير تعجيل
عودي قريش بهذا العرض خائبة
واسترشدي إن ما تبغين تضليل
أتصطفين من الجلمود آلهة
وقد أتاك من الرحمن تنزيل؟
أم تحسبين رسول الله منخدعا
بالمغريات وما تصبي الأقاويل
واستنكفت وتعالت واستبد بها
كره وغدر وتقتيل وتمثيل
يمضي النبي- وأرض الله واسعة
يستعذب المر، تحدوه العراقيل
إلى ثقيف وفي أنفاسه لهب
ومعلم الشوك في الأقدام تخليل
يهدي البضاعة أهليها بلا ثمن
كيما يحل مكان الشرك تهليل

أغرت به سفهاء الحي فابتدروا
فكان أرباحه طرد وسجيل
أوى إلى الظل يشكو ليس من جزع
يسترحم الله والغفران مأمول
وعاد حيث أتى مستلهما رشدا
للدين عزا وللطاغوت تذليل
وأنكرته قريش صاحبا وأخا
فأم طيبة ميلا إثره ميل
بنفسي الغار من غار يطيبه
وموطن الطيب في المختار تأصيل
واستقبلت يثرب الأنوار فانبعثت
فيها الحياة وآخى الند قابيل
وعاد مكة إذ كفارها خُرُسٌ
والنصر منضفرًا في الرأس إكليل
أخ كريم.. تلقوها مقابلة
بالظلم عدل، وبالهجران توصيل
لولا ابن آدم مخلوق على عجل
ويسبق العسر في الإسلام تسهيل
لم يرتض الله غفرانا ومعذرة
حتى يكون لطبع النفس تحويل
لكنه الخلق المحمود مجتمعا
علم وحلم وإجلال وتكميل
تحية لأمير الرسل، أرسلها
في يوم هجرته والدين مغلول
ووقفة ذات إكبار وهيمنة
لمن له في جنان الكون تجبيل
علمتنا الوحدة الكبرى وكنت لنا
أنت الحسام وفي الظلماء قنديل
صنت العروبة بالإسلام فامتنعت
وكان يخطفها غزو وتقتيل
خلوا الحنيفية السمحاء فافترقوا
صرعى الثقافة جيلا بعده جيل
قالوا هو الغرب نحذو ركبه أمما
خاب الكسول وما تجدي الأقاويل
حتى سطا ببلاد العرب وانحسرت
دنيا الفرات وشط العرب والنيل

فلا العروبة تدري من يصادقها
سوى شعار به زور وتهويل
ولا الشريعة في الأقطار تعمرها
ولا لها مثلما كانت مفاعيل
ويهجر المسلمون الأرض ضائقة
مثل الرسول ولا يرجى لهم سول
شتان من حمل الأسياف مغمدة
ومن يخوض الوغى والسيف مسلول
رباه... نفحة فضل منك توقظنا
يكن لنا في جبين الدهر تحجيل

الإسلاموفوبيا
أسباب البروز وإمكانات التجاوز

محمد شتوان - باحث مغربي

لم تمنع كثرة القراءات وتعدد التحليلات والتفسيرات لطبيعة العلاقة القائمة بين «الإسلام والغرب» من الاتفاق على أن هذه العلاقة شهدت فصولًا ليست بالقصيرة من الصراع والاحتقان، وصلت في كثير من الأحيان إلى المجابهة العسكرية. وما كان من جوانب مضيئة في هذه العلاقة فقد بقي استثناء من القاعدة؛ لأن نقاط الاصطدام والمواجهة تفوقت كمًا وكيفًا على نقاط التلاقي منذ ظهور الإسلام إلى يوم الناس هذا.

في فصل جديد من فصول تأزم هذه العلاقة، شهدت المجتمعات الغربية في الآونة الأخيرة موجة من الممارسات العنصرية، وأشكالا من العداء والتمييز ضد الإسلام والمسلمين، تم إدراجها تحت مسمى «الإسلاموفوبيا». فما معنى هذا المصطلح؟ وما تجلياته وأسباب ظهوره؟ وكيف السبيل إلى مواجهة آثاره ونتائجه؟

الإسلاموفوبيا.. مصطلح جديد لمعنى قديم

يشير مصطلح «فوبيا «Phobia» إلى خوف لاشعوري وغير مبرر من مواقف أو أشخاص أو نشاطات أو أجسام معينة، وهو بذلك يصنف كمرض نفسي ينبغي علاجه. ومن أشكال هذا المرض: الخوف من الأماكن والمناطق المرتفعة Acrophobia -الخوف من الأجانب (Xenophobia) -الخوف من الأماكن المغلقة (Claustrophobia)...

وعند إضافة هذه الكلمة إلى الإسلام مشكلة «إسلاموفوبيا» يصبح المعنى: «خوف مرضي غير مبرر وعداء ورفض للإسلام والمسلمين»(١). ويشير هذا المصطلح كذلك إلى النتائج العملية المترتبة على هذا العداء سواء تجاه الأفراد أو المؤسسات. وهو تعريف قد يعتبر غير دقيق، لأن الأمر هنا لا يتعلق بمرض أصاب المجتمع الغربي، وإنما هو ظاهرة لها أسبابها السياسية والاجتماعية.. لكن يبقى أن هذا المصطلح يعبر عن المشاعر السلبية التي تجتاح المجتمع الغربي تجاه المسلمين، مشاعر تترجم سلوكيات مجحفة في حق الإسلام والمسلمين.

الإسلاموفوبيا: محددات وتجليات

قامت مؤسسة بريطانية تدعى (The Runnymede Trust) تعنى بأمور حقوق الإنسان والأقليات والعرقيات في المجتمع البريطاني، في تقرير لها بعنوان: «الإسلاموفوبيا: تحد لنا جميعا» بوضع مجموعة من المحددات أو العناصر التي متى وجدت فثم ظاهرة «الإسلاموفوبيا».. وهذه المحددات هي(٢):

١- النظر إلى الإسلام على أنه كتلة متجانسة أحادية جامدة لا تستجيب للتغيير.

٢- النظر إلى الإسلام على أنه كائن مستقل ليس له قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى وهو لا يتأثر بها أو يؤثر فيها.

٣- النظر إلى الإسلام على أنه دوني بالنسبة للغرب.. بربري وغير عقلاني، بدائي وجنسي النزعة.

٤- اعتبار الإسلام عنيفا وعدوانيا ومصدر خطر مفطورا على الإرهاب والصدام بين الحضارات.

٥- اعتبار الإسلام إيديولوجية سياسية لتحقيق مصالح سياسية وعسكرية.

٦- الرفض التام لأي نقد يقدم من طرف إسلامي للغرب.

٧- استعمال العداء تجاه الإسلام لتبرير ممارسات تمييزية تجاه المسلمين وإبعادهم عن المجتمع المهيمن.

٨- اعتبار العداء تجاه المسلمين أمرًا عاديًا وطبيعيًا ومبررًا.

إن لائحة التهم هاته التي تستقي مدادها من محبرة الحقد والعداء، والتي تعمل جهات معينة على نشرها وتعميمها، ترسم صورة قاتمة عن الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية، وتسهم بالتالي في تفاقم ظاهرة الإسلاموفوبيا، وفي تغذية المشاعر السلبية المتزايدة ضد المسلمين.

مشاعر تتجلى في مظاهر الرفض والكراهية لكل ما يمت للإسلام والمسلمين بصلة، حتى أضحى لا يمر أسبوع أو اثنان إلا وتتناقل وسائل الإعلام واقعة جديدة في مسلسل الاشتباك مع الإسلام، فمن اعتقالات عشوائية إلى منع للحجاب، ومن منع للمآذن وحديث عن هدم بعضها إلى الطعن في نبي الإسلام والسخرية منه والتشهير من بابا الفاتيكان..

وفيما يلي بعض المشاهد التي تتجلى فيها مظاهر الخوف والتخويف من الإسلام (٣):

- الهجمات اللفظية والجسدية على المسلمين في الأماكن العامة. ولاسيما ضد الشباب والنساء اللواتي يرتدين الحجاب.
- الاعتداء على المساجد وتدنيس مقابر المسلمين وذلك بالكتابة على الجدران وإلقاء القنابل الحارقة (٤).
- انتشار صورة نمطية سلبية عن المسلمين على نطاق واسع في وسائل الإعلام، وترويج هذه الصورة النمطية والملاحظات السلبية والأحكام المسبقة في الخطب السياسية والدينية وفي المحادثات والكتابات بشكل لن يكون مقبولًا إذا كان الحديث عن اليهود أو السود على سبيل المثال.
- التمييز والإقصاء من الحصول على فرص العمل، وتوفير الخدمات.
- استبعاد المسلمين أفرادًا وجماعات من مباشرة الشأن العام والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
- البيروقراطية والجمود في الرد على طلبات المسلمين في التعليم والرعاية الصحية والترخيص لطلبات الحصول على المساجد.
- قوانين الحد من الحريات المدنية التي تؤثر بشكل غير مناسب على المسلمين.

ولا نبالغ إذا قلنا إن تاريخ توتر العلاقة بين الغرب والإسلام يعود إلى اللحظة التي ظهر فيها الإسلام، أي إلى القرن السابع الميلادي. فظهور الإسلام وانتشاره ودخول شعوب نصرانية في

دين الإسلام، والفتوحات الإسلامية التي حررت الشرق من الاستعمار الغربي (الإغريقي الروماني) الذي دام عشرة قرون، والفروسية الإسلامية التي اقتلعت الاستيطان الصليبي الذي دام قرنين من الزمان.. كل ذلك جعل هذه المؤسسة تصب جام غضبها وكامل حقدها على هذا الوافد الجديد الذي زاحمها في مناطق نفوذها واقتحم عليها معاقلها.

يقول مارتن لوثر مؤسس الكنيسة البروتستانية: «لقد استيقنت أنه لا يمكن عمل شيء أكثر إزعاجا لمحمد Mahmet أو الأتراك، ولا أشد ضررًا (من جميع أنواع السلاح) من ترجمة قرآنهم ونشره بين المسيحيين، عندئذ سيتضح لهم أي كتاب بغيض وقطيع وملعون هذا القرآن ملىء بالأكاذيب والخرافات والفظائع» (٥).

«واعتبر المسيحيون الأوروبيون من سماه المسلمون نبيًا، وخاتما لسلسلة الأنبياء التي بدأت بآدم عليه السلام، رجلا عاش حياة داعرة، وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط. ولم يتورع خيال مسيحيي أوروبا، المتعطشين للظفر والتوسع، والذي نتجت عنه أساطير وهمية عدائية، عن خلق الأكاذيب وترويجها» (٦).

ومن ثم فقد عاش الغرب حتى يومنا الحاضر يجتر الصورة النمطية السيئة التي رسمها اللاهوتيون للإسلام والعرب منذ بداية علاقة الغرب بهما في القرون الوسطى. ورغم اختلاف وتنوع الأساليب التي صيغت بها تلك الصورة النمطية في العقل الغربي، إلا أنها حافظت على معالمها الرئيسة واستطاعت أن تتجاوز مختلف الظروف والملابسات وتصمد في وجه العديد من التغيرات التي حدثت في العلاقة بين الغرب والعرب على مر العصور.

المؤسسة الاستشراقية

تعد حركة الاستشراق واحدة من أهم وأخطر القنوات التي أسهمت في تشكيل الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والمسلمين، وترسيخها في مخيلة العقل الغربي الفردي والجماعي.

فالاستشراق بوجهه الكلاسيكي أو ما بات يعرف بـ«الاستشراق الجديد»، شكل القاعدة الخلفية والمصنع الفكري الذي يمد المُنصّر والمستعمر بالمواد والأسلحة المناسبة من أجل فرض السيطرة على شعوب الإسلام، وهدم عالم أفكاره.

وترجع الوسائل الفكرية التي استخدمها المستشرقون لتشويه تاريخ الأمة الإسلامية وتشويه حاضرها إلى الأصول التالية (٧):

- التشكيك في مصادر الدين الإسلامي وصحة نبوة الرسول ﷺ.
- إلقاء الشبهات حول أحكام الإسلام التشريعية ومصادرها.
- المغالطات.
- تزيين الأفكار البديلة.
- افتراء الأكاذيب واختراع التعليلات والتفسيرات الباطلة.
- التلطف في دس السموم الفكرية بصورة خفية ومتدرجة.

ومن الإنصاف أن نشير أنه بين حين وآخر يظهر من بعضهم إنصاف للحقيقة دون تحيز فتظهر شخصيات أوروبية مستنيرة لها وزنها تتخذ إزاء الإسلام بعض المواقف الإيجابية، ويحسب للحركة الاستشراقية أيضا عنايتها بالمخطوطات العربية في المكتبات الغربية، وفهرستها، وتحقيق العديد من أمهات الكتب العربية في شتى مجالات الفكر الإسلامي، والقيام بالعديد من الدراسات اللغوية المفيدة.

وسائل الإعلام... والدور المشبوه

تمكن الإعلام الغربي بتقنياته الهائلة وتأثيره الواسع من نحت صورة نمطية غاية في السلبية عن الإسلام والمسلمين، صورة تحمل كل صفات القبح والإرهاب والتخلف... وما شئت من النعوت القدحية.

وصدر في الآونة الأخيرة كتاب جدير بالاحترام لمؤلفه جاك شاهين بعنوان: «Reel Bad Arabs العرب السيئون.. كيف تشوه هوليوود شعبًا»، اشتغل عليه

صاحبه زهاء عشرين عامًا، واستقصى فيه نحو ألف شريط سينمائي ووثائقي.. الكتاب أحدث صدمة في الأوساط الثقافية الأميركية لأنه خرج بنتيجة مفادها أن هوليوود كانت تمارس تشويها منظمًا ومقننا لصورة المسلمين على امتداد قرن من الزمان.

إن صناعة الخبر المشوه واستغلاله أيديولوجيًا لتعبيد الطريق أمام الحملات القادمة على الإسلام قد دخل في أجندة وسائل الإعلام الغربية منذ أمد، فالمتتبع لهذا الإعلام يلاحظ أنه يقوم بتصيد بعض أخطاء المسلمين وينشرها ويعظم من شأنها ويؤكد أن هذا هو الإسلام، فجميع وسائل الإعلام وخاصة الإعلام السينمائي المرئي يصور المسلمين على أنهم مجموعة من البدو يتسمون بالهمجية والتخلف وأنهم مصدر كل بلاء، ولا تمل قنواتهم من عرض نفس الصور النمطية المكررة والمنتقاة بعناية تظهر مشهدًا خلفيًا لأناس يصلون في العراء، وتجمعات حاشدة تولول وتهدد، ونساء منقبات، ووجوه ملتحية، وأفواه مفتوحة وعيون محملقة.

الإسلاموفوبيا... سبل التجاوز

ولتجاوز هذه الظاهرة ومعالجتها لابد من معالجة مجموعة من الأمور على رأسها:

- الأفهام السقيمة لبني جلدتنا، فبعض أشكال الخطاب الإسلامي التي تميل إلى عدائية مفرطة تجاه الغرب يجب تجاوزها وسلوك طريق أكثر اعتدالاً يناسب رسالية الإسلام ووسطيته؛ فالصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين تؤول في نهاية الأمر إلى «الصد عن سبيل الله»، وهذا يوجب تحمل المسؤولية لمعالجة تلك التشوهات أو الإسهام في ذلك.
- تجاهل صغائر الأمور يُميتها، فلا ينبغي للمسلمين أن يقيموا الدنيا ولا يقعدوها لكل تافه يريد أن تتسلط عليه أضواء الكاميرات أو ناعق كتب كتابًا أو رسم رسمًا.

لو أن كل كلب عوى ألقمته حجرا
لصار الصخر مثقالاً بدينار

- إن أهم ما ينبغي على المسلمين فعله خاصة في البلدان الأوروبية هو أن يعكسوا الإسلام الحقيقي في سلوكهم، لأنك مهما حاولت أن تُروِّج لمُثل وأخلاق سامية موجودة في الإسلام، فلن تلقى من الآخر أذنًا صاغية إلا إذا رآها سلوكًا عمليًا في أرض الواقع.
- يحتاج المسلمون في هذه المجابهة إلى عمل مؤسسي منظم تقوم به مؤسسات ومراكز دراسات حتى يكون له الأثر المرجو في مستويات متعددة، بدلا من الجهود الفردية الراهنة سواء في مجال رصد ما ينشر أو يذاع عن الإسلام والمسلمين أم في مجال مواجهة ما ينشر في مختلف القنوات الإعلامية الغربية، على اعتبار أن الجهود الفردية تظل غير قادرة على تفعيل آليات المواجهة والرد والتصحيح، هذه المواجهة هي بالدرجة الأولى مواجهة فكرية، والفكر لا يقابل إلا بفكر.
- يحتاج المسلمون إلى آلة إعلامية تضارع الآلة الإعلامية الغربية، فلا يمكن مجابهة ما ينشر في وسائل إعلامهم المجيشة، بالعاطفة والخروج في مسيرات ومظاهرات.. بل لابد من التركيز على إعلام محترف يعمل على التواصل المباشر مع المعنيين، وصياغة سياسة إعلامية تحول دون الاستمرار في إنتاج هذه الصورة، من خلال توضيح الأخطاء وكشف التحيزات...وإن اقتضى الأمر اللجوء إلى القضاء لإيقاف هذه التغطيات المغرضة والمجتزأة.

علينا العمل على صناعة آلة إعلامية تجابه إعلام الغرب

الهوامش

1- انظر: HYPERLINK «http://www.nasuwt.org.uk» www.nasuwt.org.uk TACKLING ISLAMOPHOBIA Advice for Schools and Colleges p:3 HYPERLINK «http://www.plunder.com/Islamophobia-and-its-Consequences-on-Young-People-pdf-» http://www.plunder.com/Islamophobia-and-its-Consequences-on-Young-People-pdf- p:6

2- انظر :HYPERLINK«http://www./runnymedetrust.org html»http://www..32/publications/17 /runnymedetrust.org html.32/publications/17 Islamophobia: A Challenge for Us All

3- Islamophobia issues, challenges, and action :A report by the commission on british Muslims and islamophobia, p:7- 8

4- لمزيد من التفصيل في هذه الاعتداءات ينظر تقرير منظمة حقوق الإنسان Hate Crime Survey: 2007 Islamophobia المنشور بموقعها الإلكتروني: www.humanrightsfirst.org

5- الإسلام في التراث الغربي- دراسات ألمانية، ترجمة ثابت عيد، طبعة نهضة مصر القاهرة 1999 (سلسلة في التنوير الإسلامي) ص: 21

6- الإسلام في التراث الغربي، ص 23.

7- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير- الاستشراق- الاستعمار، عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة 1420هـ- 2000م، ص: 138.

و لمزيد من المعلومات حول هذه الأدوار المختلفة للمراكز الاستيراتيجيّة، ينظر: الصراعات الأصوليّة والحداثة. محمد سبيلا (الرباط، سلسلة المعرفة للمجتمع، طبعة عام 2000م) كما ينظر: الاستشراق والخلفية الفكريّة. محمود حمدي زقزوق- (الدوحة، كتاب الأمة).

نحو ردة فعل إيجابية تجاه الإساءة

عبدالعزيز قاسم - إعلامي وكاتب سعودي

ثمة ما يريب في هذه الانتفاضات التي تسربل العواصم العربية اليوم، بتلك الاحتجاجات التي نحت للعنف والحرق والقتل، تجاه فيلم بذيء لا يستحق كل هذه الضجة التي أقمناها له، وبين العقلانية التي تطالب بها النخب المثقفة، وقد اتهموا الذين يقومون بالمظاهرات والاحتجاجات بأنهم عاطفيون، وبين الأخيرين الذين ردّوا ببرود هاته النخب وعدم الغيرة لجناب سيّد الخلق ﷺ، تلوب الأمة في أتون فتنة تتصاعد وتكبر ككرة ثلج، نسأل الله أن ترتدّ سلبًا على من أيقظها.

بالتأكيد، لسنا باردي المشاعر، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بمقدس، وقد عاتبني أحدهم في (تويتر) بقوله: حسبناك عاقلاً متزنًا، أين ثقافتك وأنت تساير العامة في الهيجان؟ أجبته: لا بارك الله في ثقافة، تقعد بي عن نصرة سيد ولد آدم ﷺ، إن لم ننتفض لهذا الحبيب الذي نقدّمه على أنفسنا وأهلينا وأولادنا، فلا خير في هذه الثقافة التعسة.

حتمًا، نحتاج لهذه العاطفة التي تتفجّر منا حبًّا في النبي الأعظم أن تحاط بالعقل والحكمة، وألاّ تجلب آثارًا أكبر من الجريمة التي اقترفها بعض أقباط المهجر في الولايات المتحدة الأميركية.. بيد أن السكوت والبرود وعدم المبالاة أيضًا، هي والله نكسة وخذلان وقلة إيمان، فهذا محمد ﷺ! والقوم هناك، بدأوا برسومات مسيئة وانتهوا بتصويره في مقاطع غاية في السوء والتشويه، ولا ندري كيف ستتوقف إذ أعلنت هيلاري كلينتون أنها تدين تلك الأفعال، ولكن حكومة الولايات المتحدة لا تستطيع إيقاف الفيلم، بسبب قوانين حماية حرية التعبير لديهم.

المتخصصون في القوانين الأميركية والغربية عمومًا، يعرفون تمامًا أن تلك الحكومات عاجزة عن اتخاذ عقوبات، ولكن لو أرادت لفعلت، ففي حربها ضد الإرهاب، انتهكت حكومة الولايات المتحدة وداست على بنود كثيرة من قوانينهم، وفي حربها في العراق وأفغانستان، فعلت أسوأ مما تفعله دول العالم الثالث.. وليست الإشكالية معها هنا، الإشكالية الكبرى أننا قمنا برعاية حوار الثقافات والأديان، وأتينا لهم في عقر دارهم، بكل ممثلي أديان وثقافات العالم، وطلبنا إقرار قانون بتجريم ازدراء الأديان ورموزها، ورفض أولئك القوم- بحجة حماية حرية التعبير- وهم أنفسهم الذين أصدروا قوانين معاداة السامية أو الصهيونية، بحيث يخضع للمحاكمة كل من يشكك، ليس في المحرقة النازية فحسب، بل

في عدد الذين احترقوا، ويتصدّى له الإعلام، ويشوّه تاريخه، ويجرده من كل إنجازاته، مهما كان اسمه، ويحبس في نهاية المطاف.. أولا تذكرون روجيه جارودي يرحمه الله؟!

قانون أجوف

أيعقل بالله، أن تكون مراعاة بضعة ملايين من اليهود، أهمّ عند الغرب من مشاعر مليار ونصف مليار مسلم، يقذف ويشوّه أهمّ رمز لديهم، وهم الذين يقدمونه على أرواحهم، ولا يكتمل إيمانهم إلا بحبه -فداه أبي وأمي- ويحمي القانون الأجوف أولئك المجدفين ضده، ولا نملك إزاءهم شيئًا، وهم الذين يشهرون لافتة حرية التعبير في وجوهنا إن أردنا مقاضاتهم.

أنتم يا هؤلاء تبعثون كراهيتكم فينا من جديد، وتخندقون بهذا النفاق المعيب الذي تقومون به؛ كثيرًا من الشباب المعتدل، وإن لم تنتبهوا، فوالله ليخسرن الجميع بهذا الاستفزاز.

لا نريد سوى إصدار تشريعات وقوانين تحمي رموزنا الدينية، ومساواتنا باليهود في موضوع معاداة السامية والصهيونية، ليقع تحت طائلة القانون كل من يسيء لمقدّس لدينا، وليس هذا بالطلب الكبير المعجز، في مقابل ما ستخسرونه بهذا الإجحاف تجاهنا.. بهذا الاجحاف في حقنا والانحياز الأعمى لإسرائيل، وضد كل ما هو متعلق بالإسلام، ستجعلون من التطرف ملاذا لكثير من الشباب الغاضب، وسيخسر الكل وقتذاك.

حلول إيجابية

بعيدًا عن الغرب، أودّ أن أطرح حلولًا إيجابية وبناءة موازاة مع ما يقوم به المسلمون الذين تأذوا من ذلك الفيلم المسيء، فمن الضروري أن ينبري قانونيون فايدعمهم التجار ورجال الأعمال وحتى الحكومات، بمقاضاة أولئك المجدفين وملاحقتهم في المحاكم العالمية، لإنهاكهم وإيصال رسالة لكل من تسوّل له نفسه مستقبلًا، بأنه سيلاحق قضائيًّا وسيدخل دهاليز متشعبة مضنية، حتى لو انتصر له القانون الأجوف، فإنّ مجرّد إشغاله في أقبية المحاكم كفيل بردع غيره.

والحقيقة أننا أوتينا بعدم معرفة كثير من شعوب الغرب الذي يمثله لنا محمد ﷺ، إذ يظنونه في مقام المفكر أو المصلح الاجتماعي أو الفيلسوف، ولا يعرفون أننا نقدمه على أرواحنا وأولادنا، وأنه لا يكتمل إيماننا إلا بحبه والدفاع عنه، وأفضل تصحيح لذلك برأيي، أن نعالجه بإنتاج فيلم عالمي ضخم، على أحدث ما توصلت له «هوليود» من فنيات واحترافية في انتاج أفلام الدراما، ترصد له ميزانية لا تقل عن 100 مليون دولار، ويجلب له أشهر المحترفين في هذا المجال من عقر دار القوم، فهم أدرى بثقافتهم، ويخضع النصّ لإشراف علماء شرعيين ثقاة، وبالتأكيد لن نجسّده ﷺ، ولكن سيقوم الفنيون ومعالجو النص بتسييره وفق ضوابط شرعية، تراعي أنه فيلم موجّه للعقل الغربي الذي لا يعرف عن سيّد البشر شيئًا، وتراعي ثقافته بأقصى حدّ ممكن مما تسمح به روح الشريعة لدينا، صدقوني.. إننا بذلك سنخترق القوم في عقر دارهم، وسيكون تعريفًا مدوّيًا وعريضًا بنبي الاسلام، وأية أفلام مسيئة بعد ذلك ستسقط أمام فيلم عملاق مرصود له تلك الميزانية الضخمة، ولن يرقى أبدًا لأن ينافسه.

فيلم ضخم عن سيّد ولد آدم كفيل بتصحيح كثير من الصورة الشائهة، وفرملة التجديف، ولنداوها بالتي كانت هي الداء.

الخلق الكريم

مياسة النخلاني- قاصة يمنية

كما هي عادته كل صباح ما إن يدخل الحرم الجامعي حتى يتجه مباشرة إلى المقهى ليشرب قهوته الصباحية قبل إلقاء محاضراته، وعلى طاولته التي اعتاد الجلوس عليها أخذ يرتشف قهوته بهدوء...

- سمير؟!

التفت إلى مصدر الصوت فإذا برجل أنيق المظهر حسن الهندام ترتسم على محياه ابتسامة رقيقة يقف بمحاذاته.

نعم أنا الدكتور سمير كيف أستطيع أن أخدمك؟

آه.. عفوًا يا صديقي تخيلت للحظة أني أتحدث إلى صديقي وزميل دراستي ونسيت أنه قد أصبح دكتورا جامعيًا في الحرم الذي كنا ندرس فيه

من...؟ فادي...!!!

وما إن قالها حتى فتح صديقه ذراعيه مرحبًا ليغوصا في عناق حميم امتزج ببعض دموع فرحة اللقاء بعد فراق طويل ليجلسا فيما بعد على الطاولة التي اعتادا الجلوس عليها أيام الدراسة.

- مضى زمن طويل منذ التقيت بك آخر مرة.

- نعم عشر سنوات مضت ما أسرع ما يمضي بنا العمر لكن لوهلة لم أعرفك هل ضعفت ذاكرتي أم أن فادي الذي أعرفه قد تغير.

بضحكة قصيرة رد عليه صديقه..

- أظن الشيب قد بدأ يغزو شعري أليس كذلك؟!

- لا ليس ذلك فصديقي فادي كان طوال الوقت متجهم الوجه وبقدر ما كان يعجبني التزامك واتزانك بقدر ما كنت لا أحب فيك انطوائك على نفسك وابتعادك عمن حولك وعبوسك الدائم بالكاد ترتسم على وجهك ابتسامة جميلة كالتي تزين وجهك اليوم بل لا أذكر أني رأيتك مبتسمًا أو ضاحكًا.

معك حق في هذه.. كان منظوري للالتزام حينها يشوبه كثير من القصور لكن الحمد لله أن هداني الله تعالى وحَسَّن من أخلاقي.

بعد الانتهاء من الدراسة الجامعية سافرت إلى بريطانيا لإكمال الدراسات العليا، وهناك وكما هي عادتي كنت أتجنب التعامل مع الآخرين بحجة خوفي من الافتتان في ديني ورغبتي في التقرب من الله أكثر، وبوجه عابس أقابل من حولي، بالكاد أتحدث مع أحد أو أبتسم في وجهه حتى بات الجميع يتجنب الحديث معي إلا جار عجوز باب شقته يقابل باب شقتي كل يوم يلقي علي تحية الصباح بابتسامة ودودة، وبالكاد ألتفت إليه.. بالنسبة لي كان مجرد رجل كافر لا يستحق مني إلقاء التحية ولا ينبغي لي التعامل معه أو فتح باب صداقة بيني وبينه، فذلك لابد وأن يخدش ديني.

وفي إحدى ليالي الشتاء البارد التقيت به عند باب العمارة بعد عودتي من صلاة العشاء كان يقف بمعية فتاة تصغره بكثير استوقفني وألقى علي التحية كما هي عادته التفت إليه بنظرة ازدراء وأكملت طريقي أمسك بيدي وهو يقول «تعال لتناول العشاء معنا يا بني».

أحسست حينها أنه تجاوز حدوده فنهرته غاضبًا «أنا لست ابنك دعني وشأني واذهب حيث تشاء مع حبيبتك» فرد علي معاتبًا «هل هذه هي الأخلاق التي علمكم إياها نبيكم محمد؟ ثم إن هذه ابنتي وليست حبيبتي» قالها وانصرف.. بصراحة صعقني رده فطالما كنت أحاول الاقتداء بالرسول ﷺ في كل شيء، فمنذ أن أفتح عيناي وحتى أغمضهما وأنا أتبع نهجه ﷺ في الأكل والشرب واللبس وطريقة المشي والصلاة وحتى النوم فكيف يأتي شخص مثله لا يعرف من الإسلام شيء ليعايرني بهذه العبارة ثم ما أدراه هو بأخلاق الرسول ﷺ وأنا أكثر الناس محاولة للاقتداء به والاطلاع على سيرته.

كثيرة هي الأفكار التي هاجمتني حينها وبدأ شريط حياتي يسير أمامي ببطء فما أنا إلا ذاك الشاب المتجهم العبوس الذي ينفر الجميع من حوله حتى بت أعيش وحيدًا بين الآخرين ينفر مني الصديق قبل العدو عمدت إلى تمتين علاقتي بربي وقطعت حبل تواصلي مع من حولي ووجدت نفسي حينها أردد في حسرة «الدين المعاملة» لم يوقظني من شرودي إلا القشعريرة تسري في جسدي عدت إلى غرفتي أجر أقدامي وأفكاري عاجزًا عن طرد عتاب الرجل من ذهني.

في اليوم التالي حاولت النهوض ولكني

لم أستطع كانت حرارتي مرتفعة وجسدي كله يرتعش من الحمى مكثت على تلك الحالة ثلاثة أيام حتى ظننت أني سأموت دون أن يشعر بي أحد سمعت قرعًا على الباب فتحاملت على نفسي وحاولت النهوض لكن ما إن خطوت خطوات بعيدًا عن السرير حتى سقطت مغشيًا علي وعندما فتحت عيناني مجددًا كنت نائمًا على سرير في المستشفى وبجانبي يجلس الجار العجوز لم ينتظر حتى أسال وإنما بادرني..

عندما لم أرك لثلاثة أيام متتالية بدأ القلق يساورني سألت حارس العمارة فأكد لي أنك لم تخرج من شقتك طرقت بابك وحين لم تجب اتصلت بالشرطة دخلنا عليك حيث كنت مرميًا على الأرض في حالة سيئة للغاية فأحضرناك إلى هنا «ولماذا حملت نفسك كل هذه المشقة من أجل شخص لم يكن لطيفًا معك في يوم من الأيام؟!

«لأنك جاري»

حينها فقط أدركت كم كنت مقصرًا في حق ديني.. اتبعت من هدي النبي ﷺ كل شيء إلا أخلاقه الكريمة وتعامله الراقي مع من حوله، وهو الذي يقول (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) كنت طوال الوقت فظًا مع الآخرين وكم خجلت من نفسي حينها فكانت تلك الحادثة سببًا كافيًا لأعيد حساباتي وأفهم ديني بالطريقة الصحيحة، وها أنا كما تراني اليوم والحمد لله على نعم الله.. أخبار رائعة ياصديقي وتغيير أكثر من إيجابي.. قال ذلك وهو ينظر إلى ساعته.. أعتذر فمحاضرتي تبدأ الآن سأتركك على أن نلتقي فيما بعد وتحدثني أكثر عن جديدك وأخبارك.. وهو كذلك سأكمل بعض المعاملات التي أتيت لأجلها ونلتقي بعد انتهائك من عملك.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٥)

عبدالله آيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

يؤكد الراسخون الذابرون في العلم بأسرار العربية أن الخطأ إذا بَدَا فَشَا، وإذا شاع انتشر في جسد اللغة انتشار النار في الهشيم، لا يُبْقي لها من الصفاء والنصاعة إلا ما يبقيه الوشم في ظاهر اليد، وهي وضعية أُخْلِقَ بها إن استحكمت في أمة من الأمم أن تدفع بها إلى دَرَكات الخمول والانطواء والتجاهل، حتى لا تجد من يتواصل معها بلغتها، لأنها تساهلت في هجر كلماتها وتمادت في إشاعة اللحن، الذي يدخل الضيم على ما تقوله تلك الألفاظ والعبارات، التي ليس للمنطق فيها ظِلٌّ ولا شخص، ولا للسلامة عِرْق نابض، لأنها هائمة في أودية من الفساد، لا يَفْتُر هديرها حتى تترك أرض اللغة بَلْقعًا، لا تنفع معها عمليات الحرث والبَذر التي تَظهر هنا وهناك. وإذا كانت العربية الفصحى في مَنْجاة عن هذه الحالة التي انتهت إليها كثير من لغات الشعوب الضعيفة المغلوبة، لأن القرآن الكريم نزل بها حقًّا ليس لأَحَد أن يدفعه أو ينال منه، فهو على الدوام حارِسُها الأمين الذي ظل يرمي بالشُّواظ الماحق، وبالحُجّة المُخْرسة كل محاولات الهدم والتبديل والتغيير.. فإن التساهل الملحوظ في مجتمعاتنا اللغوية العربية بالنسبة إلى الصحة اللغوية، بدأ يُلوّث الأجواء بِرَطانات ينتشر بَوْغاؤها انتشار البرق، حتى اقترب أن يضع على الأعين غشاوة تجعلنا مع توالي الأجَدّان لا نستبين حقيقة ما تقوله كلماتنا الفصيحة، التي كانت تجري رسْلات على ألسنة الأولين، الذين كانوا يربطون الرِّبْح في التجارة بالسلامة اللغوية، ولذلك رُوِي عن أبي عمرو بن العلاء أنّه مَرّ بأعدالٍ مَطروحَة، عليها مَكتوبٌ: (لأبُو فُلان) فقال: «يا رب يلحَنون ويُرزقون!» وفي روايةٍ أخرى: يلحنون ويربحون! وقال أبٌ يوصي أبناءه: «يا بَنِيّ أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبُه النائبة، يحبُّ أن يتجمّل فيستعير من أخيه دابّتَه وثوبَه، ولا يجد مَنْ يُعيره لسانه»

هذا هو حال الإنسان العربي أيام جدّة الفصحى، فما بال أقوام من رجال السياسة والتجارة والسياحة والإعلام، يقمشون ألفاظا شعثًا غُبْرًا، ويَعْتَلثون كلامًا بَزَل فيه الفساد حتى بلغ مبلغه، الذي أسقط عنهم الهيبة، وأنزل من قدرهم، حتى بلغوا دركات لم يعد يُسمع لهم فيها رأي، ولا تُقبل لهم نصيحة؟!

ولكي يصير أمر الفصحى إلى النّزَعَة تأتي هذه الورقة اللغوية في حلقتها الخامسة، داعية إلى احترام الإرث الحضاري للأمة العربية، واعتباره بوابة ندلف منها لعشق لغتنا الجميلة، وكلماتها وما تدل عليها، لا نبتغي تبديلًا لقواعدها وقوانينها، اتباعًا لزُمْرة من المُنشئين الذين يتبجّحون- في أثناء ترجيعاتهم- بالقول المُنكر الكَنود الآتي: «خطأ مشهور أحسن من صواب مهجور»، متناسين أن اللغة هي عنوان الأمة، وآصرةُ الأواصر، وأن كلّ كلمة هي بِنْتُ المجتمع الذي أوجدها وأطعمها بماء الحياة، وطبعها بطابعة الخاص، لا تبتغي عن نسائمه وأظلاله وعبقريته بديلًا، ولا ينبغي لها أن تستنجد- لتكثير نسلها- بتوليدات مارقة، مهما تعددت البَراقِعُ التي تتستّر بها في مجتمع العولمة، الذي أُوكِل إليه- في السّر- القيام بالإطاحة بمعايير السلامة اللغوية، لصالح لغة خَداج هي شَوْبٌ من الإنجليزية والفرنسية والعربية والعاميات، رغبة في التهييء لبيئة لغوية مماثلة للمظاهر الاجتماعية والعمرانية والفنية العربية المستلبة الهجينة، كما يتوضح ذلك بجلاء في كل قرية ومدينة تُسَلّط عليها أضواء إحدى القنوات الفضائية.

الفصحى العربية عند التحقيق لغة أوجدها العرب مفردات وعبارات نافرةً وحشية غريبةً تارة، وتأرة أخرى صافية سلسة سهلة، الألفاظ السّلسةُ السهلة أبْقَى عليها المجتمع اللغوي وتناقلتها الأجيال، أما الألفاظ الوحشية الغريبة، فقد هذّبها وأمَاتَ بعضها لانتفاء الحاجة إليها. أما القرآن الكريم فقد وظف الكلمات والعبارات العربيةَ خالدةً، ليس لأحَد من الأولين والآخرين أن يحدث فيها تَغييرًا، أو يمسّها بِسوء.

ويعد الخط لسان اليد، كما أن قواعده هي الحافظ الأمين لما تقوله الكلمات. وقديما كتب سليمان بن وهب كتابا بالخط العربي إلى ملك الروم في عهد الخليفة المعتمد العباسي فقال ملك الروم: «ما رأيت للعرب شيئا أحسن من هذا الشكل، وما أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه. والطاغية لا يقرأ الخط العربي، وإنما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه» . ولذلك قيل: رداءة الخط إحدى الزمانتين، وحسنه إحدى البلاغتين. وقد كان الأوائل من الكتبة العرب في غنى عن وضع النقط للحروف، لأن الإشكال الذي يزول بالنقط، كان يزول عندهم بسرعة البديهة، بل إنهم كرهوا الشكل والنقط إلا في الأماكن الملتبسة من كُتُب السادة إلى مَن دونهم، أما إن كانت الكتب إلى السادة، فإن الإعجام يترك إجلالًا وتنزيهًا لهم عن سوء الفهم.

هذا هو حال الخط العربي أيام جدة الفصحى، وعندما انتشر التصحيف والتحريف، أمر الحجاج بن يوسف الثقفي كتّابه أن ينقطوا الخط العربي، وأن يكملوا عمل أبي الأسود الدؤلي الذي وضع علامات الشكل، فوضع كل من نصر بن عاصم وابن سيرين النقط للمصحف الشريف، إيمانا منهم أن ترك الألفاظ العربية هملًا، هو ترك لبنيان أمة كاملة يتهدم، ومن جملة الألفاظ القرآنية التي أتى الأوائل على ضبطها ضبطًا وافيًا يُنجيها من كل زيغ نقف على سبيل المثال لا الحصر على: × الَغداء / الغِذاء. × البَث / البَت ...

يقولون، ويوردون في أثناء عرض جدول أعمال الندوات الوطنية والدولية: الغَذاء على الساعة الثانية بعد الزوال! هكذا بالذال المعجمة وبفتح الغين.

وهي عبارة محرفة للغة القرآن من وجهين: الأول أن «الغَداء» بفتح الغين وإهمال الدال من النقطة، وهو الطعام، أما «الغذاء» بكسر الغين وإعجام الذال فهو ما يتغذى به. أما الوجه الثاني للغلط، فإن «الغَداء» بفتح الغين وإهمال الدال من النقطة هو طعام الغدوة. ومعلوم أن الغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. قال ابن منظور: «الغَداء الطعام الذي يؤكل أول النهار، فسُمي السحور غَداءً لأنه للصائم بمنزلته للمفطر، ومنه حديث ابن عباس: كنت أتغدى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضان أي: أتسحر» وقال تعالى في (سورة الكهف: آية رقم ٦٢): ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غَداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَبًا﴾ أي آتنا طعام الغدوة ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس.

إذًا ثبت الآن أن طعام نصف النهار، ليس هو طعام الغدوة، فإن تصحيح العبارة الآنفة، يوجب إحياء هذه اللفظة، ونفض غبار النسيان الذي حجبها عن الأنظار وهي لفظة: (الكرزمة) وهو طعام نصف النهار. جاء في مبادئ اللغة: «الكرزمة: طعام نصف النهار. ثم العشاء: لطعام العشاء» فما بالنا نحن- العرب- في غطاء عن صيانة رسم كلماتنا رسما يقيها من الضبط الأشنع الذي يسقمها ويحرفها عن المعنى المراد، ولاسيما أن الأوائل كانوا حُرُصًا على تنكب سبيل اللبس والتصحيف؟ وما بالنا لا نضبط الوقت بالثواني والدقائق كما تنبئ بذلك دقات قلوبنا، حتى صار عندنا طعام الغدوة هو ذاته طعام نصف النهار؟!

ونظير هذا التصحيف الناتج عن إهمال النقط الكلمات الآتية:

البث/ البت. من بث الخبر وأبثه أي: نشره ومن ذلك قوله تعالى من بداية سورة النساء ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء...﴾ والبث: الحال والحزن ومنه قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ (يوسف : ٨٦).

والبت: الجزم والقطع. نقول: بتّ الحكم أصدره بلا تردد، وبت الصيام من الليل: العزم والقطع بالنية. ونضير ذلك في العربية الفصحى عديد الرمل مثل قولهم «الذّفَرُ» شدة ريح الشيء الطيب مثل: روض أذفر. و«الدّفَرُ» بالدال المهملة النّتْن خاصة، ولذلك قيل للدنيا: «أم دفْر»، كما قيل للأَمَة: «دفار».

«سيرة خاتم النبيين» ﷺ

علاء الدين عبدالفتاح

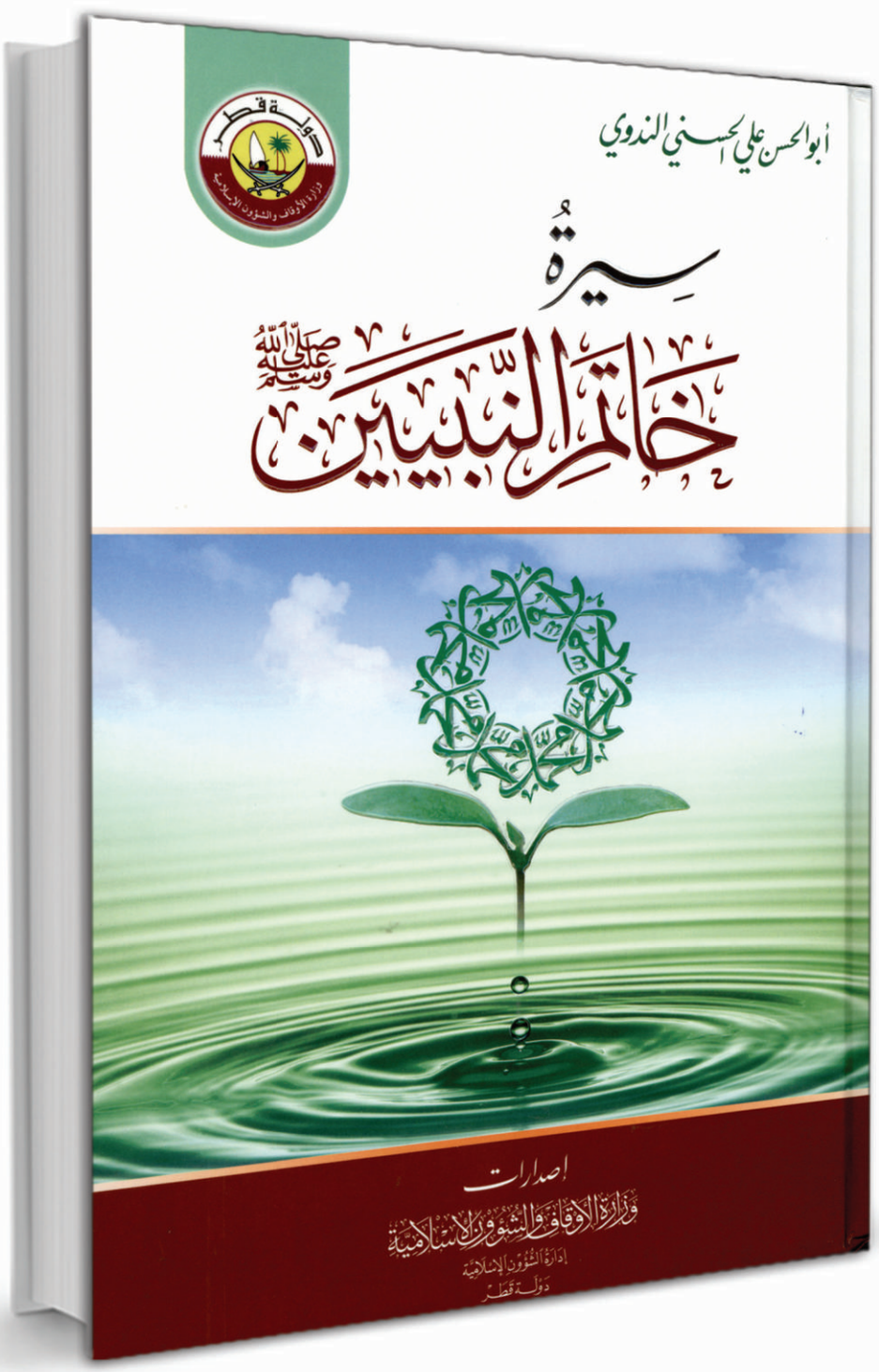

الأسلوب سلس والسرد مختصر، تسلسل لم يترك حادثة من سيرة الرسول الكريم إلا أوردها في نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الصغير ذي الطباعة الفاخرة المريحة للأنظار والقلوب مع خرائط توضيحية ومعان للكلمات الصعبة وأسئلة في نهاية كل باب من الأبواب.

هنا سيرة خاتم النبيين ﷺ لأبي الحسن الندوي من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر.

بداية السيرة جاءت مثل حجر الأساس لبنيان قوي ستبدو ملامحه شيئًا فشيئًا، حيث يذكر الندوي واقع التدين قبل بعثة النبي ﷺ في محيط جغرافي واسع سرعان ما يتقلص ليركز على الجزيرة العربية وأحوالها الدينية فيعرض أولًا لليهودية التي أصبحت «طقوسًا وتقاليد لا روح فيها» ثم للمسيحية التي «امتحنت بتحريف الغالين» والمجوس العاكفين على النار والبوذيين الذين تحولوا لوثنيين «ينصبون تماثيل بوذا حيث حلوا»، والبرهمية دين الهند الأصيل وآلهتها التي بلغت الآلاف، ومن هنا يعرج المؤلف على حال العرب الذين قبلوا الوثنية بعدما استوردها لهم أحدهم، فصار لكل قبيلة وناحية ومدينة صنم خاص، بل تطور الأمر حتى صار لكل بيت صنم! أضف إلى ذلك التدهور الأخلاقي الذي لحق بالعرب من معاقرة الخمر ولعب القمار والقساوة مع المرأة والطفل يقول المؤلف: «حتى وصلت الإنسانية في عصر البعثة في طريق الانتحار وكأن الإنسان نسي خالقه».

ومع ذلك فقد اختار الله العرب ليبعث فيهم الرسول بسبب- وفقًا لتحليل الندوي- فطرتهم الصافية عكس الروم والفرس والهند الذين كانوا يتيهون بعلومهم، فقد كان العرب بالرغم من الطارئ على أخلاقهم أصحاب صدق وأمانة وشجاعة وفروسية.

بعد هذا التمهيد الواجب يبدأ المؤلف في سرد أحداث السيرة العطرة منذ زواج ابن سيد قومه عبدالله بن عبدالمطلب بالسيدة آمنة بنت وهب سيد بني زهرة ثم الولادة المباركة ثم وفاة عبدالله ثم إرضاع حليمة السعدية لرسول الله ﷺ عامين ثم بقائه فترة أخرى معها لينشأ مع إخوته في الرضاعة متشبعًا بروح البادية ومتدربًا على رعي الغنم وفي عمر الرابعة عشر يشهد صلوات الله وسلامه عليه حرب الفجار بين قريش وبني قيس و«ينبل عن أعمامه» ويصد عنهم النبال إلى أن يتزوج من التاجرة الأصيلة التي كان يخرج في مال لها إلى الشام للتجارة السيدة خديجة بنت خويلد.

ثم يتعرض المؤلف لحادثة إعادة بناء الكعبة وتسقيفها وكيف كان النبي ﷺ وهو في الخامسة والثلاثين من عمره حكيمًا رضى القوم بحكمه فيما شجر بينهم لصدقه وأمانته اللتين اشتهر بهما من صغره بعد أن حال الله بينه وبين لهو الشباب وإسرافهم في أمرهم.

وتأتي مجموعة من الأسئلة في نهاية هذا الفصل الذي نتخذه الآن كنموذج

(وهي أسئلة تتفاوت في عددها تبعًا لكل فصل ولكنها لا تترك واردة إلا تناولتها لتنشيط الأذهان) تأتي كأمثال: ما الديانات السماوية وغير السماوية التي كانت معروفة قبل الإسلام؟ ومن الذي جاء بعبادة الأصنام إلى مكة؟ ومن هي أم أولاد الرسول كلهم إلا إبراهيم؟ وهكذا

يستكمل الندوي القص بأسلوبه الشيق الذي يناسب- كما قال هو- الصغار والكبار- والمناسب للتدريس في المراحل التعليمية ليحكي لنا كيف كان الرسول ﷺ يمكث متفكرًا في غار حراء وكيف أتاه الوحي في رمضان وعمره ٤١ عامًا كما يتعرض لمن سارعوا إلى الإسلام، ثم دعوته على جبل الصفا بعد ٣ سنوات، والهجرة الى الحبشة بعد إيذاء قريش لأصحابه ثم إسلام عمر ووفاة خديجة

ووفاة عمه «أبوطالب» ثم الطائف فالإسراء والمعراج ثم تأتي البشرى ببيعة العقبة الأولى وإرسال مصعب بن عمير مع ١٣ نفرًا لتعليمهم ونشر الدعوة في المدينة التي ستستقبله فيما بعد العقبة الثانية وإسلام ٧٣ رجلًا وامرأتين وهجرة معظم المسلمين ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وبداية استقرار الأمر في دولة الإسلام والسرايا فالغزوات ففتح مكة وانتشار الإسلام.

وأسلوب القص في كل هذا سهل ممتنع، ممتع مفيد، جامع مانع، لكل الأعمار صغيرها قبل كبيرها.

موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام

مريم عبدالحميد - دار الإعلام العربية

موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام (الجزء الثالث).
الكاتب: الأستاذ الدكتور أحمد شوقي إبراهيم
جهة النشر: دار نهضة مصر للنشر - القاهرة
تاريخ النشر: ٢٠١٢.
عدد الصفحات: ٢٨٧ صفحة من القطع المتوسط.

تعرّض الإسلام عبر العصور لكثير من الافتراءات والأكاذيب، خاصةً مع انتشاره وامتداده إلى كل مكان، فسعى مؤلف الكتاب، د.أحمد شوقي إبراهيم إلى التصحيح والرد، فجاءت هذه الموسوعة كاشفةً لكثير من المغالطات والشبهات، وموضحةً للعديد من الحقائق بأسلوب مبسط سلس، يتيسر على كل قارئ فهمه واستيعابه.

وقد قام المؤلف د.أحمد شوقي إبراهيم في كتابه «موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام» بالرد العلمي والتمحيص العقلي لكل شبهة أُطلقت ضد القرآن الكريم، والنبي ﷺ، وسنته المشرفة، متطرقًا إلى ما أثير من شبهات حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ووصولًا إلى الشبهات التي أُثيرت حول المرأة، مبينًا الموقف الصحيح في ذلك كله.

وأورد المؤلف إحدى الشبهات المتعلقة بالمرأة، والمبنية على حديث رسول الله ﷺ: «لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها» والمزعوم أن في هذا إهانة للمرأة، وتمييز بينها وبين الرجل بما ليس فيه عدالة، فإن العدل يحتم المساواة.

ويؤكد المؤلف أن الشبهة تقوم على فكرة لا وجود لها، وهي أن هذا الحديث أهان المرأة وحقرها أمام الرجل، وهذا سخف لا يستند إلى شيء من الصحة أو المنطق أو الفهم السليم، لأننا لو طبقنا هذا المنطق على كل أمورنا فإنها ستختل، فإذا قلنا إن إلزام الموظف باحترام مديره وتنفيذ أوامره وألا يفعل شيئًا في العمل إلا بإذنه، وألا يترك العمل في دوامه الرسمي إلا بإذنه، يعد إهانة للموظف وتمييزًا وعنصرية.. لاتُهمنا بالسخف ونقصان العقل، ولو قلنا إن إلزام الابن بطاعة أبيه وتقبيل يديه وتقديم رغبة أبيه على رغبته، إذلال للابن وتحقير ومهانة

وتمييز فهو خطأ منا..

ثم إن الحديث لم يأمر المرأة بالسجود لزوجها، وإنما قال النبي ﷺ: «لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها»، فأين الإهانة هنا؟ إن مقصد النبي من ذلك توضيح حق الرجل على المرأة وتبيين عظمه، فليس في الحديث مهانة للمرأة.

شبهة قول عائشة

وفي موضع آخر من الكتاب، يفنّد المؤلف الشبهة المتعلقة بقول عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ «ما أرى ربك إلا يسارع في هواك»، وأن قولها هذا إساءة أدب مع النبي، ولكن الصحيح أن هذا قول أبرزه الدلال والغيرة، وإضافة «الهوى» إلى النبي لا تُحمل على ظاهرها، لأنه لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل بالهوى، ولو قالت: «إلى مرضاتك» لكان أليق، ولكن الغيرة يُغتفر لأجلها إطلاق مثل ذلك، وليست هناك مخالفة شرعية في قول عائشة، فالمقصود أنه ﷺ يسارع في رضا الله، فكانت النتيجة أن الله يسارع في رضاه.

وحتى إذا افترضنا -جدلًا- أن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قد جانبها الصواب في اختيار الألفاظ المناسبة، فليس هناك إنسان معصوم من الخطأ إلا الأنبياء، حتى أمهات المؤمنين، وهذا لا ينقص من مكانتهن العظيمة شيئًا.

وإذا تأملنا جيدًا في الحديث موضوع الشبهة، وفي غيره من الأحاديث التي تبيّن مدى شدة غيرة السيدة عائشة على النبي ﷺ، والتي يستخدمها الطاعنون من أعداء عائشة خاصة، أو من أعداء السنة النبوية أو من أعداء الإسلام عامة، إذا تأملنا هذه الأحاديث جيدًا، ونظرنا إليها نظرة علمية موضوعية محايدة، لوجدنا أنها تُحسب لعائشة لا عليها؛ لأن معظمها وصلنا عن طريق السيدة عائشة نفسها؛ إنما روتها -رضي الله عنها- على ما فيها من إبلاغ عما وقعت فيه من هفوات بسبب الغيرة؛ لشدة حرصها وأمانتها العلمية في نقل كل أخبارها بكل تفاصيلها مع النبي ﷺ.

شبهة النفاق

ومن الشبهات التي يتعرّض لها المؤلف في كتابه، شبهة تزعم أن القرآن مرة ينهى عن النفاق ومرة يأمر به، ففي سورة النساء: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٨، ١٣٩)؛ والثانية تقر النفاق وهي: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل:١٠٦).

والرد على ذلك بأن الآية التي تنهى عن النفاق لا جدال فيها، فالنفاق هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، ولا جدال في أن فاعل ذلك كافر مذموم لفعله، والشبهة تنصب على الآية الثانية، وهذه الآية ليس فيها أمر بالنفاق المذموم، فالآية تتوعد من كفر بالله، وتؤيد بالصفح عمن أُكره تحت وطأة التعذيب على النطق بكلمة الكفر، فالنفاق المذموم هو إظهار غير الباطن دون سبب يقتضي ذلك يُعذر فيه صاحبه.

شبهة الإثبات والمحو

وهناك من يزعم أيضًا أن هناك تناقضًا بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، وقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد:٣٩)، فكيف يجتمع الحفظ مع المحو؟! ويرد المؤلف بأنه ليس هناك تناقض، فآية سورة الحجر تصف القرآن بأنه محفوظ من التحريف والتبديل، ومن دخول ما ليس فيه، أما آية سورة الرعد فتصف اللوح المحفوظ الذي يحوي مقادير الخلائق عند الله تعالى، يغير الله فيها بحسب مشيئته، وإن سلمنا أن المقصود بالمحو والإثبات في القرآن، فهذا لا ينفي حفظه، إذ المقصود من حفظه: أي من التغيير فيه من قِبَل غير الله تعالى، فالله يفعل بكتابه ما يشاء، وليس لأحد التدخل فيه.

شبهة الفطرة

كما أن هناك شبهة داحضة تزعم أن هناك تناقضًا في حديثي الفطرة، فالأول حديث نبوي يقول: «كل مولود يولد على الفطرة»، والثاني حديث قدسي يقول فيه ربُّ العزة: «كلكم ضال إلا من هديته».

والحقيقة أنه لا يوجد تناقض بين الحديثين، ففي الحديث الأول يقول النبي ﷺ، إن كل مولود يولد على الفطرة؛ أي حنيفًا مائلًا عن الباطل ملتفتًا للحق بطبيعته، أما الحديث الثاني فيقول الله عز وجل فيه: «كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»؛ ولا يعني ذلك أن الناس ولدوا ضالين، إنما المقصود أن الهداية يملكها الله عز وجل ولا يملكها الناس، فهو سبحانه بيده الهداية والضلال، فيجب أن نطلبها منه، وهذا مثلما يقول المُعلم لتلامذته: كلكم راسب إلا من أجاب في الامتحان؛ أي إنهم إن لم يجيبوا في الامتحان فسيرسبون، ولا يعني بالضرورة أنهم ولدوا راسبين! ومن ثم فلا يوجد تناقض بين الحديثين.

المؤلف

د.أحمد شوقي إبراهيم رئيس المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بجمهورية مصر العربية، ورئيس مؤسسة الدكتور أحمد شوقي إبراهيم للإعجاز العلمي في القرآن والسنة؛ وزميل كلية الأطباء الملكية بلندن وأدنبرة - مستشار الأمراض الباطنية وأمراض القلب، عضو لجنة الإعجاز العلمي بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وعضو اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» القاهرة.

العدد (٥٩٩) محرم ١٤٣٤هـ/ نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٢م

كيف أُعلّم أسرتي حبَّ رسولِ اللهِ ﷺ؟

د. آندي حجازي- أكاديمية جامعية

تتساءل الأمهات كيف أجعل أبنائي يحبون رسول الله ﷺ ويلتزمون سلوكاته وسنته؟ وكيف أعلم أبنائي الآداب الإسلامية كالصدق والتسامح واحترام الآخرين؟ وكيف أجعل زوجي يعاملنا معاملة حسنة ولا يغضب لأقل سبب؟ وكيف أقنع أخي بأن يكون متواضعًا؟

في الحقيقة إن أيًا من تلك التساؤلات السابقة لا نجد لها منهجًا في التربية خيرًا من منهج رسول الله ﷺ، فالاقتداء به عليه الصلاة والسلام في أقواله وأفعاله تجعلك قمةً في كل شيء، فقد اجتمع فيه الكمال البشري في أسمى صوره، واجتمع فيه من حسن الخلق ما لم يجتمع لأحد، فلو سَألت عن الطهارة فستجد قمة الطهارة عند رسول الله ﷺ، ولو سألت عن الأمانة لعلمتَ أنّ لقب الصادق الأمين لم يلقب به أحد غير رسول الله، ولو بحثت عن الشجاعة لما وجدت أشجعَ من رسول الله ﷺ بشهادة أصحابه فروى علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحُدُق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه». ولو تتبعتَ الصدق فلن تجد أصدقَ من رسول الله ﷺ فلا يخاف في الله لومة لائم، ولو سألت عن الرحمة لعلمتَ أنّ رسول الله ﷺ هو نبيّ الرحمة، فأينما بحثت في الأخلاق العظيمة السامية لوجدت أعظمها ما تمثّل به رسول الله محمد سيد البشر ﷺ، وبشهادة من خالق البشر سبحانه وتعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم: 4).

الأمر الذي يجعلنا ندرك أهمية تربية الأبناء وفق منهج وحياة رسول الله ﷺ وربطهم بهديه بقولنا: هكذا كان رسول الله ﷺ يصلي، وهكذا كان يأكل، وهكذا كان يلبس ويدعو الله ويحمده على نعمه، وهكذا كان يعامل زوجاته، وهكذا كان يتصرف في بيته أو خارجه، وهكذا تسامح مع قومه.. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أدبّوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن» (رواه البخاري). فلابد من تخصيص وقت للأبناء لتعريفهم بسيرته مع استخدام أسلوب القصة للوقوف على حوادث السيرة موقف المستفيد من حكمها وعبرها وربطها بواقعنا، فيستشعر الأبناء محبته عليه الصلاة والسلام في القلوب من كريم صفاته الخَلقية والخُلقية، وسأورد أمثلةً من عظَمَتِه وهي غيضٌ من فيض.

تواضعه وزهده

سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن تواضع رسول الله ﷺ مع أهل بيته: ماذا كان يعمل رسول الله في بيته؟ فقالت: «كان بشرًا من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه» (رواه الترمذي). وحينما سُئلت رضي الله عنها عن فراش رسول الله قالت: «إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من أدَم حشوهُ ليفٌ» (رواه الجماعة). وروى عمَر بن الخطاب رضي الله عنه: «قال ﷺ: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» (رواه البخاري وأحمد). مع أن الله تعالى اصطفاه بالنبوة وعصمه من الخطأ وفضّله على بني البشر!

وروى الترمذي وابن ماجه: «أن رسول الله ﷺ كان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد». وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت له: إنّ لي إليك حاجة. فقال: اجلسي في أي طرق المدينة شئت أجلسْ إليك» (رواه مسلم). فما هذه الرحمة بالنساء وما هذا التواضع! وعن أنس قال: «كان النبي ﷺ يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب» (أخرجه النسائي وابن ماجه).

معاملته الخدم والضعاف

وتعرّف كيف كان رسول الله ﷺ يعامل خدمه وأهل بيته في قمة الرقي والرحمة، فعن عائشة أنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادمًا ولا امرأة». (رواه مسلم وابن ماجه). «وما سئل رسول الله شيئًا قط فقال لا». فما كان يرد سائلًا قط، فإما أن يعطيه أو يقول له قولًا طيبًا. ويروي أبومسعود الأنصاري رضي الله عنه فيقول: كُنتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعلَمْ أَبَا مسعود، لَلَّهُ أَقْدَرُ عليكَ منكَ عليه». فالتفتُّ فَإِذَا هو رسول اللّه، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّه، هُوَ حُرٌّ لِوَجْه اللّهَ. فَقَالَ: «أَمَا لو لم تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ» (رواه البخاري). واسمع كيف أوصى رسول الله ﷺ المسلمين بالنساء: «استوصوا بالنساء خيرًا، إنّما النساء شقائق الرجال» (رواه أبوداود). فكان أن رفع من قدر المرأة والتي كانت بلا حقوق قبل مجيء الإسلام فجعل لها نصيبًا من الميراث وحقًّا في التملك والتصرف بمالها واختيار زوجها، فما أعظم هدي رسول الله ﷺ في معاملة النساء والذي نحن أحوج ما نكون إليه في واقعنا الحالي.

مداعبته الصحابة

كان النبي ﷺ يحب رجلًا من أهل البادية اسمه زاهرًا، وكان رجلًا دميمًا (قبيحًا)، فأتاه النبي ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يُبصره، فقال الرجل: أرسلني، من هذا؟ فالتفتَ فعرَف أنّه النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي عليه السلام حين عرفه، وجعل النبي يقول: «من يشتري العبد؟». فقال: يا رسول الله، إذًا والله تجدني كاسدًا. فقال ﷺ: «لكنّك عِنْدَ الله لَسْتَ بكاسد»، أو قال: «لَكِنَّك عِنْدَ اللهَ غَال» (رواه أحمد).

تقويم أخطاء الأطفال ورحمته بهم

وتعلّم من رسول الله ﷺ كيف كان يتعامل مع الأطفال عند الخطأ فقد روى البخاري ومسلم أن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحْفَة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل ممّا يليك». ولما أراد الحسين أن يأكل تمرة من تمر الصدقة قال له الرسول ﷺ: «كخ كخ، أما علمت أنّا لا تحل لنا الصدقة؟».

نبي الرحمة

ومن رحمته بالأطفال ما رواه البخاري في صحيحه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لأَقُومُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ». وفي قصة الأقرع بن حابس الفائدة في حسن معاملة الأطفال، فقد جاء الأقرع إلى رسول الله ﷺ فرآه يقبّل الحسن بن علي، فقال الأقرع: أتقبّلون صبيانكم؟! فقال رسول الله: نعم، فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قبلت واحدًا منهم قط، فقال له رسول الله: «من لا يرحم لا يُرحم»، وفي رواية: «وما أملك إن كان اللهُ قد نزع الرحمةَ من قلبك» (متفق عليه).

تسامحه وعفوه

روت السيدة عائشة رضي الله عنها: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيّئة، ولكن يعفو ويصفح» (رواه الترمذي). وأورد عبدالله بن عبيد عن رسول الله ﷺ: لما كُسرت رباعية رسول الله يومَ أُحد، وشُجّت جبهته، وجعلت الدماء تسيل على وجهه، قيل: يا رسول الله، ادعُ الله عليهم. فقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي طَعَّانًا وَلا لَعَّانًا، وَلَكِن بَعَثَنِي دَاعِيةً وَرَحْمَةً، اللهُمَّ اغْفِر لِقَومِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ» (رواه البخاري). وعندما فتح رسول الله ﷺ مكة جمع قريشًا فقال لهم: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» (سيرة ابن هشام).

محبته

في جمعة فائتة حضَرتُ وعائلتي خطبة وصلاة الجمعة.. وما أجملها من خطبة! فقد كانت عن محبة رسول الله وكيف أحبّه الصحابة حبًّا شديدًا وكذلك الجنُّ والحجرُ والشجر، فذكَرَ الخطيبُ قصصًا كثيرة في محبته كقصة سيدنا أبي بكر الصديق في رحلة الهجرة كيف كان يمشي مرةً عن يمين رسول الله ومرةً عن شماله ومرةً من أمامه ومرةً من خلفه خوفًا عليه.. وذكر قصة ثوبان مولى رسول الله ﷺ الذي كان يحب رسول الله حبا شديدًا ولا يفارقه، ومن شده حبه له وخوفه أن لا يكون مع رسول الله في الجنة مرض واصفر لونه، حتى بشّره رسول الله ﷺ بأن الذين آمنوا مع النبيين والصدّيقين والشهداء في الجنة... واستمر الخطيبُ في القصص حتى ذكر حبّ الجمادات له فكيف كان حجرٌ في المدينة يُسلِّم على رسول الله كلما مر من جانبه.. وكيف حنّ جذع النخلة الذي كان يخطب عليه رسول الله ﷺ حين تركه وبدأ يخطب على المنبر الجديد حتى بكى الجذع، فنزل رسول الله ﷺ عن منبره واحتضن الجذع في مشهد مثير وقال: «والله لو لم أحتضنه لَحَنّ إلى يوم القيامة».

وفي قصة أوردها غاية في الروعة حيث كان جَملٌ قد غضب وهاج ولم يستطع أحد من الصحابة تهدئته حتى جاء رسول الله ﷺ وعلِم بالقصة، ثم أقبل الجمل إلى رسول الله ﷺ ووضع رأسه على صدره الشريف وبكى الجَمل وأسرّ رسول الله ﷺ له بكلام بأذنيه، ثم سأل عليه الصلاة والسلام: من صاحب هذا الجمل؟ فقال أحد فتيان الأنصار: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله: «لقد اشتكى إليّ هذا الجمل وأخبرني أنك تحمله ما لا يطيق ولا تطعمه ما يكفيه». فيا سبحان الله! من عرّف هذا الجمل بأن هذا رسول الله؟ وإن كانت الكائنات أحبته فكيف ببني البشر ومن تعامل معه؟ ومن درس سيرته؟ فهو أعظم البشر وأرفعهم خُلقًا ومكانة عند الله تعالى، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين».

لماذا الإسلام؟

﴿إِنا نَحْنُ نَزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

محمود عبدالرحيم - باحث دراسات إسلامية

حينما يخلو المؤمن بنفسه ويمسك بكتاب الله تشمله الطمأنينة وتتغمده السكينة ويرى من عظمته سبحانه وتعالى. فلننظر إلى كلمات الله في كتابه فنقرأ الفاتحة فنحمد الله ونقدسه ونقر بأنه هو مالك كل شيء في السموات والأرض، ومن عظمة الآيات أن الله يسد بها الأبواب أمام الكافرين الذين يظنون انهم ملكوا الدنيا فنرى في أول القرآن أن الله هو مالك كل شيء بلا استثناء، مالك يوم الدين (يوم القيامة)، فإذا نظرنا للدنيا بدون دين وعبادة، ستكون الهمجية وخراب الدنيا، فوجود دين يبرز للإنسان قيمته وينير له ظلمات الكون ويجعله يحاول إثبات أشياء جلية.. هذا ما فعله الدين الإسلامي، ففي القرآن أشياء ينسبها الله لنفسه كأسرار السموات والمخلوقات وكل الغيبيات كالروح والخلق.. كل هذا وجعل للإنسان أشياء يستنبطها من خلال الدين، وبعد أن يعرف المؤمن هذه الحقيقة يتجه إلى الله أن يهديه الصراط المستقيم.. هذا الصراط الذي أنعم الإله به على عباده المخلصين العابدين الذين استحوذوا على رضا الله وعبدوه وأطاعوه وأقاموا شرائعه وامتثلوا لرسوله الكريم ﷺ الذي أرسله ربنا العظيم لقومه هدى ورحمة فمن آمن به فاز، ثم نجد المعجزة التي ألجمت أمة الكفر حينما نزل القرآن الكريم فيه البلاغة والمنهاج الذي عجزوا أمامه، ثم نجد الإعجاز اللغوي في القرآن بليغٌ، مليءٌ بالحروف العربية التي تحدى بها العرب الذين كانوا يتباهون بالفصاحة والشعر واللغة، فيجد المؤمن الهدى وعدم الشك في آياته.. فهو الذي أنار ظلمات الجاهلية، ففي غياهب الظلمات دائما ما يحطم الأقوى الضعيف وهذا كان الحال قبل سطوع نور الإسلام، ويشرح القرآن أن من الناس من ينافق بالإسلام وما هو بمؤمن كما اخبرنا القرآن الكريم فيقول الله جل جلاله: ﴿وَمِنَ النَاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٨).

ويستوعب المؤمن أن الله بين للإنسان طرقه التي يسلكها والعراقيل التي ستواجهه من عدوه اللدود وهو إبليس اللعين الذي استكبر عن أمر رب العزة، فأراد أن يكون للإنسان عدو ومولى للعاصين فيقول الله جل جلاله في كتابه الكريم: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف:١٦).

هذا هو الشيطان.. فأي إنسان عاقل أمامه طريقان أحدهما به منحدر يخيل لناظره أنه سوف يوصله بسرعة، والطريق الآخر ممهد وليست به عراقيل .. فأي الطريقين يسلك الإنسان العاقل، فالمؤمن كيس فطن وإلا فكيف يخاطبنا الله بقوله ﴿يا أولي الألباب﴾؟ أي هم أصحاب العقول المتفكرة النيرة.

لماذا الإسلام؟

إن الإسلام هو النبراس الذي أضاء للبشرية الكون، وأشاع نور اليقين للعالم، والعرب هم صناع الحضارات ونبع الثقافات وهم الأسبق في أغلب المجالات، والإسلام دين ناسخ لكل الأديان ومن ثم فإن حقيقته تظهر جليا باعترافه بالأديان والرسل، فلم يأت دين بلغ ما بلغه الإسلام من شمول لمعطيات الحياة على مدار القرون الماضية فهو أعجز السابقين ويعجز كل ما حوله في العصر الحديث، فبرغم كل حيثيات التقدم التي بلغت الآفاق في هذا القرن مازال الإسلام والدين نفسه وسنة رسولنا الكريم تثبت أن هذا العالم يسير في اتجاه واحد صنعه القرآن والدين الحنيف حتى من قال بأن العالم قرية صغيرة وأطلق لفظ العولمة عليه، فقد حدثنا الله من خلال القرآن بقوله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات:١٣) وهكذا نجد الإسلام محور ارتكاز الحياة بدون منازع، يقول الدكتور عماد الدين خليل: «سيكون من

قبيل محاولة إثبات أن الشمس تطلع من الشرق، إذا قلنا بأن الإسلام جاء لكي يعالج كل مناحي الحياة البشرية، الفردية والجماعية، والروحية، والمادية، والتربوية والتشريعية... الخ، فهذه مسألة معروفة لا تحتاج إلى اختبار أو تأكيد، بمجرد أن يطلع المرء على طبيعة هذا الدين، ويتفحص تركيبه، وبمجرد أن يعرف أنه ما جاء لكي يؤم الناس في الصلوات فحسب، بل لكي يقودهم في الحياة ويرشدهم، وفق برنامج عمل مرسوم، إلى ما يجب أن يفعلوه وما يجب ألا يفعلوه في مسائل الحياة جميعًا»، ولقد كان لكتاب (ماذا قدم الإسلام للغرب؟) الذي طرحته لجنة التعريف بالإسلام التوضيح الآتي...

ماذا قدم الإسلام للغرب؟

سؤال تطرحه لجنة التعريف بالإسلام، من خلال كتاب يحمل العنوان نفسه صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ووزارة الأوقاف المصرية، مشتملًا على ثلاثة بحوث للأساتذة الدكتورة آمنة نصير التي تبحث عما قدمه الإسلام للغرب في مجال العقيدة والفلسفة وعلومها، والدكتور عبدالحميد إبراهيم أبوسعدة الذي يدرس أثر الجانب الفقهي والقانوني فيما قدمه الإسلام للغرب، ثم أخيرًا يبحث المستشار محمد التهامي وراء ما قدمه الإسلام للغرب في مجال الحضارة؛ والكتاب في جملته شيق الطرح معين على التلقي.

في القسم الأول من الكتاب توضح الدكتورة آمنة نصير أن الإسلام هو الذي أشاع نور اليقين للعالم، وتضيف بأن العرب هم صناع الحضارات ونبع الثقافات وهم الأسبق في أغلب المجالات التي نسبها الغرب إلى نفسه ظلمًا وبهتانًا، وتوضح أيضًا مفاهيم هذه الحقيقة وتضع لنا أمثلة لعباقرة العرب كأمثال ابن سينا والخوارزمي والأنطاكي وغيرهم، وتوضح في الوقت ذاته كيف ظهر الإسلام بحضارته وبرع العرب في العلم وبنوا الحضارة؟ لا كما سلبها الغرب بالهمجية والوحشية التي كانت تتفشى فيهم، وتستشهد على هذا ببعض المنصفين للعرب من أمثال وول ديورانت وبول ماسون أوسيل، وتثبت بأن الفلسفة الإسلامية لها أكبر الأدوار في صنع النهضة الأوروبية وحضاراتها، وأن الغرب قد أخذ من الحضارة الإسلامية والفلسفة أكبر جزء، وتشير أيضًا من خلال عرضها لبعض المشكلات التي واجهت الفلاسفة المسلمين والتي لم يكن يعرفها الغرب واليونانيون، وشرحت المنظور الحقيقي للفلسفة عبر العصور التي كان فيها الفلاسفة تختلف دياناتهم، وكيف أن كل هؤلاء أخذ فلسفته من وحي عقيدته، ثم تقسم الموضوع إلى عدة أقسام أطلقت عليها ميادين الاتصال بأوروبا، وشرحت فيها ما تطورت إليه الحضارات وانتقلت بعد ذلك إلى الترجمة وفاعليتها التي ساعدت على سهولة تلاقي الحضارات وأخذها من بعضها البعض، وتختتم هذا البحث بشرح لما قدمته من مفاهيم ونظرات؛ ثم يطالعنا الجزء الثاني من الكتاب الذي يتناول فيه الأستاذ عبدالحميد أبوسعدة الجانب الفقهي، وفي هذا الفصل يقدم الإسلام على أنه دين منزه عن كل زيف وتحريف، بعيدًا عن كل مزايا البغض والكراهية ويوضح ذلك بالمفهوم العام للإسلام الذي هو محدد بالشرائع من خلال القرآن والسنة التي تتيح للمسلمين فرصة إقامة مجموعة من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع الاندماج الذي يجعل المسلم عليه استيعاب كل مفاهيم الأديان التي سبقت والإيمان بها، مع فهم الشريعة الإسلامية التي يعتنقها عن اقتناع بمفهوم هذا الدين الحنيف، الذي جعل قانون البشرية جزءًا من ثوابته، من خلال القرآن والسنة، لكي يجعل من المسلم فردًا منضبطًا حاضر الذهن في سياق المجتمع الذي ينتمي إليه وما يصادفه فيه، ويبين في الوقت ذاته العقوبات التي شرعها الدين وجعل لها من يقوم بها على حدود الله، فقال في محكم آياته ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾(البقرة: ١٧٩) وهذا التشريع أنصف المظلوم وعاقب المذنب على قدر الإثم الذي اقترفه، ويستشهد الكاتب ببعض القانونيين الشرقيين، والأوروبيين كأمثال العلامة فارس الخوري وهو من أعلام الشرق وأحد الخبراء السوريين الذي يقول: «إن محمدًا أعظم عظماء العالم، لم يَجُد الدهر بعد بمثله، والدين الذي جاء به أرقى الأديان وأتمها وأكملها، وقد أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضله وبأن مبادئه متفقة مع العقل مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية، وأيضًا قول الأستاذ سليم باز النصراني اللبناني، الذي شرح جملة الأحكام الشرعية بقوله: «إني أعتقد بكل اطمئنان أن في الفقه الإسلامي كل حاجات البشر من عقود ومعاملات وأقضية والتزامات وذلك ماثل في الكتب المودعة بخزائن الكتب في البلاد الإسلامية أو في البلاد الأوروبية، فإن ما في هذه المكتبات من موسوعات الفقه الإسلامي إنما هو ثمرة جهود الألوف من فحول العلماء، وهي الشاهد الأكبر على أنه لا يوجد معنى من معاني الأحكام التي ينشد بها العدل، ولا حاجة من حاجات البشر في التشريع إلا تقدم لفقيه مسلم القول فيها»، وأمثال العلامة سانتيلانا الذي يقول: «إن في الفقه الإسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم المدني، إن لم نقل ما يكفي الإنسانية». وقول هوكنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد: «إني أشعر أني على حق حين أقرر أن في الشريعة الإسلامية كل المبادئ اللازمة للنهوض»، ومن عظمة الإسلام أنه جعل مساحة حرة لتبادل الآراء وتنقية أسلوب الحوار بين المجتمعات.

ثم من حيث الحضارة نجد الجزء الثالث من الكتاب يقدم لنا فيه المستشار محمد التهامي، جانبًا في مجال الحضارة ويصف لنا مبلغ التأثير الذي أحدثه المد الحضاري العربي والإسلامي في الدول الأوروبية ويوضح لنا أن أهم الطرق التي أوصلت الحضارة الإسلامية إلى أوروبا كانت الأندلس ثم صقلية، ويشرح المدى الذي أحرزته التعاليم والشعائر الإسلامية، ابتداءً بالنظافة التي فرضها الإسلام على المسلمين من وضوء وخلافه، وتحري القبلة واختراعهم للبوصلة ثم الساعة التي أهداها هارون الرشيد إلى شارلمان إمبراطور فرنسا؛ ويستطرد المؤلف في حديثه شارحًا دور المد الحضاري وما أحرزته تعاليم الإسلام وشرائعه، إلى أن انتقلت تلك التعاليم من خلال القصة والشعر والفلسفة والترجمة وعلم الجبر والهندسة والاختراعات كالساعة المائية والمزولة والإسطرلاب، والعلوم كالكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والطب والصناعات كالحرير والنسيج والزجاج والعمارة والتخطيط، مما جعل أوروبا تنمو على أكتاف العرب وينسبون ذلك إلى أنفسهم، فما كان من أوروبا أن تشهد ما شهدته من تقدم وحضارة إن لم تستند إلى أساس متين من التراث العلمي العربي الإسلامي. فهذا هو الإسلام بمنهاجه القويم ورسالته السامية التي لا تشوبها شائبة، جاء للبشرية نورا وهداية في صلاح الدنيا والدين.

إنه الإسلام الذي جاء بالرسالة السامية والكتاب الهادي الذي قال عنه رسول الله ﷺ فيما رواه الحارث عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتاب فيه خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله».

لماذا الإسلام؟ نترك المنصفين من الغرب يجيبون على هذا السؤال:

يقول «سنرستن الآسوجي» أستاذ اللغات السامية، في كتابه «تاريخ حياة محمد»: «إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا؛ فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصرًا على مبدئه، ومازال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ».

ويقول «مايكل هارت» في كتابه «مائة رجل في التاريخ»: «إن اختياري محمدًا، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي، فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمدًا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضًا وحد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم، أيضًا في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية وأتمها».

وفي كتاب الدكتور عماد الدين خليل «قالوا عن الإسلام» وغيره الكثير من المقولات المنصفة، مثلا تضمن الكتاب ذكرًا للكتب التي تحدثت عن الموضوع ومنها: «الطريق إلى مكة» لليوبولد فايس، «محمد أسد» و«دفاع عن الإسلام» للورا فيشيا فاغليري، و«دراسات في حضارة الإسلام» و«الاتجاهات الحديثة في الإسلام» لهاملتون جب، وتظهر أهميته البالغة في كثافة شهاداته عن الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقًا وسلوكًا، ومن ثم يمكن اعتبار الكتب المذكورة بمثابة مراجع محورية في الفصل الخاص بالإسلام، حيث تليها في الأهمية سائر المراجع التي قدمت مادة أقل.

وما يقال عن الكتب الآنفة الذكر بالنسبة «للإسلام» يمكن أن يقال- مثلًا - عن كتاب «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم» لموريس بوكاي بالنسبة «للقرآن الكريم»، وكتاب «محمد الرسالة والرسول» لنظمي لوقا، و«حياة محمد» لإميل درمنغم و«الأبطال» لكارلايل، بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم، وكتاب «الدعوة إلى الإسلام» لتوماس آرنولد و«إنسانية الإسلام» لبوازار بالنسبة لانتشار الإسلام وطرائق معاملة غير المسلمين، وكتاب «حضارة العرب» لجوستاف لوبون و«شمس الله تسطع على الغرب» لزيغريد هونكه و«تأثير الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى» لمونتغمري وات بالنسبة «للحضارة الإسلامية»، وكتاب «القوميات والدولة السوفييتية» لهيلين كارير دانكوس و«إنسانية الإسلام» لبوازار و«الطريق إلى مكة» لليوبولد فايس بالنسبة لواقع المسلمين ومستقبلهم.

إن كلمة الإسلام التي يتضمنها عنوان الكتاب، تجيء بشكل جامع يضم بين جناحيه الجوانب النظرية (العقيدية) والتطبيقية (التاريخية) على السواء باعتبار أن التاريخ الإسلامي بمعطياته السياسية والحضارية، برجالاته وجماهيره وتجاربه، تعبير عن الإسلام بدرجة أو أخرى، أو بعبارة ثانية: الحقل الذي تبرز فيه تأثيرات الإسلام في خطوط متفاوتة العمق. ومن ثم فإن الشهادات لن تقتصر هنا على الإسلام وحده، بقرآنه الكريم ونبيه عليه السلام ومعطياته العقيدية والتشريعية... الخ، وإنما تنسحب على صيغ التحقق في الزمن والمكان، أي في التاريخ.

فالإسلام يدعو إلى الطمأنينة والسلام وقد أسس على المنطق والإقناع لا على الإجبار والإكراه.. إنها شهادات تجيب عن هذا السؤال: لماذا الإسلام؟

آن ماري شيمل عميدة الاستشراق الألماني وصديقة الإسلام

أحمد رشاد حسانين - ناقد وعضو اتحاد الكتاب

«يكاد يكون من المستحيل في هذا العصر التعرف على الجوانب الإيجابية في الإسلام في الحياة اليومية، لأننا نكاد نغرق في الطوفان الإعلامي الغربي، وفي غمرة نشرات الأخبار المتتالية الموجهة إلينا بأسلوب الإعلانات التجارية، والذين يعادون الإسلام يفعلون ذلك عن جهل به، لأن الإنسان عدو ما يجهل».

المستشرقة الألمانية «آن ماري شيمل» في نهاية شهر يناير من عام ٢٠٠٣م، نعي إلى العالم شرقه وغربه، رحيل المستشرقة الألمانية «آن ماري شيمل»، عن دنيانا عن عمرٍ يناهز الثمانين عامًا، تاركة وراءها تراثًا غنيًا من الدراسات الإسلامية سيظل دائمًا شاهدًا على نبل المقصد، ومحبة الحقيقة وشرف الكلمة والتجرد من الهوى المغرض، فضلاً عما خلفته من احترام وتقدير لدى كافة الدارسين والمتخصصين في الدراسات الإسلامية والشرقية في عالمنا المعاصر.

لقد اعتبرت «آن ماري شيمل» Anne Marie Schimmel عميدة المستشرقين خاصة الألمان منهم، كما تعد من الخبراء الأوائل المعدودين في الدراسات الصوفية الإسلامية، وكذا في الفنون الإسلامية وفن الخط العربي. أما ما ترجمته من الشعر الإسلامي بكافة لغاته فيعكس خبرتها وقدرتها على فهمه وتذوقه والإحاطة بأجوائه.

وقد ولدت آن ماري شيمل في ٧ من إبريل عام ١٩٢٢م وبدأت دراسة اللغة العربية ولم تكن قد تجاوزت الخامسة عشرة من عمرها.

تعرفت آن ماري المصادر العربية وأصول الحضارة الإسلامية وتقدمت في دراستها حتى نالت إجازة الدكتوراه عام ١٩٤١م.

قامت آن ماري بالتدريس في جامعة «ماربورج» بألمانيا ثم رحلت إلى تركيا للتدريس بمعهد الشريعة بجامعة «أنقرة» عام ١٩٥٤م، عادت إلى ألمانيا للتدريس بجامعة «بون» عام ١٩٦١م.

وفي عام ١٩٦٧م حصلت على لقب الأستاذية في الثقافة الهندية الإسلامية من جامعة «هارفارد» العريقة بالولايات المتحدة الأمريكية ومن ثم انتقلت إلى هذه الجامعة وارتبطت بها حتى عام ١٩٩٢م.

حياة علمية حافلة:

ابتداءً من عام ١٩٦١م، شغلت آن ماري منصب مستشارة الشؤون العلمية في مجال الدراسات الإسلامية إلى جانب عملها كأستاذة للغة العربية والعلوم الإنسانية كما أنها أشرفت على تحرير مجلة (فكر وفن) الدورية من عام ١٩٦٣م إلى عام ١٩٧٣م وهي مجلة علمية كانت تنشر باللغة العربية وتصدرها مؤسسة «جوته» الألمانية.

في عام ١٩٧٠م خصص لآن ماري كرسي تاريخ أديان الشرق في جامعة «هارفارد» بالإضافة إلى أنها كانت تلقي دروسها بمدينة لندن في صيف كل عام في مؤسسة الأبحاث الإسلامية.

أتقنت من اللغات الشرقية: العربية والفارسية والتركية والأردية والسندية والباشوتية مما أهلها لترجمة الكثير من الشعر الصوفي خصوصًا لجلال الدين الرومي، الحلاج، ميرزا أسد الله، غالب الدهلوي، محمد إقبال وغيرهم.

وقد أنجزت آن ماري أكثر من ١٠٠ كتاب ودراسة ومقال في مجال الدراسات الإسلامية، فكتبت على سبيل المثال في: التعريف بالإسلام، عن الرسول ﷺ، عن تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، عن الصوفية والفكر الصوفي، عن الشعر العربي والتركي، عن الفنون الإسلامية والخط العربي، وعن الحياة المعاصرة للمسلمين. هذا ولم تنقطع صلة آن ماري بالفن الإسلامي، فقد ظلت طيلة عشر سنوات مستشارة لشؤون الخط الإسلامي في متحف نيويورك.

والجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور محمد عوني عبدالرؤوف قد أورد إحصاءً مفصلاً لجل مؤلفاتها في الدراسات الإسلامية والتصوف، والآداب، والفنون، والمؤلفات التاريخية والاجتماعية والفلسفية، إضافة إلى الدراسات اللغوية.

مكانتها في العالم الإسلامي:

لم يحظ أحد من المستشرقين بتقدير العالم الإسلامي مثلما حظيت آن ماري شيمل وهو ما حدا إلى تكريمها والاحتفاء بها أينما حلت في عواصم عالمنا العربي والإسلامي، فكانت تمنح أرفع الأوسمة والجوائز والنياشين، في أنقرة، الرياض، القاهرة، لاهور، طهران.

ومرجع هذا التقدير والاحتفاء دعوتها التي كانت ترددها بلا كلل للتسامح ودعمها المتواصل للتبادل والتفاهم بين الأديان. لقد كانت آن ماري تمثل جسرًا مهمًا بين الثقافة الإسلامية والحضارة العربية بصفة عامة.

خلفيتها الفكرية:

لقد ارتكزت الخلفية الفكرية التي تعاملت بها آن ماري مع الحضارة الإسلامية على الكثير من المحبة والرغبة في اكتشاف الجوانب المضيئة في هذه الحضارة، تقول آن ماري: «لقد جذبني عالم الشرق منذ كنت طفلة، وبدأت تعلم اللغة العربية وعمري خمسة عشر عامًا، وسأظل أحب العالم العربي والإسلامي حتى وفاتي»

ومما عَمّق من شعبية آن ماري بين العرب والمسلمين، عزوفها عن الأدلجة والتسييس، وهو شرك وقع فيه كثير من الدارسين الغربيين وهو بالضبط سر معارضة الغربيين لها إلا أنها بالرغم من ذلك؛ لم تكف عن تكرار دعوتها الشهيرة (التقابل لا المواجهة).

وعن حياتها المتأرجحة بين الشرق والغرب، كتبت شيمل:

«لا أنتمي تمامًا إلى هذا العالم (العالم الغربي)، فأنا أعيش في الشرق أكثر مما أعيش في وطني».

لقد كانت تعيش في بيتها محاطة بالكتب الإسلامية والسجاد الفارسي والخطوط واللوحات العربية وقد قرأتْ وهي في السابعة من عمرها حكاية عن يتيم في دمشق فاكتشفت منذ ذلك الحين حنينها الخفي نحو الشرق.

إن تاريخ حياتها الزاخر بالكتب والمقالات والترجمات، يكشف بالفعل عن نشاط لا ينتمي إلى عالمها الغربي، ولا أحد يعرف سر هذا النشاط، ولا كيفية توفيرها الوقت اللازم لكتابة كل هذا القدر من الأمور والمسائل المعقدة وهي التي تقضي نصف أوقاتها في السفر والترحال.

أثرها في الدراسات الاستشراقية:

عُرف عن شيمل أنها من أكثر المستشرقين الألمان دراية بالإسلام، فضلًا عن كونها قد ساهمت دون أدنى مبالغة في حدوث نقلة نوعية في مدرسة الاستشراق الألمانية، ومن أهم سمات هذه النقلة:

الانفتاح بموضوعية وإيجابية على الثقافة الإسلامية.

إدراك أهمية الحوار الحضاري والتواصل الفكري مع الآخر.

التطلع إلى التصوف كجسر بين الأديان والحضارات.

ارتباطها كمستشرقة بواقع دراساتها وأبحاثها بصورة عملية مباشرة.

لقد كان الاستشراق الألماني حتى تلك الآونة التي غادرت فيها شيمل إلى تركيا، فيلولوجي الطابع، ضعيف الصلة بالواقع، فالمستشرق الألماني «تيودور نولدكه» على سبيل المثال (١٨٣٦-١٩٣٠م) كان متميزًا في اللغات الشرقية وآدابها إلا إنه لم يتجاوز في رحلاته مدينة فيينا، لذا فإن ذهاب شيمل على الشرق واندماجها في ثقافته، كان استثناء وليس القاعدة، ففي تركيا لم تتعلم شيمل التركية لتقرأ بها فحسب بل غدت التركية لها كأنها لغة أم.

ومما يذكر لشيمل ويحسب لها كإضافة هامة في مجال الدراسات الاستشراقية، تأسيسها مع «فريدرك هايلر» المؤتمر العالمي لمؤرخي الأديان عام١٩٦٠م، وحين انتقلت شيمل عام ١٩٧٦م إلى هارفارد وغدت أستاذة للغات الهندية الإسلامية indo – muslim، أنجزت كتابات ودراسات ضافية عن الأبعاد الصوفية في الإسلام، إضافة إلى اهتمامها بشخصيات كبرى في عالم التصوف من أمثال: حافظ

الشيرازي، جلال الدين الرومي، الحلاج وكذلك شخصيات من العصر الحديث.

ولم يقتصر اهتمام شيمل على القديم فحسب بل طوفت دراساتها وأبحاثها بكافة العصور الإسلامية من الماضي إلى الحاضر. يقول الدكتور مصطفى ماهر أستاذ اللغة الألمانية وآدابها بكلية الألسن في مقاله عنها بمجلة الهلال (عدد ديسمبر ١٩٩٥م ص ١١٢: ١١٩) «فهي إذن مشغولة بآداب الأمم الإسلامية التي تتقن من لغاتها: العربية والتركية والفارسية والأردو والسندي على الأقل، وقد نشرت في مجلة «فكر وفن» العديد من النماذج المترجمة عن الشعر العربي المعاصر (١٦١ صفحة) يبدأ بدراسة مستفيضة ويضم نماذج من شعر نازك الملائكة، بدر شاكر السياب، عبدالوهاب البياتي، محمد الفيتوري، صلاح عبدالصبور أحمد عبدالمعطي حجازي، فدوى طوقان، سميح القاسم، محمود درويش، نزار القباني، توفيق صايغ وأدونيس». ولقد اكتسب التصوف والشعر الإسلامي في ضوء تحليلاتها أبعادًا جديدة مثلما أضفت ترجماتها مزيدًا من الاهتمام باللغات الإسلامية عند الجمهور في أوروبا وأميركا.

ولقد شكل المستشرق والمترجم الألماني «فريدريك ريكهارت» Friedrick Roeckert لآن ماري شيمل، مثلاً يحتذى، وبخاصة عندما قام بترجمة معاني القرآن وبعض نماذج من الشعر العربي والفارسي إلى الألمانية وكان شعار ريكهارت «الشعر العالمي هو تسامح عالمي».

وقد تمكنت شيمل في ترجماتها من تقديم نصوص متميزة على المستويين الجمالي والمعرفي دون أن تخون الأصل.

أوسمة وجوائز:

خلال حياتها حصلت آن ماري على العديد من الأوسمة والجوائز الرفيعة سواء من داخل ألمانيا أو خارجها، كما تم منحها درجة الدكتوراه الفخرية من عدة جامعات منها: جامعة اسطنبول وجامعة أوبسالا وجامعة طهران وحصلت على أوسمة ونياشين من مختلف البلدان الشرقية والغربية منها:

جائزة فريدريك ريكهارت الألمانية عام ١٩٦٥م .

وسام القائد الأعظم لجمهورية باكستان عام ١٩٦٦م .

وسام الاستحقاق الألماني من الدرجة الأولى عام ١٩٨١م .

جائزة المكتبات للسلام الممنوحة من الناشرين الألمان عام ١٩٩٥م .

وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من مصر ١٩٩٧م.

واحتفالاً بعيد ميلادها الخامس والسبعين تم إطلاق اسمها على معهد العلوم الشرقية في جامعة بون.

ومن الجدير بالذكر، أن ننوه بما جاء في حيثيات جائزتها للسلام، من إشادة فقد جاء فيها: «تقديرًا لإنتاجها الفكري لتحقيق فهم أفضل للإسلام وليس من خارجه، وإن اتحاد الناشرين الألمان إذ يأخذ بعين الاعتبار تفاقم ظواهر التعصب الذي شاع في مختلف بقاع العالم، فإنه يعتبر تكريم الدكتورة شيمل، اعترافًا بإمكانية بل بضرورة التفاهم بين الحضارات كبديل عن المجابهة والصدام».

حلم أخذ يتحقق:

ومما يدعو للتفائل، إن حلم شيمل قد أخذ في التحقق، إذ تولى شخصان من ثقافتين وديانتين مختلفتين «منتدى آن ماري شيمل للحوار الديني والثقافي» والشخصان هما: الأفغاني «غلام توتاخيل» الرئيس السابق للمجلس الإسلامي في ألمانيا، والألماني «كلاوس ليفرنج هاوزن»، المكلف السابق لحكومة ولاية شمال الراين وستفاليا بشؤون المهاجرين.

وقد أكد كل منهما على أسمى القيم التي تجمعهما، وهي الاحترام المتبادل رغم اختلاف العقيدة وأن غايتهما هي تنفيذ وصية آن ماري لكي يبقى ما قامت به من خدمات علمية من أجل التفاهم قائمًا والهدف من ذلك يتمثل في تجنب نشوب الصراعات بين الحضارات، انطلاقًا من إيماننا بأننا إذا قمنا بالاستفادة من الطاقات المتواجدة في الأديان والثقافات لعاد ذلك بالنفع على الجميع وذلك بدلاً من استغلال هذه الطاقات بصور سيئة لتعكير صفو التعايش السلمي وإراقة الدماء، على حد تعبير غلام توتاخيل، ويقول ليفرنج هاوزن:

«إن ما قامت به بعض وسائل الإعلام في أوروبا من جهة والجهات الأمنية وبعض السياسيين من جهة أخرى، من إعطاء الرأي العام الأوروبي فكرة خاطئة عن الإسلام، تسبب في انقلاب الرأي العام الإسلامي على الغرب وانقلاب العالم الغربي على المسلمين، لقد كان من الممكن تلافي هذه المشاكل منذ البداية، لذلك نريد الحديث عن الإسلام بموضوعية».

من أقوال آن ماري شيمل:

«إن الحضارة التي سارت على سنة تحية «السلام» تمر اليوم بأطوار من الانغلاق والتصلب الفكري وتبريرية المواقف وإننا نجد أنفسنا اليوم إلى حد كبير أمام مظاهر صراع سياسي بحت وأيديولوجيات تستغل الإسلامي كشعار وهي أبعد ما يكون عن أسس الدين وأصوله».

«إن طريقي ليس هو طريق التصريحات والبيانات، ولا هو طريق الإثارات والزوابع، إنني أؤمن أن الماء الصافي سوف ينتصر بحركته الدؤوبة على مر الزمن، إنني أتوجه مع رجاء العون، من أجل خدمة السلام بالشكر أولاً وأخيرًا إلى من توجه إليه «جوته» في الديوان الشرقي بقوله:

لله المشرق .. لله المغرب
والأرض شمالاً
والأرض جنوبًا
تسكن آمنة.. بين يديه.. هو العدل وحده
يريد الحق لعبده
من مائة اسم من أسمائه
تقدس اسمه هذا
آمين

المصادر

- مجلة «منبر الإسلام» ص ١١٦، السنة ٦٢، العدد (١) المحرم ١٤٢٤هـ، مارس ٢٠٠٣م، القاهرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- مجلة «أدب ونقد» ص ٤٩، العدد ٢١٣، القاهرة مايو ٢٠٠٣م
- مواقع إلكترونية:

http://www.pulppitalwatanvoice.com
http://www.marefa.org
http://www.aawsat.com
http://www.dw-world.de

في مديح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

محمد عباس - شاعر

تدنو الحروفُ الباكياتُ من الطللْ
وتقولُ يسمع كل حي في الفلا
ورضاء رب العالمين يضمها

تروي الأمورَ الحادثاتِ من الأزلْ
والجن يشهد أن قولك قد كملْ
خير النفوس من استقام ولم يسلْ

تسعى الشفاه الى ارتجافة حرفها
وأتاك يؤمن كل قلب قد وعى
وأتيت بعد المرسلين مؤخرًا

والحرف أثقل - في الحقيقة - من جبلْ
وآتاك يشهد كل عقل قد عقلْ
وتكون يوم البعث ذا الأمر الجلل

يا ذلك المنسوبُ - قولًا - للذي
والآي تهبط والصعود مدارها
تأوي القلوب إليك أنت ملاذها

كان الضياء وكان للمجد المثل
جبريلُ يسكب نورها بين المقلْ
يوم الحساب لمن أفاء وما غفلْ

أتراك تعرف كيف أبصر دربه
والقلب يحشد كل حس عنده
يدعون أحمد والجواب أنا لها

بيقين قلبٍ قد تبرأ من عللْ
ليكون صرحا للحروف وللجُملْ
وهناك حوضك للشفاعة قد شملْ

فمحمدُ المبعوثُ رحمةَ ربه
قرآن رب العالمين قد استوى
تدعو الإله وأنت خير من اقتفى

خيرُ البرية قد تفرد واكتملْ
نورٌ بصدرك قد أهّل وما أفلْ
أثر الضراعة دون ميلٍ أو مللْ

أعطاه رب العالمين من الهدى
وجميل فعلك قد أظّل فعالنا
فيقول ربك قم تشفع إنما

ما فاض منه على الخلائق كالظلل
سنن الرسول هي الوقاء من الزللْ
أرضاك ربك ما قلاك وما خذلْ

وحباه بالقرآن أعظمَ آية
وجميع قولك صار عهدًا بيننا
يا ذلك المبعوث هديا للورى

جلّت عن التشبيه أو فرض البدلْ
بعد الكتاب هو السراج لمن عدل
تحيي القلوب على التفكر لا الشللْ

وهو الشهيد على البرية كلها
أنت الرحيم وقد ملكت نفوسنا
أبقيت بعدك للقلوب من الهدى

أمَر الإله فقال طوعًا وامتثلْ
ببدائع الرحمات قولًا والعملْ
خير الشمائل دون زيفٍ أو خلل

بالله يعرف كل شيء حوله
خير الصحاب إذا صحبت ومن يرى
تهوي القلوب إلى الضياع وحينما

لله يفعل كل خيرٍ إذ فعلْ
حق الصحاب على الصحاب فما جهلْ
ترجو الرجوع فنور أحمد في المقلْ

الله أكبر ذاك محمودُ النهى
تدني البعيد وللقريب محبةٌ
ما بال قومك قد تبدد شملهم

جمع القلوبَ على الطريق ولم يزلْ
بالليل يشرق كل نجم قد أفل
دون الشعور ولو ببعضٍ من خجلْ

حُمِّلت وحدك ما تنوء بمثله
وتصون عهدك لا تزيغ لحاجةٍ
ونريد مجدًا والظلام يحيطنا

أممٌ تروم المجد في أبهى حلل
ويكون قولك كالشعاع إذا اعتدل
المجد يُصنع بالعزيمة لا الكسلْ

ومضيت وحدك داعيًا ومبشرًا
وتجود كفك بالعطاء على المدى
والله يمنح من يجد ويرتجي

والنور حولك يستضيء من الجزل
خير العطاء عطاء كفٍ قد بذلْ
أما البليد فذاك عنوان الفشلْ

ويعيش بيتك والكفاف صراطه
يأوي النفوس بغير ضيقٍ أو جدلْ

السيرة النبوية.. ببليوجرافية منتقاة للأعمال الفكرية

فاطمة الزهراء محمد عبده
ماجستير المكتبات وتقنية المعلومات جامعة القاهرة

بين يدي هذه الدراسة الببليوجرافية مجموعة منتقاه من الأعمال الفكرية والأبحاث الجامعية تدور حول السيرة النبوية العطرة، تم تجميع هذه الدراسات من فهارس مجموعة من المكتبات وهي «مكتبة الملك فهد الوطنية – مكتبة الملك عبدالعزيز – المكتبة المركزية لجامعة القاهرة – مكتبة مصر العامة – مكتبة الأزهر الشريف» ومجموعة متفرقة من الفهارس الإلكترونية الموجودة على شبكة الإنترنت، كما تم التركيز في انتقاء هذه الأعمال الفكرية على دراسات المستشرقين الخاصة بالسيرة النبوية، حتى يتسنى للقارئ فهم وإدراك الأسلوب الذي يستخدمه الغرب في تناول هذا الموضوع شديد الأهمية، وتم تقسيم الببليوجرافية إلى الكتب ثم الدراسات الجامعية ثم الكتب والدراسات الغربية باللغات الأوروبية.

الكتب

١ – إبراهيم، فوزي. سيدنا محمد ﷺ: أعظم الخلق. – القاهرة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٦.

٢ – إبراهيم، محمد. الرسول العظيم بأقلام أعلام المستشرقين والمفكرين العرب. – القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠١١.

٣ – ابن الجوزي، أبوالفرج عبدالرحمن (٥١٠ – ٥٩٧ هـ): الوفاء بأحوال المصطفى. الجزء الأول، تحقيق مصطفى عبد الواحد. – ط ١. – القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤٩٦٦.

٤ – ابن الجوزي، أبوالفرج عبدالرحمن ٥١٠ – ٥٩٧. صفة الصفوة الأول. – القاهرة: المكتبة التوفيقية.

٥ – ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ١٩٩٢ – ١٣٥٠م. زاد المعاد في هدي خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين. – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٦٠.

٦ – ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. الصارم المسلول على شاتم الرسول/ تقي الدين أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي، المعروف، بابن تيمية؛ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد. القاهرة: دار الفكر، (١٩٧٠).

٧ – ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. كتاب النبوات. – بيروت: دار الكتاب العلمية، ١٩٨٥.

٨ – ابن حزم، علي بن أحمد.(٩٩٤هـ -١٠٤٤م). جوامع السيرة النبوية. – ط ١. – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

٩ – ابن دحية الكلبي، عمر بن الحسن. نهاية السول في خصائص الرسول محمد بن عبدالله ﷺ / تحقيق عبدالله عبدالقادر الشيخ محمد نور الفادني؛ راجعه وصححه محمد محيي الدين الأصفر. – قطر: إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٥.

١٠ – ابن سيد الناس، محمد بن عبدالله بن يحيى (٦٧١ – ٧٣٤ هـ). عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ٢مج. – بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

١١ – ابن عبد البر، يوسف (٣٦٨ – ٤٦٣ هـ). الدرر في اختصار المغازي والسير / تحقيق شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلامي. – القاهرة: مؤسسة دار التحرير، ١٩٦٦.

١٢ – ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل (٧٠١ – ٧٤٧ هـ). السيرة النبوية / تحقيق مصطفى عبدالواحد. – متعدد الأجزاء. – القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٤: ١٩٦٦.

١٣ – ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه. – الرياض: العبيكان، ٢٠٠١.

١٤ – ابن هشام، أبومحمد عبدالملك المعافري (ت ٢١٣ هـ). سيرة النبي ﷺ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. – القاهرة: مطبعة حجازي، نشر المكتبة التجارية.

١٥ – أبوالنصر، عمر. رسول العرب والإسلام محمد بن عبد الله ﷺ: أعظم قصة في التاريخ. – بيروت: مكتب عمر أبوالنصر للتأليف والترجمة والصحافة، ١٩٧٠.

١٦ – أبوخليل، شوقي. أطلس السيرة النبوية. – ط ١. – بيروت: دار الفكر العربي، ٢٠٠٣.

١٧ – أبوزهرة، محمد خاتم النبين ﷺ. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣.

١٨ – أبوزيد، أحمد. السيرة النبوية: تصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولندا؛ سلسلة تصحيح ما ينشر عن الإسلام والمسلمين من معلومات خاطئة: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

١٩ – أبوفرحة، جمال الحسيني. ميزان النبوة: المعجزة. – القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٨.

٢٠ – الإبياري، فتحي. المحمديات. – القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.
٢١ – الإبياري، فتحي. محمدﷺ: ومواقف من السيرة النبوية الشريفة. – ط ١. – القاهرة الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٣.
٢٢ – آرمسترونج، كارين. سيرة النبي محمد / ترجمة فاطمة نصر، محمد عناني. – ط ٢. – القاهرة: شركة سطور، ١٩٩٨.
٢٣ – آرمسترونج، كارين. محمد ﷺ نبي لزماننا. – القاهرة: دار الشروق الدولية، ٢٠٠٨.
٢٤ – آل يحيى، سيف الدين سعيد. الحركات العسكرية للرسول الأعظم في كفتي ميزان. – بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٣.
٢٥ – الألمعي، زاهر بن عواض. مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش: دراسة تحليلية لأبعاد الموضوع وخطورته. – ط ٢. – القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٦.
٢٦ – أمحزون، محمد. منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة. ط ٢. – القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٣.
٢٧ – بدوي، عبد الرحمن. دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره / كمال جاد الله. – القاهرة: الدار العالمية للكتب والنشر، (١٩٩٩).
٢٨– برغوث، الطيب، ١٩٥٠. منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية. – الولايات المتحدة الأميركية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦.
٢٩– بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية / ترجمة نبيه فارس، منير البعلبكي. – ط ٤ – بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٥.
٣٠– البيهقي، أحمد بن الحسين (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ). دلائل النبوة، الجزء الثاني / تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان. ط.١. – المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٩٨٩.
٣١– بودلين ر. ف. الرسول: حياة محمد / ترجمة محمد محمد فرج، عبدالحميد جودة السحار. – القاهرة: مكتبة مصر، (١٩٨٩).
٣٢– بوش، جورج، ١٧٩٦ – ١٨٥٩. محمد ﷺ: مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين / ترجمه وحققه وعلق عليه عبدالرحمن عبدالله الشيخ. ط ٣ . – الرياض: دار المريخ، ٢٠٠٥. الترجمة العربية لـ The Life of Mohammed Founder of The Religion of Islam and of The empire of The Saracens.
٣٣– البوطي، محمد سعيد رمضان. فقه السيرة. ط ٧ . – القاهرة: دار الفكر، ١٩٧٨.
٣٤– الترمذي، محمد بن عيسى. أوصاف النبي ﷺ / تحقيق وتعليق سميح عباس. – ط ٢. – بيروت: دار الجيل ؛ القاهرة: مكتبة الزهراء، ١٩٨٧.
٣٥– جاد الحق، جاد الحق علي. النبي ﷺ في القرآن الكريم. – القاهرة: دار الفاروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
٣٦– الجبري، عبدالمتعال محمد. السيرة النبوية وأوهام المستشرقين. – مكتبة وهبة، ١٩٨٨.
٣٧– جلهوم، إبراهيم. معجزات الرسول ﷺ ودلائل صدق نبوته / ترجمة عبدالسلام حماد. ط ٥. – القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤.
٣٨– الجماعيلي، عبدالغني بن عبدالواحد. سيرة النبي وسيرة الصحابة العشرة / عبدالغني بن علي بن سرور المقدسي. – القاهرة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٨.
٣٩– جمعة، علي. سيدنا محمد ﷺ: رسول الله إلى العالمين. – القاهرة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٦.
٤٠– كولن، فتح الله. النور الخالد محمد ﷺ: مفخرة الإنسانية / ترجمة أورخان محمد علي. – ط ٥. – القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ٢٠٠٩.
٤١– جيورجيو، كونستانس فيرجيل. نظرة جديدة في سيرة رسول الله / ترجمة محمد التونجي. – بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٣.
٤٢– الحربين خالد محمد. عشرة أيام في حياة الرسول. – القاهرة: دار ثابت، (١٩٨٦).
٤٣– حسن، أصلان عبدالسلام. قراءة نقدية في كتب السيرة النبوية. – ط ١. – القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.
٤٤– حسن، حسن علي. السيرة النبوية: دراسة تحليلية. – دار الهداية، ٢٠٠٦.
٤٥– حسني، مصطفى. قصة حب. – القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠١٠.
٤٦– حسين، طه، ١٨٨٩ – ١٩٧٣. على هامش السيرة. ط ٣٣. – القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤.
٤٧– الحفناوي، حسن. محمد والعقل. القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٥.
٤٨– حلمي، إسماعيل. محمد قائد الأمم. – القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.
٤٩– حوى، سعيد. الرسول ﷺ. – القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٠.
٥٠– الحيدر أبادي، محمد حميد الله. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي وعهد الراشدين. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤١.
٥١– خالد، عمرو. على خطى الحبيب ﷺ. – الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٧.
٥٢– الخضيري، محمد. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين. القاهرة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٩.
٥٣– خطاب، محمود شيت. الرسول القائد. – ط ٣: مزيدة ومنقحة. – القاهرة: دار القلم، ١٩٦٤.
٥٤– خلاف، إبراهيم حسن. أضواء الفجر. – القاهرة: الدار العالمية للنشر

والتوزيع، ٢٠٠٣.
٥٥- خليل، عماد الدين. دراسة في السيرة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٤.
٥٦- داود، عبدالأحد. محمد في الكتاب المقدس / ترجمة فهمي باشا ؛ مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق. - ط ٣. - قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٩٩٠.
٥٧- درمنغم، إميل. حياة محمد / ترجمة عادل زعيتر. - ط ٢ . - دار إحياء الكتب، ١٩٤٩.
٥٨- دروزة، محمد عزة. سيرة الرسول «صور مقتبسة من القرآن». - ط ١ . - القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٤٧.
٥٩- الدرويش، سليمان بن عبدالعزيز. وسائل الترغيب وأنواعه في دعوة النبي ﷺ - الرياض: المؤلف، ١٩٩٧.
٦٠- الدرويش، عبدالعزيز عبدالله. ناطق الحق: محمد رسول الله ﷺ - المؤلف، ١٩٩٦.
٦١- دويدار، أمين. صور من حياة الرسول. - ط ٤. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨.
٦٢- دينيه، أيتين. محمد رسول الله / سليمان بن إبراهيم ناصر الدين؛ ترجمة عبدالحليم محمود، محمد عبدالحليم. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦.
٦٣- الراوي، محمد. كان خلقه القرآن عليه الصلاة والسلام. - القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠٧.
٦٤- رضا، محمد رشيد. الوحي المحمدي. - القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠.
٦٥- رضا، محمد. محمد ﷺ إعداد محمد يوسف إبراهيم. - ط ١. - بيروت: المركز الثقافي، ٢٠٠٥.
٦٦- رضوان، محمد عبدالمنعم. محمد القائد الأعظم في الحرب والسلام عليه الصلاة والسلام. - القاهرة: دار المأمون، ١٩٨٤.
٦٧- زيدان، يسري أحمد عبدالله. قراءة في السيرة النبوية المطهرة: (العصر المكي) مع عرض لأحوال العالم قبل النبوة الخاتمة. - ط ١. - القاهرة: دار الثقافة العربية، ١٩٩٧.
٦٨- سالم، إبراهيم علي. النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ - القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٩.
٦٩- السبكين عبداللطيف. الوحي إلى الرسول محمد ﷺ. - القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩.
٧٠- السحار، عبدالحميد جودة. أضواء على السيرة النبوية: ومقارنة بين الأديان. القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٩٢.
٧١- السحار، عبدالحميد جودة. السيرة النبوية: محمد رسول الله والذين معه. - القاهرة: مكتبة مصر، (-٢٠٠).
٧٢- السرجاني، راغب. أخلاق الحروب في السنة النبوية. - القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٠.
٧٣- سلامة، محسن محمد. أيها العالم! هذا نبي الرحمة محمد ﷺ - الإسكندرية: الدار العالمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.
٧٤- السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله. الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لأبن هشام، وبهامشه السيرة النبوية لابن هشام / تحقيق وتعليق وشرح عبدالرحمن الوكيل. - القاهرة: مطبعة الجمالية، ١٩١٤.
٧٥- الشريف، أحمد إبراهيم. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول. - ط ٢ . - القاهرة: دار الفكر العربي.
٧٦- الشعراوي، محمد متولي. السيرة النبوية. - القاهرة: الدار التوفيقية للتراث، ٢٠١٠.
٧٧- الشعراوي، محمد متولي. معجزات الرسول. - القاهرة: أخبار اليوم، قطاع الثقافة، ١٩٩٧.
٧٨- الشكعة، مصطفى. البيان المحمدي. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٥.
٧٩- الصالحي، محمد بن يوسف، ت١٥٣٦. سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد. - القاهرة: جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، ١٩٩٠ - ١٩٩٧. ١٢ مج.
٨٠- الصلابي، علي محمد محمد (١٩٦٣). السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث. - ط ١ . - القاهرة: الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٣.
٨١- ضيف، شوقي. محمد خاتم المرسلين. - القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٠.
٨٢- الطاهر، حامد أحمد. الحب في حياة رسول الله ﷺ - القاهرة: دار الفجر للتراث، ٢٠١٠.
٨٣- الطبري، محمد بن جرير (٢٤٤ - ٣٢٠ هـ). - تاريخ الرسل والملوك: الجزء الثاني / تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم . - ط ٢ . - القاهرة: دار المعارف، ١٩٦١.
٨٤- عروة بن الزبير، حو ٦٤٣ - ٧٠٩م. مغازي رسول الله ﷺ (النسخة المستخرجة) / برواية أبي الأسود الدؤلي ؛ جمعه وحققه وقدم له محمد مصطفى الأعظمي. - الرياض: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨١.
٨٥- عطار، أحمد عبدالغفور. محمد رسول الله: تحاربه قوى الشر والتخريب. - عمان، الأردن: مكتبة الأقصى، ١٩٨٨.
٨٦- العفيفي، طه عبدالله. من صفات الرسول ﷺ الخلقية والخلقية. - ط ٢. - القاهرة الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.
٨٧- العقاد، عباس محمود. عبقرية محمد. - ط ٧: طبعة جديدة منقحة ومراجعة. - القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
٨٨- علي، جعفر عبدالسلام. أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية. - القاهرة: رابطة الجامعات الإسلامية، ٢٠٠٨.
٨٩- علي، جواد. تاريخ العرب في الإسلام: السيرة النبوية. - بغداد: مطبعة الزعيم، ١٩٦١. ج١.
٩٠- علي، حبيبة. في سيرة الرسول. -

القاهرة مكتبة الشباب، ١٩٨١.
٩١- الوجيه، محمد بن قاسم. المنهاج السوي شرح منظومة الهدي النبوي. - اليمن: دار الحكمة، ١٩٨٨.
٩٢- وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع. القاهرة: دار المنار، ١٩٩٩.

الرسائل الجامعية

١- الأشقر، محمد سليمان. أفعال الرسول ودلالاتها على الأحكام الشرعية. - ط ٢. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨. ٢مج.
٢- بدير، بدير محمد. الدلائل الإنسانية في السنة النبوية وأثرها في الدعوة. (أطروحة ماجستير) - جامعة الأزهر - كلية أصول الدين.
٣- بدير، بدير محمد. منهج العلماء على تدوين السيرة النبوية في القرن الثاني الهجري وأثره في الدعوة. (أطروحة دكتوراه) - جامعة الأزهر - كلية أصول الدين.
٤- بوكاري، مصطفى الحاج مالك. الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ عهد النبوة / إشراف أكرم ضياء العمرين. (أطروحة ماجستير) - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤١٢ هـ.
٥- البياع، نجاح عبدالله. أزواج الرسول ﷺ وجهادهن في سبيل الدعوة إلى الله تعالى. (أطروحة ماجستير) - جامعة الأزهر - كلية أصول الدين.
٦- الحسين سلطان بن عمر بن عبدالعزيز. موقف المستشرق «سيدو» من السيرة النبوية: دراسة نقدية من خلال كتابه «تاريخ العرب العام». (أطروحة ماجستير)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية دار الدعوة بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.
٧- حلبي، مصطفى عمر. الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين في دراسة شخصية الرسول ﷺ. (رسالة بحث مكمل للماجستير) - المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة - قسم الاستشراق، ١٤٠٩ هـ.
٨- الخرخيسي، عبدالعزيز السيد. دفاع القرآن عن الرسول ﷺ في العهد المكي. (أطروحة ماجستير) - جامعة الأزهر - كلية أصول الدين.
٩- الرفاعي، أحمد مجلي. دلائل أفعال الرسول ﷺ على الأحكام الشرعية. (أطروحة ماجستير) - جامعة الأزهر - كلية الشريعة والقانون.
١٠- الشاهد، بهاء محمد إسماعيل. محمد بن طولون الصالحي وتحقيق كتابه «مرشد المحتار إلى خصائص المختار». (أطروحة ماجستير) - جامعة الأزهر - كلية أصول الدين.
١١- عتر، حسن ضياء الدين. نبوة محمد ﷺ في القرآن. (أطروحة ماجستير) - جامعة الأزهر - كلية أصول الدين.
١٢- العجمي، أسماء الحسيني شحاتة. النبي ﷺ في بيته. (أطروحة ماجستير) - جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
١٣- عمار، أحمد محمد. سياسة الرسول ﷺ في الجهاد. (أطروحة ماجستير) - جامعة الأزهر - كلية الشريعة والقانون.
١٤- الفضلي، أحمد صباح ناصر الملا. المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول ﷺ لأبي شامة المقدسي ٥٩٩ - ٦٦٥ هـ / إشراف محمد نبيل عنايم. (أطروحة ماجستير) - جامعة القاهرة - كلية دار العلوم - قسم الشريعة الإسلامية، ١٩٩٤.
قدمت أصلا (كأطروحة دكتوراه) - جامعة الأزهر ١٩٧٦.
١٥- محمد، تغريد السيد محمد. القيم الخلقية في عصر صدر الإسلام الرؤية والتشكيل الفني / إشراف محمد أبوالمجد علي، عادل الدرغامي زايد. (أطروحة ماجستير) - جامعة الفيوم - كلية دار العلوم - قسم الدراسات الأدبية.

دراسات باللغات الأوروبية

1- Al Kalshni, Darwish Mahfuz Bin Muhammad. Plemenita Loza Bozijega Poslnika Mubammeda a. s.،zéurich: Sarajevo: Boé snjaécki institute. 1998.
2- Armstrong, Karen. 1994. Muhammad: a Biography of the Prophet. San Francisco, (Calif): Harper San Francisco. 1993.
3- Goldziher, Ignaz. Introduction to Islamic Theology and law: Modern Classics in near Eastern Studies. Translated by Andras and Ruth hamori. - Princeton University press. Princeton. New jersey. Translation of "Vorlesungen über den Islam"
4- Lings, Martin. Muhamad: His Life Based on The Earliest Sources. - Cambridge: The Islamic Texts Society, 2001.
5- Margoliouth, D. S.، Mohammad and Rise of Islam. (London: 1931).
6- Muhammad Prophet and Statesman, (Oxford University press: 1964).
7- Rodinson, Maxime. Mohammed: Translated) from the French(by Anne Carter. London. Penguin Books. 1971.
8- Salahi, M. A. Muhammad: Man and Prophet, a Complete
9- Study of the Life of the Prophet of Islam. - Shaftesbury, Dorset: Rockport, Mass.: Element, 1995.
Schacht, Joseph.The Origins of Muhammadan .Oxford. Clarendon press. 1967.
10- Watt, W. M.، Muhammad at Mecca, Fifth edition, (Oxford: 1972).
11- Watt, W. M.، Muhammad at Medina, (Oxford at the Clarendon press. London: 1966).،

خطبة الوداع..

النموذج الأسمى للتعايش الإنساني

كمال خليل - باحث مصري

مخطئ من يظن أن دين الإسلام أتى لقوم دون قوم، أو لبلد دون أخرى، أو لفئة من البشر دون سائر الخليقة، والصواب الذي ينبغي أن يعلمه القاصي والداني، العربي والأعجمي، الأبيض والأسود أن قواعد الإسلام وأسسه جاءت لتبين للناس كافة المقاصد العليا من خلقهم، وأنه على الرغم من اختلاف العقائد التي أعطى الإسلام لكل إنسان حريته فيها، وفي نفس الوقت حمّله تبعات اختياره.. فإن الإسلام شجع الخلق على التعايش والتعارف في نطاق المساحات المشتركة بينهم، أعني بذلك مساحة الالتقاء الإنساني الذي يغلب عليه طابع المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة.

ونظرة تحليلية في آيات القرآن الكريم التي تتعلق بهذا الشأن، وكذلك ما أعلنه الرسول الكريم ﷺ في حجة الوداع.. تجعلك تعلم علم اليقين أن هذا الدين الإسلامي له الكثير من القوة والقدرة في التوجيه بنصوصه القاطعة- التي

هي وحي من الله تعالى- نحو صلاح البشرية بأسرها، وتعايشها السلمي بعيدًا عن الهمجية التي نراها شرقًا وغربًا، وبعيدًا عن العنصرية التي ربما قتلت شعوبًا بكاملها بسبب ديانتها أو لونها أو جنسها.

ولقد خاطب الله رب العالمين البشر جميعا بقوله تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: 13)، هذه الآية خاطب بها النبي ﷺ الناس في فتح مكة، والملاحظ في النداء ﴿يأيها الناس﴾ أنه لم يخص به المسلمين أو العرب، ألا يعطينا ذلك مؤشرًا للتعايش الإنساني؟ والذي يطلع على خطبة حجة الوداع يلاحظ تكرار النداء من نبي الإنسانية ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «يأيها الناس، أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، فأعادها مرارًا ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟». قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: فو الذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته، «فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض».

إن الدين الإسلامي تفرد بحرمة الاعتداء بغير وجه حق على أي أحد من الناس، قال الله تعالى: ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (البقرة : 190)، إلا إذا صدر الاعتداء من الآخر فينبغي على المسلمين أن يردوا هذا الاعتداء: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (البقرة: 194)، كذلك من قمة سماحة الإسلام وحسن تعامله مع الناس جميعا أنه أمر بأداء الأمانات والحقوق، وإقامة العدل، ولو على المسلمين أنفسهم، قال الله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: 8).

ومن أسمى تعاليم النبي ﷺ في حجة الوداع ما رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»، وهذه تعريفات جديدة ما كانت تخطر ببال الصحابة الأطهار قبل ذلك، وخلاصتها والهدف منها الحفاظ على المجتمع بما فيه ومن فيه، ولأن الإيمان أعلى رتبة من مرتبة الإسلام، فإن الذي اتصف بهذا الوصف جدير بأن يكون أمينًا مؤتمنًا على كل من حوله، فهو للحق نصير وظهير، أينما وجد هذا الحق، ولأي فرد يكون، وتأمل جيدًا قوله ﷺ: «من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»، فهل بعد هذا التعريف للمؤمن يتهم الإسلام بأنه دين يحب سفك الدماء وسلب الأموال وانتهاك الأعراض؟

لاشك أن الذي يصرح بذلك في قلبه مرض عضال تجاه الدين الإسلامي، ولا هدف له إلا بث الكراهية وإشاعتها تجاه الإسلام وأتباعه.

إنك لو نظرت بعين التدبر، وقلب حاضر، وفكر سديد، إلى ما قاله المنصفون من كتاب الغرب عن الإسلام وأهله لتأكد لديك أن الافتراء على الإسلام بين واضح، يقول «الكونت هنري دي كاستري» في كتابه «الإسلام»: «كان اليهود في الأندلس قبل الفتح الإسلامي يرزحون تحت عسف القوط، وظلوا على ذلك زمنًا طويلًا إلى أن دخل المسلمون الأندلس، فخلصوهم من هذا الاضطهاد وسمحوا لهم بحرية التجارة التي كانت محظورة عليهم من قبل، وأباحوا لهم أن يمتلكوا بعد أن كانت الملكية محرمة عليهم، ولهذا نهضوا واشتهر كثير منهم بالعلم والأدب بعد أن استنشقوا نسيم الحرية»(1).

وقال السير «توماس أرنولد» في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»: «لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح»(2).

فانظر إلى هذا التباين بين ما يدعيه بعض كتاب الغرب ومفكريه، وبين هذه الشهادة من المنصفين من الغربيين أنفسهم!!

وقد ينسب الغرب لنفسه أنه حمى حقوق الإنسان وحافظ عليها، وأصدر القرارات وسن اللوائح، وأنشأ المؤسسات المعنية بذلك، إلا أننا نقول له: إن نبي الإسلام محمدًا ﷺ نصح أمته، وهو أقرب إلى توديع الدنيا، بحسن التعامل مع الناس جميعًا، وصيانة الأموال والأعراض والدماء، وتحريم الظلم والبغي والعدوان، بل إن المتدبر لسيرته الشريفة يلمس وفاءه مع العدو قبل الولي، ولعل موقف أبي جندل وأبي بصير- رضي الله عنهما- يوم الحديبية أبلغ شاهد على ذلك، حين ردهما ورفض قبولهما في صفوف المسلمين، تنفيذًا للعهد والوعد الذي وافق على بنوده ووقع عليه بخاتمه.

والذي قرأ التاريخ الإسلامي والفتوحات الإسلامية علم أن هذه الفتوحات لم يكن هدفها إراقة الدماء، أو إذلال الناس وإرغامهم على اعتناق الإسلام، ولم يكن هدفها التدمير والتخريب، وإنما كان هدفها منح الناس حريتهم في اختيار ما يشاءون دون إكراه من أحد، حيث كان الطغاة يرغمون الناس على موالاتهم، لدرجة وصلت إلى تقديسهم وعبادتهم، ألم يقل فرعون:

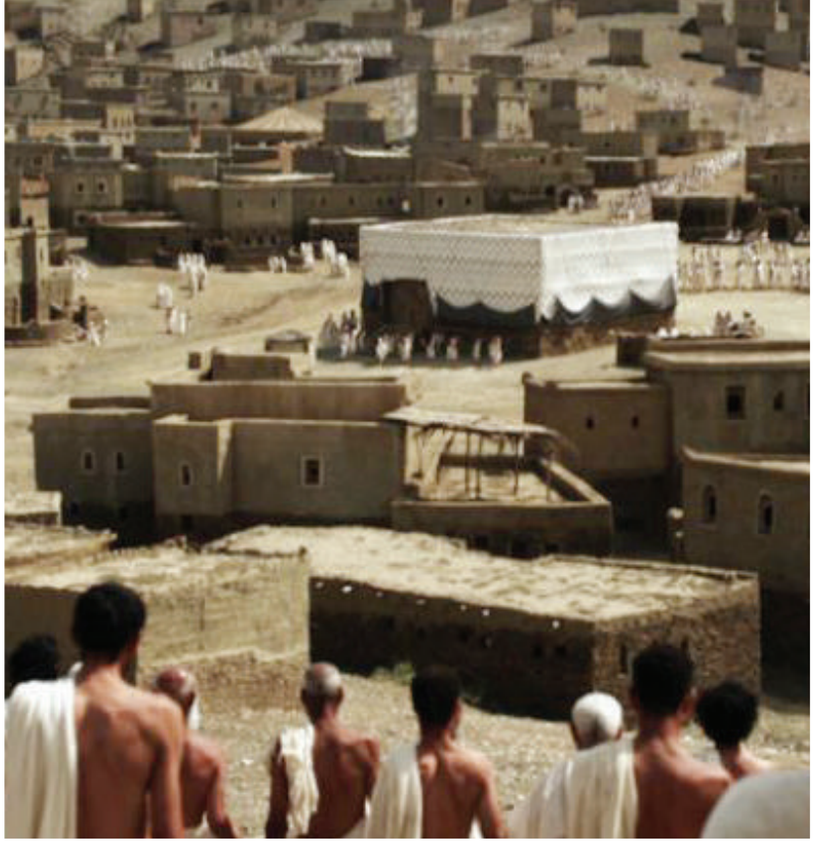

﴿أنا ربكم الأعلى﴾، ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾؟

فأعطى الإسلام تلك الحرية للناس، والدليل على ذلك أن البلاد التي تم فتحها على أيدي المسلمين لم يدخل أصحابها جميعا في الإسلام، بل كان الأمر اختياريًّا لهم، ولقد كان القادة يحثون جنودهم على حسن معاملة الناس، وكان ذلك قبل فتح أي بلد من البلدان، فقد روى مسلم في صحيحه عن سليمان بن بريدة أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، ولا شيخًا، ولا امرأة..»، هذه هي أخلاق المسلمين في ميدان القتال.

والفرق شاسع والبون واسع بين هذه الأخلاق وما نراه من انحطاط وظلم وبغي وعدوان، مما يحدث في بقاع شتى من العالم، خاصة ما يحدث ضد المسلمين، والذي يتابع أحداث بورما وميانمار وكشمير وأفغانستان والشيشان وفلسطين، ومن قبل البوسنة وكوسوفو والصومال، يتأكد لديه أن ادعاءات الغرب حماية حقوق الإنسان إنما هي وهم وخداع، فالمسلم عندهم خرج من الإنسانية حتى أصبح إنقاذ الحيوان عندهم أهم وأولى من إنقاذ المسلم، فهذه سمكة من نوع نادر جنحت إلى شاطئ في الصين قامت إليها القوات البحرية وأعادتها إلى مياه المحيط، وإن زوجين من الأرانب حاصرتهما الثلوج في إحدى دول أوروبا تأتي إليهما فرقة من العمليات الخاصة لإنقاذهما، أما إبادة شعوب مسلمة بكاملها لا يتحرك لها ساكن عندهم، فهي مسألة فيها نظر وبحث، وربما عدموا وعموا فلا نظر لديهم.

إن رسولنا الكريم ﷺ بين في خطبة حجة الوداع أنه مكاثر بنا الأمم، فبأي شيء يكاثر؟ هل يكاثر بالعدد المجرد؟ أم يكاثر بالأخلاق العالية التي تجعل الرجل بألف، والرجل بأمة كاملة؟

إن أخلاق المسلم العالية تجعله لا يظلم، بل يحترم حقوق الآخرين، يعطي كل ذي حق حقه، يفي بالعهد والوعد، روى الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن مرة رضي الله عنه قال: حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قام فينا النبي ﷺ على ناقة حمراء مخضرمة فقال: «أتدرون أي يوم هذا؟ «قلنا: يوم النحر .. »، وذكر الحديث وفيه: «ألا وإني فرطكم على الحوض أنظركم، وإني مكاثر بكم الأمم فلا تسودوا وجهي، ألا وقد رأيتموني وسمعتم مني، وستسألون عني، فمن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ألا وإني مستنقذ رجالاً أو أناسًا، ومستنقَذ مني آخرون، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»(3).

إن الإسلام حرم الاعتداء على الآخر بغير وجه حق، فما بالك بحق المسلم على أخيه، فقد روى ابن ماجة في سننه عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ كان يطوف بالكعبة وهو يقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن يظن به خيرًا»، فأين نحن من هذا القول؟ وأين المسلمون الذين يظلمون ويبغون ويقتل بعضهم بعضا في همجية تفوق همجية الأنعام المستثارة ؟!

ونرجع فنقول: إذا كانت خطبة حجة الوداع تمثل أنموذجًا فريدًا للتعايش الإنساني وحماية حقوقه، فإنه ينبغي على الغرب أن يعي بحق ما معنى حقوق الإنسان؟ وكيف يحافظ ويحمي تلك الحقوق في إطار من المساواة وعدم الكيل بمكيالين، أم أن الغرب يحمي حق من يريد السباب والشتم والإساءة إلى الله ورسوله فقط بدعوى حرية الفكر؟!

إن الغرب يحتاج إلى وقفة مع النفس ليعيد حساباته عن تلك الحقوق التي أسس الإسلام لها منذ بعث النبي ﷺ.

الهوامش

1) الكونت هنري دي كاستري: «الإسلام»: صـ42، وانظر كتاب «سماحة الإسلام» للدكتور: أحمد محمد الحوفي صـ 82، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة سنة 1997.

2) توماس أرنولد: «الدعوة إلى الإسلام» صـ 51، وانظر المرجع السابق ص83.

3) مسند الإمام أحمد ج 5 صـ 412، وقال محققوه: إسناده صحيح، وهو في سنن ابن ماجة برقم 3075 من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم 2499.

د. خالد حنفي رئيس اتحاد مسلمي ألمانيا لـ «الوعي الإسلامي»:

الإعلام العربي والإسلامي لم ينتبه جيدا لقضايا المسلمين خارج أرضهم!

حوار: محمد ثابت توفيق

د. خالد محمد حنفي، رئيس هيئة العلماء والدعاة في ألمانيا الاتحادية، عضو المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، ونائب رئيس لجنة الفتوى بألمانيا، واحد من علماء الأزهر الشريف الذين يمثلونه خير تمثيل في جزء مهم من أوروبا، وهو في هذا الحوار الذي أجري معه أثناء زيارته القصيرة إلى مصر قبيل أيام من بدء شهر رمضان المبارك 1433هـ، وقد اضطر لقطعها لدخول شهر الصيام لضرورة وجوده بين إخوانه المسلمين هناك خاصة الغربيين الحديثي الدخول في الإسلام الذين يحتاجون تكثيف إفهامهم تعاليم الدين الحنيف خلال الشهر المبارك، وتبسيط مقاصد الشرع الحنيف من الصيام.. وفي هذا الحوار يفتح لنا الداعية الشاب قلبه راويًا تجربته كداعية لله تعالى في الغرب، ويحدثنا عن الخلط غير المبرر للسياسات الغربية والشعوب هنالك، ورؤيته لما يسمى بـ«صدام الحضارات»، وأهمية التواصل مع الملايين من الغربيين وشرح الإسلام لهم على نحو صحيح، والدور المناط بالإعلام الإسلامي في مؤازرة المسلمين بالغرب، ورؤيته لمستقبل الإسلام في الغرب، وغيرها من القضايا الحيوية المهمة في هذا الحوار..

● كثير من المسلمين في الغرب على وجه الخصوص يفهمون مصطلح التسهيل في الدين على أنه أمر من أمور التنازل عن الضروريات.. فهل هذا الفهم صحيح؟

■ ينبغي الانتباه إلى كون التسهيل في أمور ديننا أمر مطلوب بقوة، وهو مختلف تمامًا بالمناسبة عن التنازل، والعياذ بالله تعالى، والمهم في أمر التسهيل أن يضبط بضوابط شرعية واضحة، أما غير المقبول فهو أن يصدر من غير أهله وفي غير محله، وبوجه عام فإنه أمر ضروري للمسلم، بل إن التيسير في الفتوى هو منهج قرآني نبوي مطلوب للمسلم، فإذا ما تعلق الأمر بحاجة الأقلية الإسلامية في الغرب كان أكثر ضرورة، وهنا يجب الوضع في الاعتبار أنها في حالة ضعف من جميع النواحي، فإذا ما تجمع لها هذا مع التشدد في الفتوى فسنشدد الحياة عليهم، وسينحرف مفهوم الإسلام في أذهانهم عن أهدافه ومقاصده الجزئية والكلية.

● لعل الأمر يقودنا لضرورة أن يكون الداعية الإسلامي الذاهب للدعوة إلى الله في الغرب مؤهلًا لهذا.

■ بل يجب أن تكون له مؤهلات خاصة وسمات مميزة بحيث يكون متميزًا في دراسته العلمية في الأزهر الشريف أو غيره، على أن يذهب فور تخرجه، أو يكون ممن نشأوا في البلد الغربي الذي سيدعو إلى الله فيه، بحيث يكوّن تكوينًا صحيحًا من الجانبين معًا العلمي والواقعي.

● قبل أن يأخذنا الحوار لمناطق أخرى أود أن أعرف منك مثالًا أو أكثر على أمر التيسير السابق الذكر وبعده عن التساهل في الدين.

■ على سبيل المثال ضرورة الجمع ما بين فريضتي المغرب والعشاء في ألمانيا، وهي مشكلة تزداد في الدول الأوروبية كلما اتجهنا شمالًا للنرويج وفنلندا مثلًا، وجوهر المشكلة أن وقت صلاة الفجر يحين عند الساعة الثانية من بعد منتصف الليل هناك، بينما موعد صلاة العشاء يبدأ من منتصف الليل للواحدة صباحًا في فنلندا مثلًا، أو كلما اتجهنا شمالًا، فإذا ما علمنا أن الغربي، في العادة، إنسان منضبط ينام عند الثامنة مساء، في أيام العمل وهي أغلب أيام الأسبوع، فإن جاء يسألني عن الإسلام.. فهل من المنطقي أن أقول

له إن الدخول فيه سهل ميسور، ثم يجد أنه سيقوم من نومه عند منتصف الليل ليصلي العشاء، ثم بعدها بساعة أو اثنتين ليصلي الفجر؟ وهل هذا يتوافق مع جوهر ديننا؟ ومن العلماء هناك من تشدد في ضرورة أداء صلاتي العشاء والفجر في موعديهما، ولم يأخذ بأمر التيسير الذي ذهبت إليه، فكانت النتيجة أن طلب جيران المسجد الشرطة للمسلمين لأنهم يمنعونهم من النوم بأداء الصلاتين في المسجد بعد مواعيد النوم المتعارف عليها هناك. بل إن من تركوا أمر الجمع هذا فقدوا قرابة ثلاثمائة مسلم عادوا عن دينهم لصعوبة الأمر، ومن هذا المثال يظهر بوضوح أننا لا نفرط في جوهر ديننا، ولكننا ننظر في الأمور المختلفة خاصة ما تعلق بخلاف ما بين الفقهاء، فلا يستطيع مفتٍ في الاتحاد الأوروبي للفتوى الذي يترأسه الشيخ د.يوسف القرضاوي الإفتاء بجواز سباحة الفتيات المسلمات في حمامات السباحة بالمدارس الأوروبية، ولكن الأمر إذا ما تعلق بلعاب الكلب هل هو نجس، مع انتشار الكلاب في مختلف أقطار أوروبا ومحبة الأوربيين لاقتنائها، وجمهور العلماء يقضي بنجاسة لعابها إلا الإمام مالك، رحمه الله تعالى، فلمَ أفتي بما يشق عليهم ولدي جواز من أحد أئمة الفقه لدينا؟

● في ثنايا كلماتك تحدثت عن تراجع عدد من المسلمين عن ديننا الحنيف.. فهل هو أمر متكرر؟

. عدد الداخلين في الإسلام، والحمد لله تعالى كبير جدًّا، ولكن الحقيقة أن هناك من يتراجعون عنه ولكنهم قليل، وذلك عائد في إجماله لكون الأوروبيين، على الأقل ممن عرفت، ذوو عقلية ممنهجة مثقفة قارئة متأملة، تربى أحدهم على ما يسمى

مستقبل الإسلام في الغرب مشرق بشرط تضافر جهود المخلصين من أتباعه

بـ«ثقافة الحرية»، وأيًّا ما كان عمر الواحد منهم قد يدخل في الإسلام، ومما لا أنسى أن امرأة قاربت الستين من العمر تعمل ممرضة في قسم الحالات الحرجة بأحد أكبر المستشفيات بألمانيا، وطبيعة المرضى في هذا القسم ممن لا يرجى شفاؤهم، وهؤلاء يلحون على الأطباء والممرضات، بما يرون أنه رحمة لهم من الآلام الرهيبة التي يعانونها، بأن يحقنوهم بحقن تسمى، ظلمًا، بحقن الرحمة، وهي مميتة.. الممرضة وجدت مريضة واحدة صابرة بين هؤلاء، وكانت أشدهم بلاء وأكثرهم صبرًا، لم تكن تراها إلا والابتسامة مشعة على وجهها، ولما تكرر الأمر سألتها: لماذا أنت على هذه الحالة؟ فأجابت المرأة: لأنني مسلمة وديني يأمرني بالصبر على الابتلاء، ولي أجري العظيم في الآخرة ومنزلة عظمى من النعيم عند ربي. وتضيف الممرضة: ولما كانت المريضة مغربية بسيطة، كما يبدو عليها، عميقة في فكرها، لذا دفعتني للتفكير في الإسلام الذي حقق لهذه المريضة الإشباع الروحي والعقلي مهما تألمت.

● ولكني أعلم أن هناك حالات على النقيض، تمامًا، إذ يدفع بعض المسلمين بسوء أفعالهم الغربيين لعدم الدخول في الإسلام..

■ في الحقيقة لم أفهم معنى الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الممتحنة: ٥)، إلا حينما سافرت للغرب، ولذلك فلي فكرة خاصة حيال هذا الأمر.. إنني أعمد إلى المسلمين في كل مكان أذهب إليه فأنصحهم بحسن الخلق، فقط، واتقاء الله تعالى، ومن بعدها يصبح أحدهم نعم السفير للإسلام في كل مكان يذهب إليه، ومن هنا يدخل ٩٠٪ من الغربيين في الإسلام، ولدي من الأمثلة الكثير، وعلى سبيل المثال، فإن مسلمًا رزق بطفلة، ثم سافرت زوجه وطفلتها إلى تركيا، مسقط رأس الزوجين، ثم ماتت الصغيرة بعد وصولها، وخوفًا على نفسية الأب رفضت زوجه وأسرتها إخباره بالأمر، ولما كان الأطفال الذين يولدون في ألمانيا يصرف لهم مال مخصص كل شهر، فقد استلم التركي المسلم المال، قبل معرفته بوفاة ابنته، حتى إذا ما عاد لتركيا علم بالأمر، فتوجه، فور رجوعه لألمانيا، للجهة الحكومية التي صرف المال منها طالبًا من الموظف المختص استلام المال لموت الطفلة، ولكن الأخير رفض، فما كان من المسلم الحسن الإسلام إلا أن أعاد المال إليه عن طريق حوالة بنكية، هذا الموقف وحده كان كافيًا لأن يأتي الرجل الموظف للمسجد طالبًا نسخة من القرآن الكريم ليتعرف أكثر إليه وإلى الإسلام، وبالتالي يدخل في دين الله تعالى، ولم يعلم المسلم الذي أعاد المال ببقية القصة، ولكنه حسن التصرف والفهم لصحيح الإسلام من قبل المسلمين هو من يصدم الغربي ويدفعه دفعًا للدخول في الإسلام، وهكذا فشريعة الصيام في حد ذاتها تستوقف الكثيرين للدخول في ديننا الحنيف إذ يمتنع المسلم عن الطعام والشراب مخيرًا، بلا مراقبة من أحد أو ضغط من جهة ما.

● كم عدد المسلمين في ألمانيا الآن وما المتوقع أن يصل إليه عددهم

فيما بعد ومن يرعى حديثي الدخول في دين الله تعالى؟

■ بحسب إحصاء ٢٠٠٩م فإن عدد المسلمين بألمانيا اليوم خمسة ملايين مسلم يمثلون ٧٪ من عدد سكان ألمانيا وفي حال استمر معدل زيادة المسلمين على هذا النمط هناك فإن عددهم سيصل لـ٤٠٪ من عدد الألمان عام ٢٠٤٠م بإذن الله تعالى.

أما من يرعى حديثي الدخول في الإسلام هناك فقد أنشأ اتحاد

الدكتور خالد حنفي في سطور

- رئيس اتحاد العلماء والدعاة في ألمانيا، عضو المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، ونائب رئيس لجنة الفتوى بألمانيا.
- حاصل على الإجازة (ليسانس) من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف ١٩٩٤م
- حاصل على درجة الماجستير في دراسة وتحقيق كتاب: «إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار» للشيخ محمود الدهلوي، وهو أحد علماء القرن السابع الهجري.
- حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر الشريف، أيضًا، عن دراسة بعنوان: «أصول فقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه»، عام ٢٠٠٧م، بمناقشة الأساتذة الدكاترة: محمد إبراهيم الحفناوي، علي حسين عبد المجيد، رمضان عيد هيتي.
- بدأ داعية متجولًا في المراكز الإسلامية بألمانيا، ثم انتخب رئيسًا لهيئة العلماء والدعاة.

يجب الاعتراف بوجود خلل في متابعة شؤون الداخلين في الإسلام

المنظمات الإسلامية في أوروبا قسمًا جديدًا للمسلمين الجدد، ولكن هذا لا يمنع من وجود خلل كبير في هذه الناحية، فلا يكفي إعطاء الداخل في الإسلام حقيبة تخص الرجل وأخرى للمرأة، خاصة أننا ننفق على الأمر من أموال الزكاة من خلال مصرف المؤلفة قلوبهم، وقد تضاءل الدعم الذي كان يأتينا بعد أحداث ١١ سبتمبر.

هيئة العلماء والدعاة في ألمانيا

أنشئت عام ٢٠٠٢م

دورها: توحيد المسلمين هناك، وجمع كلمتهم، وربطهم بالأمة الإسلامية عبر إزالة الشبهات عن الإسلام، وحل إشكالية تضاد بعض الفتاوى الصادرة من علماء الدين بمختلف أقطار العالم الإسلامي.

أنشأها: عدد من العلماء والأئمة ومنهم الشيخ أحمد هليل من علماء الأزهر الشريف.

أبرز إنجازاتها:

تشكيل لجنة للفتوى على مستوى أمانيا كلها بالتعاون مع المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، والذي يعد المرجعية الرئيسية للمسلمين في أوروبا ويترأسه الأستاذ الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي.

ربط الفتوى بالواقع مع رعاية مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء.

التيسير في الأمور الدينية، مع عدم تضاد هذا مع جوهر الشريعة الإسلامية الغراء.

● ولكن ألا ترى أننا مطالبون بتفعيل دورنا كمسلمين في الغرب بوجه عام وألمانيا بوجه خاص؟

■ أتفق معك إلى حد كبير، خاصة إذا ما سلمنا بأن الألماني صورة من الإنسان الغربي يملك كل ما يريد من متاع الحياة الدنيا، حتى لو كان لا يعمل، فهو يتقاضى بدل بطالة، وكل ما يحتاجه في الحياة متوافر له سواء أكان رجلًا أو امرأة، وبرغم هذا ينتحر لشعوره بالفراغ الذي لا يملأه إلا الإسلام، ولذلك فلدينا مشروع لإنشاء كلية للدراسات الإسلامية نظرًا للأقبال الشديد على تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي، وكذلك حاجة أبناء الجالية الإسلامية هناك لهذا لأمر بصورة بالغة الأهمية.

● وكيف ترى مستقبل الإسلام خارج أرضه؟

■ مزهر ومثمر ومشرق بإذن الله تعالى، برغم وجود تحديات كبيرة، ويقيني بأن التحديات تحتاج لتضافر جهود المخلصين في جميع المجالات.

المجلس الأوروبي للإفتاء

يرأسه الدكتور يوسف القرضاوي يتواصل مع جميع أقطار أوروبا لتوحيد الفتوى، ويعتمد على خطى تنظيمية تعتمد على توحيد الفتوى بأوروبا، وهو بديل لاجتهاد العلماء المتفرقين، وفي الغالب تتناسب الفتاوى التي يقرها مع البيئة الأوروبية، وإن لم يستطع الإفتاء في أمر يحيله للمجامع الفقهية بالعالم الإسلامي، وأعضاؤه موزعون كالتالي: عضوان بفرنسا، ومثلهما ببريطانيا، وعضو واحد بألمانيا.

«الوعي الإسلامي» استطلعت الآراء في الشرق والغرب

بعيدًا عن مظاهرات العنف.. كيف نعلن حبنا لرسولنا؟

استطلاع : بشرى شاكر

لقد جاء رحمة للعالمين وبعث متمما لمكارم الأخلاق عَلّمنا وهذّبَ خلقنا، أَتمّ علينا نور رسالته وتركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك...

هو خاتم الأنبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين عليه أفضل الصلوات والسلام...

نبينا محمد ﷺ كان قرآنا يمشي على الأرض، علّمنا كيف نرحم الصغير ونحترم الكبير، بل كيف تلين قلوبنا للحيوان، بل للحجر والشجر، فما أرسله سبحانه وتعالى إلا رحمة للعالمين، فكانت الرحمة تلازمه واللين يرافقه والعطف مسلكه، حمل بين جوانحه أرق القلوب، فلم يكن يجعل من مركزه ﷺ كرسول للأمة ذريعة للابتعاد عن مساعدة الغير، بل إنه وفي يوم من الأيام في مكة حمل حطبا عن امرأة عجوز كانت تحمله على رأسها وشقت عليها الطريق وآلمتها حرارة الشمس فعرض عليها قائلا: يا خالة آخذ معك الحطب إلى البيت، فحمله عنها حتى أوصله لبيتها! هذا هو عدل الحاكم الذي يحمل همّ رعيته، هذه هي أخلاق رسولنا الكريم عليه أفضل الصلوات والسلام.

رسول وُسِمَ بالرحمة ولكن أيضا بالتواضع، فاستمع للصغير وجالس المعدم الفقير وما منع مجلسه عن أحد حتى في الوقت العسير...

كيف يمكن أن ننصره عليه أفضل الصلاة والسلام وكيف يمكننا أن نعرّف بديننا بشكل أفضل وهل العنف يحل المشكل أم يؤدي إلى تأزم الوضع أكثر، ولماذا بات المسلمون يتعرضون لمثل هذه الهجمات بشكل أكبر وأكبر؟؟ وهل تقتضي حرية التعبير لدى الغرب انتهاك كرامة الآخرين؟

ولمعرفة المزيد عن هذا الموضوع الذي يشغل بال كل المسلمين، ارتأينا أن نطرح هذه الأسئلة على عينة من المسلمين مع اختلاف اختصاصاتهم واختلاف جنسياتهم فكان هذا ردهم:

الصورة للذات

إبراهيم بيدي، من المغرب، مصمم مواقع رقمية ومصمم أول برمجة نصية باللغة العربية خاصة بالويب معتمدة على نواة جافاسكريبت تحت اسم «الوينوسكريبت» يقول: نحن لا نستطيع نصرة رسولنا عليه الصلاة والسلام إلا بالعودة لذواتنا لأننا نحتاج إلى الدين وليس الدين من يحتاجنا، وسأتحدث بحكم مهنتي على الشق التقني، لقد كان لدينا سابقا محرك عربي اسمه ayna ولكن وكما اسمه لا نعرف أين وكيف اختفى، وكان لدينا موقع ترجمة، كان عليك أن تدفع لكل كلمة مترجمة مقابلا ماديا وغالبا ما تكون تلك الترجمة خاطئة وآلية، والأهم هو موقع مكتوب الذي كان عربيا وكان يرقى للمواقع العالمية ولكن وكما اسمه ايضا كتب له أن اشترته شركة «ياهو»، والأدهى أنه كان لدينا موقع بريد عربي ثم اكتشفنا أنه يبيع بياناتنا بأبخس الأثمان، يبيعون ويسترزقون على حسابنا وينتهكون سياسة الخصوصية.

صناعة الدولة

أظن أن الشعار الذي يلزمنا هو «هيا لنصنع دولا» والباقي سهل فيما بعد، لدينا أدمغة عبقرية تشترى من قبل الأجانب بأسعار زهيدة ومن بيننا أيضا من يبيعها بأرخص الأثمان يبقى أن يكون لدينا من يحب أوطانه وأمته لكي نتحرك...

أما طه المومني، مسئول سابق عن شؤون العرب في الأمم المتحدة، نيويورك الولايات المتحدة الأمريكية فيجيب: نصرتنا لنبينا الكريم تكون باقتناعنا نحن أولا أمة محمد بتعاليم الهداية والرشاد التي تضمنها كتابنا المقدس القرآن الكريم، وسنن النبي الكريم ﷺ، وبذلك نكون قد نصرنا الله سبحانه وتعالى ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾، وأن ننصر نبيه محمد بالتقيُّد بما أمرنا به وأن ننتهي عمّا نهانا عنه.

وأن يكون شعارنا دائما ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥) عندها يفهم العالم عظمة هذا الدين، وقداسة هذا

مجدي عبدالله

جلال الشيخ

عبدالرحمن القوسي

عبد العالي الفلالي

نزار السرطاوي

عبدالعزيز الحارثي

النبي الأمّي الذي أخرج البشرية من الضلالة إلى الهدى، وأن هذه المليارات من البشر لم تسلم ولم تكن هذه الأمّة الإسلامية معتنقة هذه الرسالة السماوية من فراغ، ولم تقتنع بحامل هذه الرسالة من فراغ، بل عن قناعة تامة بأنها رسالة إلهية ورسالة سماوية حقّة، حملها رسول كريم ليصلح بها أمر الحياة الدنيا، ولتكون تذكرة مرور صالحة لدخول الحياة الآخرة.

أين العزة؟

و من مدينة فاس من المغرب يرد عبدالعالي الفلالي وهو شاعر وكاتب كلمات، يقول: السبب الرئيسي في كل ما حدث ويحدث هو عدم شعور تلك الشعوب بندية المسلمين لهم، ذلك لأن المسلمين تخلوا عن عزتهم بتخليهم عن شريعتهم واتخاذ اليهود والنصارى أولياء بل أكثر من ذلك طلبوا العزة في التقرب إليهم وحذوا حذوهم قال ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوه قُلْنَا يَا رَسُولَ الله الْيَهُودَ والنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ» (البخاري ح ع ص ٢٠٦).

فلا نصرة للرسول ﷺ من أمّة ليس لها من الإسلام إلا الاسم ولا تعرف من القرآن غير الرسم.

من الأردن

أمّا نزار السرطاوي، شاعر ومترجم من الأردن فيقول: نحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً حيال أزماتنا، ولا نملك القدرة على الدفاع عن رسولنا الكريم وعن مقدساتنا وأعراضنا وممتلكاتنا، أولا لأننا متفرقون، وهذا ما جعلنا ضعافًا فاستخف بنا العالم، وهان أمرنا عليه. وثانياً لأننا نعاني من العديد من أنواع التبعية: التبعية السياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية وسواها. لدينا إمكانيات هائلة لكننا لا نملك التحكم بثرواتنا وإمكانياتنا. فالقرار ليس بيدنا بل يأتينا جاهزًا من الدول الكبرى، وعلينا أن ننفذ بلا أدنى تفكير أو نقاش.

أقوياء ولكن

أكان بمقدور الأوروبيين أو الأمريكان أن يسيئوا إلى الرسول الأكرم لو كنا أقوياء؟ أكان النظام في بورما يجرؤ على ذبح عشرات الآلاف من المسلمين لو كانت للمسلمين هيبة.

أما محمد شاكر، أخصائي طوبوغرافيا وتحفيظ عقاري، ابن سليمان، المغرب يقول بدوره: إلاّ تنصروه فقد نصره الله، نعم نبينا الكريم منزه عن كل هذه الإساءات ولكن من المفروض على أمته الإسلامية نصرته، فلتستيقظ الأمة من نومها العميق لتبحث عن السبل الأخلاقية لمواجهة الهجمة الشرسة على مقدساتنا في زمن صار فيه الإسلام مستهدفا وتطاولت الألسن والأيادي الآثمة لتنال من سيد الأولين والآخرين، لذا يجب أن نسأل أنفسنا عن كيفية المواجهة، أتكون بالعنف والقتل والذبح؟ هذا ما نهانا عنه رسولنا الكريم ﷺ، هل بالتخلص من التبعية والهيمنة؟ نعم هذا ما يجب فعله بتشجيع مواردنا البشرية وتشجيع صناعتنا المحلية والإسلامية والبحث عن البدائل العربية والإسلامية.

وجاء رد حسين نور حموي- سوري يقطن دولة السويد ليؤكد:

النبيّ الكريم محمّد صلوات الله عليه وآله وصحبه، تعرّض في حياته وبعدها وعبر القرون للمحاربة والاستهزاء والعداء من قبل أعداء الخير والحقّ والرّحمة وما ظهر في السنين الأخيرة من مواد إعلامية منحطة للاستهزاء بنبيّنا الأمين ما هو إلّا صفحة معلنة من ضمن حملة حاقدة أكبر ومحاربة مستعرة لا تعلن عن نفسها جهارًا بل ضمن نطاق السريّة وعبر محافلها المظلمة..

فيلم منحط

الفيلم المنحط المسيئ، ظهر في توقيت مناسب ومحدّد لمن خططوا له لأهداف عديدة ومنها السياسي والنفسي، سياسيًا بأبعاد ونواحي مختلفة ومنها قياس درجة تفاعل الطبقة الإسلامية الحاكمة سياسيًا وفقهاً مع الإساءة لنبيّ الأمّة عليه الصلاة والسّلام ودرجة تعاطي وتفاعل الشعوب العربية والمسلمة مع هذه الإساءة لنبيّها الكريم، ولكي تصبح الإساءة والإساءات واقعًا مفروضًا على شعوب مروّضة.

حتى التظاهر السلمي ردًا على الإساءة فقد خرجت كثير من القيادات السياسية والفقهية لتمنعه وتحرّمه.

لدينا نواقص

و من السعودية يرد علي بن محمد الغامدي وهو شاعر وكاتب ومدرب معتمد في مجال البحث العلمي وإدارة الموهوبين، فيقول:

هناك عدة عوامل وأسباب ونواقص لدينا أهمها عدم اكتمال أركان الإبداع والتفكير ووضع خطة مستقبلية تدعم تلك المواقع، نحن بحاجة إلى موقع يعبر الحدود، له ضوابط ويقوم عليه فريق عمل عربي الجنسية يدعم الإبداع، نحن العرب أصل الاختراع والابتكار ولكن بسبب الغزو الذي نعاني منه وهو غزو فكري حربي يقضي على كل فكرة في مهدها، وفشل تلك المواقع هو عدم اكتمال العمل لعدة

أسباب أهمها الاتكال والاعتماد على نسخ الأفكار.. ونحن شعوب نستهلك الأفكار من الغرب لسهولة الانتاج السريع والابتعاد عن الابتكار والإبداع! للأسف أصبحنا نطبق الأفكار دون النظر لإيجابية الفكرة أو سلبياتها على العقول العربية نختلف كثيرًا عن بيئة الغرب ولا ننظر إلى تأثير ذلك على الأجيال القادمة.

من السعودية

من السعودية أيضا يجيبنا عبد العزيز الحارثي أبوخالد قائلا:

المسلمون منقسمون في الرؤية نحو نصرة النبي ﷺ فمنهم من يرى تجاهل الإساءات المتلاحقة مستشهدين بقول تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٥) وفريق يرى الرد بصورة حضارية وبطريقة تبيّن مكارم أخلاق النبي، لأنهم يعتقدون أن الإساءة للنبي جاءت نتيجة الجهل بخلقه، والفريق الآخر وهو يرى العنف طريقًا للرد كمن قام بالهجوم على السفارة الأميركية وقتل السفير الأميركي. والحقيقة انتهاج أسلوب التعريف بالنبي هو أفضل الطرق للرد على الإساءة للنبي ﷺ، لكن لماذا نركن إلى الخمول ولا نتطور؟ لأننا لم نأخذ بأسباب التطور والعلم من التفكر وإعمال العقل، وهو منهج علمي حثّ عليه القرآن الكريم. هناك قيم لم نغرسها في الأجيال كالمثابرة والصدق والإخلاص كما أن النظم والمجتمعات لا تأخذ بيد المبدع ولا تحتفي به كما يجب.

من المغرب

أم البنين مبيريكة، موظفة بوزارة الفلاحة، أغادير، المغرب تقول:

في نظري أن كل ما وقع من أحداث متتالية ضد نبينا صلوات الله عليه، لا يمس ديننا الحنيف بأذى، بل بالعكس تماما فهو يصب في مصلحته لأنه كان بمثابة ناقوس أيقظنا من غفلتنا لابتعادنا عن ديننا الحنيف، الشيء الذي دفعنا للقراءة بين كل فترة وأخرى في سيرة رسولنا الكريم ونشرها وتعريفها لجميع الأجناس مما يزيد من معتنقي الإسلام لن أنكر أننا قد حزنّا كثيرًا لكل ما وقع، لكن تصرفهم لم يزدنا إلا حبًّا لرسولنا رسول الرحمة عليه الصلاة والسلام.

ومن اليمن، يرد الأستاذ عبدالرحمن القوسي، فاعل جمعوي وحقوقي يقول:

لكي ننصره ﷺ علينا أن نحذو حذوه، بركيزتين أساسيتين الصدق والأمانة، وبهاتين القيمتين النبيلتين كان يميّز عليه الصلاة والسلام بين صحبه ولهاتين الصفتين اختاره الله دون سواه، وكل فيلسوف أو محلل نفسي أو اجتماعي -أو مفكر-سيجد أن كل قيم الفضيلة تنبني عليهما، ومنهما تنطلق الأمم في نهضتها وقوتها واحترام الآخرين لها، فهل جرّم الكذب في مجتمعاتنا وهل كوفئ الصادقون عندنا؟

لا نزايد باسم محمد ﷺ ولا هو يحتاج للدفاع عنه، أمّا أكبر حماية لمبادئه ولرسالته والتي هي متمثلة في شخص محمد ﷺ، هو أن نتمثل به ولو كقطعة الحصا من الجبل، إنه أكبر رد وردع للمتطاولين عليه وعلى ديننا وتاريخنا.

نحن المسيئون

أمّا من مصر فيجيبنا المهندس مجدي عبدالله، صاحب دار نشر وتوزيع فيقول:

لم يسئ أي فرد للرسول عليه الصلاة والسلام سوانا، لأننا تركنا سنته ولم نتبعها وهو القائل: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب، الله وسنتي» صدقت يا حبيبي ﷺ.

لا يفيد العنف لأنه يوجه إلينا سهام الباطل والوصم بأننا أمة إرهابية وهم الإرهابيون ﴿ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾، كيف ونحن أمّة الرحمة نزعت منا الرحمة، أكيد سوف يؤدي العنف إلى المزيد من الأزمات والمشاحنات وهذا هو الواقع منذ بعث الرسول عليه السلام وحتى قيام الساعة، هو الصراع بين الحق والباطل وبين العقيدة والبلاهة.

و من مصر أيضا كان للشاعر جلال الشيخ هذا الرأي: أولاً، لابد من إعادة هيكلة الإعلام، فهو أسهل وأسرع طريقة تغيّر تغيّرًا جذريا في الناس.

ثانيًا، يجب تعديل القانون، فلا يجوز أن نسجن ونعدم من يهين الرئيس ثم نترك من يخوض في عرض النبي ﷺ باسم الحريات.

ثالثا: لا نهتم بمن يسيئون للنبي ﷺ من خارج المسلمين فهل ننتظر منهم غير ذلك؟

وأضاف: أنا لا ولم أهتم بالفيديو والفيلم المسيئ ولم أخض فيه ولم أذكره ولا أحب أن أراه ولن أراه، فنشر الفتنة فتنة في نظري، ثم نستغل هذا الزخم الإعلامي حول الإساءة للنبي الكريم ونطبع مصاحف وكتب مترجمة إلى أميركا نفسها ونسعى لنشر الإسلام وليس للدفاع عن النبي ﷺ، فالدفاع أسوأ رد وهو أضعفها حيث نظل مهما فعلنا في اتهام بل ننشر الإسلام وبقوة.

نرسل علماء، ونقيم ندوات، ونشتري برامج أميركية في تلفيزيون أميركا، لو كنت غنيا لاشتريت قناة على القمر الأميركي ولن أجعلها دينية فالطبيعي أنهم لن يسمعوا لقناة إسلامية، بل سأجعلها منوعة والهدف نشر الإسلام والفضيلة وتحسين الصورة.

من فلسطين

من رام الله من فلسطين يقول علي الجريري، وهو شاعر ودكتور لغات وإعلام ومدرب مهارات تعامل شخصي: أرى أن على الفيس بوك كما في كل المساحات الإعلامية يجب أن نوظف ما هو متاح لنا من مساحة والتي لا ترقى إلى مستوى نفقاتنا المالية عليها، للدفاع عن نبينا وهويتنا وكرامتنا العربية لنعيد مجد قوتها وهيبتها بدلا من توظيف الفضائيات للدفاع عن أميركا رأس المعسكر المسيئ للنبي ﷺ.

أمّا عبدالله الفادي وهو إعلامي رياضي / خريبكة / المغرب فقال: أول السبل للتخلص من المهانة والانتصار لديننا ونبينا تنطلق من ضرورة وحدة الأمّة من جميع الجوانب، وتكوين الناشئة تكويناً سليمًا قائمًا على التربية الإسلامية والنهوض

بالتعليم من الابتدائي إلى العالي ليكون فعّالاً ومنتجًا يضاهي الغرب والعمل على تطوير البحث العلمي وتشجيع الصناعة المحلية والصناعات الثقيلة خاصة وأن دولاً مسلمة تتوفر على الإمكانيات المادية التي تخوّل لها النجاح في هذا الجانب، ووضع محركات بحث إسلامية إلكترونية كبديل لتلك التي تنشر كل ما يشوه الإسلام وتخليق المشهد الإعلامي وجعله قويا، وخلق قنوات تلفزيونية بكل اللغات الحية على أقمار تبث إرسالها في كل الدول للتعريف بحقيقة أمور الإسلام، وإنتاج أفلام سينمائية عملاقة تسير كذلك في هذا النهج وتخاطب كل الفئات غير المسلمة، وترجمة المؤلفات الإسلامية وشرح القرآن الكريم وغيرها.

حملة إسلامية

قالت فاطمة الزهراء الزعيم- كاتبة مغربية:

لقد شاهدت جزءًا صغيرًا من الفيلم الذي أثار كل هذا الهرج والمرج. وهو لا يمكن أن نطلق عليه اسم فيلم، واستغربت أن ينشغل المسلمون بهذه السخافة ويروجوا لها بشكل مجاني. لقد أدخلوا المخرج والممثلين معه من الباب الواسع للشهرة وهم الذين لم يسمع عنهم أحد من قبل، ولولا هذه الحملة الإعلامية الإسلامية ضد الفيلم والتي ساهمت في انتشاره والرفع من عدد مشاهديه بشكل كبير جدا لكان عدد مشاهديه يعدّون على رؤوس الأصابع. وهي حملات قدمت كذلك مبررا لأعمال دموية لا تَمُتّ للإسلام بصلة. ثم من يستطيع أن يسيئ للرسول ﷺ وهو الخالد في الجنة بجوار ربّه؟ وهل يحتاجنا الرسول ﷺ للدفاع عنه؟ وهو الذي حفظ الله سنته إلى يوم الدين، ولو شاء الله لأنزل صاعقة على مخرج هذا الفيلم في لمح البصر.

وقال محمد أوهري، باحث في الشؤون الإسلامية - زاكورة - المغرب : يرى المسلمون نصرة الرسول علية الصلاة والسلام واجبة، غير أنهم يتعاملون معها كتعاملهم مع التكاليف الدينية، هذا مجدّ وهذا مقصّر وذاك متهاون...، والأحداث الأخيرة توقظ الهمم، ويتعين اتباع السنة وعدم الانزلاق مع الاستفزازات...

وردًا على سؤالك، هل نحن فعلا نستحق ذلك، وهل وقر إيماننا به وبرسالته في قلوبنا حد نصرته، أجيبك، بنعم نستحق ذلك لأننا آمنا به ولم نره، منا من وقر الإيمان به حد نصرته ومنا من ضعف إيمانه وقد يزداد.

ونحن نستطيع إرساء مواقع منافسة للمواقع الإلكترونية الغربية إذا تعاونت عموم الدول الإسلامية بتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي والهيئة العالمية لعلماء المسلمين.

ولكن لكي يكون هناك بديل للمنتجات التي نستهلكها من الغرب يجب أن تكون هناك اتحادات عربية وإسلامية واجتهادات فيما بينها لخلق سوق عربية إسلامية مؤثرة. والله اعلم.

مراد الصغير، طبيب طوارئ مغربي، سفير النوايا الحسنة للسلام والإنسانية ومدير فرع التربية والصحة في مجموعة الاتحاد الافريقي SAUG قال لنا:

إنه فعلا موضوع الساعة وبصفتي طبيب مغربي مسلم، أتيحت لي الفرصة للسفر حول العالم بأسره، وعملت بالقارات الأربع مع أطباء من مختلف الجنسيات ومن ديانات مختلفة، وبما أني طبيب مراقب فكنت أجد نفسي أتساءل نفس الأسئلة لماذا ومتى وكيف فقدت حضارة عظيمة كالحضارة الإسلامية ذروتها الاجتماعية والثقافية والعلمية والسلوكية؟

وأضاف: لدينا كل شيء لنكون الأفضل ولكننا أصبحنا مجتمعات تابعة لكل شيء، وحتى للقيم الإنسانية، أقول هذا وأنا أفكر في الحرب الاجتماعية والثقافية التي يشنها الغرب لإقناع المرأة المسلمة أن الإسلام عدو لها، وأنا كطبيب مراقب يمكنني أن أجزم أن المرأة الأوروبية خصوصا والغربية عموما تجد نفسها في هذا القرن الحادي والعشرين بائسة وضائعة !!

الخلاصة هي العمل

إذن العالم الإسلامي الآن يواجه أرضية اكتئابية تؤثر على الشباب المسلم الذي لا يثق لا في الحاضر ولا في المستقبل واسألوهم: هل تعرفون شيئا عن العصر الذهبي للحضارة الإسلامية؟ سترون أن عدد المجيبين ب «لا» سيكونون أكثر بكثير.

الإسلام بحاجة لعمل متعدد التخصصات بين كل الأطراف الإمام، الطبيب، الأخصائي الاجتماعي والأخصائي النفسي، الكاتب، الإعلامي، الخ... كلهم بحاجة للتكاثف للحديث مع بعضهم البعض وللحوار مع العالم الإسلامي.

ولقد بادرت ببادرة في هذا السياق وأنشأت صفحة خاصة بهدف تعريف العالم على رسولنا الكريم عليه أفضل الصلوات والسلام وتعريفهم بإعجازه العلمي الكبير في ميدان الطب أيضا وبأدلة من القران الكريم، وصدقيني أدهشتني النتيجة، خلال عشرين يوما فقط فاق عدد رواد الصفحة ٣٠٠٠ شخص من مختلف الأعمار والديانات والجنسيات، مما يدل على أن الشباب هم متواجدون معنا ومستعدون للاستماع إلينا ويعلمون جميعهم أن إشعال الحرائق والفتن للدفاع عن نبينا هو فعلا فعل لا يجدي بتاتا.

المستشرقون والقرآن والنبي ﷺ

السيد المخزنجي -عضو اتحاد كتاب مصر

اتجهت جهود المناهضين للإسلام قديما وحديثا إلى محاولة زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن وفي مصدره، وقد حذا المستشرقون المتحاملون على الإسلام في موقفهم من القرآن حذو مشركي مكة وبذلوا محاولة مستميتة لبيان أن القرآن ليس وحيا من عند الله، وإنما هو من تأليف محمد ورددوا نفس الاعتراضات التي قال بها الوثنيون قديما، رغم دحض القرآن والباحثين المنصفين تلك الادعاءات والترّهات الباطلة.

فلم يسلم القرآن الكريم من الحملات الضارية التي شنها عليه غلاة المستشرقين، فقالوا عنه إنه غير منظم ولا مبوب، وإنه محتذى «أي مقلد» ومنقول، وإنه زيف غير بليغ ولا فصيح وبه أغلاط نحوية وركاكات بيانية... إلخ تلك الأقاويل والأباطيل التي يعجب لها المرء وهو ما سنعرض له بشيء من التفصيل على النحو التالي:

بداية الحملة على القرآن (١)

ولقد شن المبشرون والمستشرقون وغيرهم من أعداء الإسلام حملة شديدة على القرآن الكريم، وكان أول همهم أن يبحثوا لأوروبا عن سلاح غير أسلحة القتال لتخوض المعركة مع هذا الكتاب الذي سيطر على الأمم المختلفة الأجناس والألوان والألسنة، وجعلها أمة واحدة، تعد العربية لسانها، وتعد تاريخ العرب تاريخها.

ويحدد المستشرق «رودي بارت» بداية هذا النوع من الاستشراق بسنة ١٤٣٠م، «حين تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب «بيتروس فينيرا بيليس» رئيس دير كلوني.

من أمثلة ذلك ما زعمه كل من «جوستاف فايل» (٢)، و«كازا نوفا» و«جولدزيهر» و«جورج سيل»، و«ريتشارد بل» و«ج. إيراك».. إذ قال أولهم في كتابه «مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن» «إن القرآن الذي نقلوه ليس بعينه القرآن الذي تلاه محمد على المسلمين أثناء حياته، بل إنه حرف وبدل بعد وفاته وخاصة في الصدر الأول للإسلام».

وقال ثانيهم في كتابه «محمد ونهاية العالم»: إني أؤكد أن مذهب محمد الحقيقي إن لم يكن قد زيف، فهو -على الأقل- ستر بأكبر العنايات، وأن الأسباب البسيطة التي سأشرحها فيما بعد هي التي حملت أبا بحكر أولا ثم عثمان من بعده على أن يمدا أيديهما إلى «النص المقدس» بالتغيير وهذا التغيير قد حدث بمهارة بلغت حدا جعل الحصول على القرآن الأصلي يشبه أن يكون متسحيلا (٣).

أما ثالثهم «جولدزيهر» وهو يعد من أشهر علماء الغرب في الاستشراق، وله كتاب بعنوان «العقيدة والشريعة في الإسلام» وقد ترجمه د.محمد يوسف موسى وآخرون.

يقوم في جملته على أربعة مزاعم خطيرة هي: «أن القرآن من صنع محمد(!!) وأن الحديث النبوي من صناعة الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الفقهية، وأن التشريع الإسلامي مستمد من القانون الروماني، وأن الجيوش الإسلامية التي حملت الحق والخير والعدالة إلى الدنيا لم يكن باعثها الإيمان، وإنما الذي أخرجها من الجزيرة العربية القحط والجوع» (٤).

بعد هذا السب والتجريد للإسلام من عنوانه وموضوعه وخصائصه وميزاته.. كيف يزعم هؤلاء المترجمون «المسلمون» -في مقدمة الترجمة- أن هذا الكتاب لجولدزيهر هو «أنضج ما كتب؟ وإنه تراث قيم وكبير؟!»

ولجولدزيهر كتاب آخر بعنوان «تاريخ الجنس البشري» ادعي فيه «أن محمدا كان تلميذا لليهود» (٥) وشاركه الرأي في ذلك «جورج سيل» صاحب كتاب «ترجمة معاني القرآن» الذي أصدره عام ١٧٣٦م وقال في مقدمته «إن محمدًا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له(!!). فأمر لا يقبل الجدل وإن كان من المرجح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة. وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك» (٦).

وإذا كان جورج سيل قد بت في مصدر القرآن على النحو السابق فجعل الرسول مؤلفه دون مواربة، فإن الأستاذ «ريتشارد بل» مؤلف كتاب «مقدمة القرآن» قد سد النقص الذي تركه «سيل» في تلك الأكذوبة، فاستظهر أن الرسول «محمد» قد استمد من الكتاب المقدس كثيرا مما جاء في القرآن وبخاصة القصص القرآني(!!).

ادعاؤهم بنحل القرآن من الكتب السماوية (٧)

يذهب المستشرق «لوت» إلى أن النبي ﷺ مدين بفكرة فواتح السور من مثل: حم، طسم، وألم.. الخ.. لتأثير أجنبي، و«يرجح

أنه تأثير يهودي، ظنًا منه أن السور التي بدئت بهذه الفواتح مدنية خضع فيها النبي ﷺ لتأثير اليهود» (٨) .

أما غوستاف لوبون فيرى في كتابه «حضارة العرب» أن القرآن الكريم من شواهد عبقرية محمد ﷺ وهو من إنشائه ولكنه يجعله دون كتب الهندوس قيمة(!!).. فيقول: ليس في عامية القرآن ولاهوتيته التي هي من صفات الأديان السماوية ما يقاس بنظريات الهندوس، ثم ينكر شمولية القرآن الكريم، ويرى أنه مؤقت بعصره، لا يحقق حاجات الفرد في عصور لاحقة، بل يجعله سبب تخلف المسلمين! (٩) .

وبلاشير – بالرغم مما يقال عن اعتداله في أحكامه- يتحدث في كتابه «معضلة محمد» عن مصدر القصص القرآني ذاكرا أنه «مما لفت انتباه المستشرقين هو التشابه الحاصل بين هذا القصص وبين القصص اليهودي والمسيحي.. وقد كان التأثير المسيحي واضحا في السور المكية الأولى، إذ كثيرا ما تكشف المقارنة بالنصوص الرسمية- كإنجيل الطفولة الذي كان سائدًا في ذلك- عن شبه قوي».

المضحك أن بعض المستشرقين المعاصرين يقفون عند نصوص معينة من القرآن الكريم يتخذون من فهمهم الخاطئ لها دليلا على أن محمدا استقى تعاليمه من الكتابيين، فقد ذكر المستشرق الإنجليزي «الفريد جيوم» والمستشرق الأميركي «فردريك بلس» أن الآية التي تقول ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٨). قد اختلطت على رسول الله ﷺ ويقول «جيوم»: إن محمدا كان دارسا مبتدئا للكتاب المقدس، فظن أن مريم أم عيسى عليه السلام هي مريم أخت هارون مع أن بين عيسى وهارون زمنا طويلا (١٠).. والشيء نفسه عند «بلي» حيث يذكر أنه: كيف تكون مريم أخت موسى هي التي عاشت قبل المسيح بألف وأربعمائة عام هي أم المسيح؟! ويضيف «جيوم»: كان أسلوب النبي في القرآن أول عهده بالدعوة مفعما بالعواطف، قصير العبارات، فخم الصورة، يقدم أوصاف العقاب والثواب في أوصاف صارخة، وكثيرا ما يكرر الآيات مملا حتى تتقلب معانيها إلى الضد (١١). فلما تقدم الزمن بالنبي فقد الأسلوب منهجه الأول!! (١٢) وإن المستشرق كليمار هوار: klimar Hawar زعم أنه اكتشف مصدرا جديدا للقرآن هو شعر أمية بن أبي الصلت (!!) (١٣).

ويمكننا تلخيص مزاعم المستشرقين وادعاءاتهم في ثلاث نقاط هي (١٤):

■ ادعاؤهم أن النبي محمد ﷺ مؤلف القرآن الكريم «كار لايل، غوستاف لوبون، جولد زيهر، جورج سيل».

■ ادعاؤهم أن القرآن خليط مهلهل مشوش، وكلام ركيك ثقيل على النفس، وفقر مدقع في الأفكار وعدم الاتساق ومجموعة ملاحظات كان يدونها تلاميذ محمد، وأن القرآن الذي نقلوه –هم– ليس بعينه القرآن الذي تلاه محمد، بل إنه حرف وبدل بعد وفاته، وليس في القرآن قيمة أدبية خاصة مادام محمد كارهًا للشعر والشعراء محترزا أن يكون أحدهم! «كارلايل، نولدكه، ج. إيراك، جوستاف فايل، أميل درمنغم».

■ ادعاؤهم أن النبي محمدا مدين بفكرة فواتح السور من مثل حم، طسم، الم، كهيعص... إلخ لتأثير أجنبي، ويرجح أنه تأثير يهودي، ومصدر القصص القرآني هو التشابه الحاصل بين هذا القصص وبين القصص اليهودي والمسيحي، وقد كان التأثير واضحا في السور المكية، وأن محمدا استقى تعاليمه من الكتابيين.. «ولت، بلاشير، جيوم، نولدكه، ريتشارد بل، بلس».

من كذب المستشرقين: القرآن صياغة نبوية والحديث وضعه الصحابة والتشريع الإسلامي مستمد من القانون الروماني

بل المضحك حقا –وهو من شر البلية كما يقولون– ما ذهب إليه بعضهم من أن فواتح السور هذه ليست من القرآن، وإنما هي «رموز لمجموعة الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني»!!. وتفسيرهم لحرف مثل «الم»، كهيعص»، «ن»،.. بأن حرف الميم رمز لصحف المغيرة بن شعبة، والهاء لصحف أبي هريرة، والصاد لسعد بن أبي وقاص، والنون لصحف عثمان، وأن محمدا ظن أن مريم أخت هارون، وكيف تكون مريم أخت موسى هي التي عاشت قبل المسيح بألف وأربعمائة عام هي أم المسيح عيسى؟! «نولكده، جيوم، بلس».

ولعلنا نلحظ أن كل هذه الأقوال و«التفسيرات» التي جاءوا بها هي مما يبعث على السخرية والضحك في آن واحد.

مستشرقون يردون ويدحضون الافتراءات (١٥)

أما بالنسبة لدحض هذه المفتريات على القرآن الكريم، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو أمر سهل وميسور، وسنعتمد في الجزء الأول منه على أقوال جانب من المستشرقين الموضوعيين الذين فندوا تلك الأقوال الباطلة والمزاعم الخاطئة حول القرآن الكريم، ونحن في هذا بصدد، «مستشرقون يردون على افتراءات مستشرقين»، والجزء الثاني من الرد سينصب على «الدليل النقلي» من القرآن الكريم، بعد أن أسبقناه «بالدليل العقلي»، وبذلك نكون قد جمعنا بين الأمرين معا في دحض تلك المفتريات.

فأما الأول فهو ما قاله الكونت هنري دي

كاستري: «لو قال قائل إن القرآن ليس كلام الله بل كلام محمد فلابد لنا على الحالين من الاعتراف بأن تلك الآيات البينات لا تصدر عن مبتدع أبدا، خلافا لرأي من ذهب إلى تكذيب نبوته.. ولعل رأيهم جاء من ضيق «فهمهم» للغة التي تلجئنا (أي المستشرقين الطاعنين) إلى أن نرمي نبيا هو في الحقيقة شخص ملئ أمانة وصدقا» (١٦) .

ويتساءل «الكونت» مستنكرًا: وكيف يعقل أن النبي ألف هذا الكتاب (القرآن) باللغة الفصحى مع أنها في الأزمان الوسطى -كاللغة اللاتينية- ما كان يعقلها إلا القوم العالمون؟! بل ذهب إلى أبعد من ذلك فتعجب من مسيو «رينارودوزني» مما قاله في كتابه «تاريخ الإسلام» عن القرآن: «إن في القرآن أغلاطا نحوية كثيرة، وإن تلك الأغلاط جعلت فيما بعد من جملة قواعد النحو أو مستثنيات من قواعده» (١٧) .

ويعقب «دي كاستري» على ذلك بقوله: ولعمري أي مصدر اعتمد عليه ذلك المؤلف فيما ادعى، مع أننا لم نعهد كتبًا نحوية قبل الإسلام، ولو صح وجود شيء منها فلابد أنه كان عزيزا نادرًا. وقد شاهدنا أن أناسا -كان أكثرهم أميين قاموا في أمة العرب- وادعوا النبوة، وادعى النبوة منهم مسيلمة الكذاب الذي زعم أنه قرين محمد ثم أتى بسور (قصص) سخر العرب منها لسذاجتها وتدني قيمتها الأدبية!

لقد جاهر «كلوفارير» الكاتب الفرنسي المعاصر وعضو مجمع اللغة العربية بقوله: «إن آيات القرآن جميلة وتحسن تلاوتها، فيها نفحة ظاهرة عجيبة لأنها تأمر بالشجاعة والصدق والأمانة وتدعو إلى حماية الضعيف وإلى عبادة إله واحد» (١٨)، ولعل في ذلك أبلغ رد على الذين يدعون بأن القرآن كلام ركيك، ثقيل على النفس، مدقع في الأفكار، وخليط مهلهل مشوش... إلخ.

والشيء نفسه يقرره الأديب الكبير بارتملي شتيلر (١٩) بقوله: «إن القرآن قد بقي أجمل مثال للغة التي أنزل بهاء ولم أر ما يشبه ذلك في جميع أدوار التاريخ الديني للعالم الإنساني، وهذا الأمر يفسر لنا التأثير العظيم الذي أحدثه هذا الكتاب على العرب (٢٠).

ويقول المستشرق جيمس منشز في إحدى مقالاته: لعل القرآن هو أكثر الكتب التي تقرأ في العالم وهو بكل تأكيد أيسرها حفظا وأشدها أثرا في الحياة اليومية لمن يؤمن به، فهو ليس طويلاً كالعهد القديم. وهو مكتوب بأسلوب رفيع أقرب إلى الشعر منه إلى النثر (٢١). ولم يكن للنبي محمد في القرآن من حظ إلا أربعة أشياء هي: الوعي والحفظ، لقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى﴾ (الأعلى:٦)، والحكاية والتبليغ ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا﴾ (الإسراء:١٠٦).

والبيان والتفسير، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل:٤٤) ثم أخيرا التطبيق والتنفيذ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (النساء:١٠٥).

ومن الطرائف أيضًا أن نجد من المستشرقين الطاعنين في القرآن من يرد على نفسه ويناقض كلامه بعضه بعضا، كالفيلسوف جوستاف، أو غستاف لوبون، الذي قال عن القرآن ما نصه: حسب هذا الكتاب جلالة ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف -ولو بعض الشيء- من أسلوبه الذي لايزال غضا كأن عهده بالوجود أمس، ولم يكن هذا النبي الجليل داعيا للآخرة وحدها، بل أمر أتباعه أن يأخذوا بنصيبهم من هذا الحياة (٢٢).

فالقرآن الكريم معجزة خالدة لرسالة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ودراسته تنفي أن يكون شيء منه من كلام بشر، والموازنة بينه وبين الأحاديث النبوية تؤكد بوضوح أن النبي محمد ﷺ لا قدرة له على الإتيان بقرآن مثله، فهو كلام الله المعجز في آياته وبيانه.

وما فيه من تشريع ديني واجتماعي وسياسي وقوانين ومعاملات وشؤون أسرة وعلاقات داخلية وخارجية ونظام حروب وجهاد في سبيل الله لا يمكن أن يقوم به فرد واحد من عنده مهما كانت قوته وبلغ علمه.

وكما يقول «الكونت هنري دي كاستري».. لو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب، أتى محمد بالقرآن دليلا على صدق رسالته وهو لا يزال إلى يومنا هذا سرا من الأسرار التي تعذر فك «طلاسمها» (٢٣) (أي الصعب من ألفاظه وعباراته).

ولن يسبر غور هذا السر المكنون إلا من صدق بأنه منزل من عند الله، اللهم إلا إن اعتمدنا على قول ممجدي الديانة المسيحية مما كنا نرتاح إليه أيام شبيبتنا، وهو (أي ديكستري) يرجح أن القرآن تأليف فاتح أراد سلطته فجمع من كتب اليهود والمسيحيين قانونا أودعه بعض قواعد الأدب والدين وأضاف إليه قصص الوقائع العظيمة لتأييد رسالته.

وعلى كل حال سواء توصلنا إلى معرفة حقيقة القرآن أم لا فلا ينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة بالفعل، هكذا قال «دي كاستري» في كتابه سالف الذكر.

وثمة حقيقة كبرى لا يمكن تجاهلها ولا بالمقدور إنكارها وهي أن ما جاء به نبي الإسلام ﷺ وإن اتفق مع جميع الرسالات السابقة في الدعوة إلى التوحيد، إلا أنه انفرد بأشكال وأوضاع في العبادات والمعاملات لم يسبقه إليها دين من قبل، كما أن الإسلام انفرد بشمول شريعته وأحكامها لكل حاجات البشرية ومطالبها وأوضاعها المتعددة والمتباينة لكونه الدين الخاتم والشريعة الناسخة لما قبلها من شرائع وديانات.

فكيف يصح في الأذهان أو تصدق العقول ما يفتريه «جولد تسهير» من أن الإسلام مزيج من منتخب المعارف والآراء اليهودية والمسيحية؟!(٢٤) .

نعم قد نرى تشابها بين القرآن والتوراة في بعض المواضع إلا أن سببه ميسور المعرفة، ذلك أن محمدا كان يلصق «يقارن» ديانة الإسلام بالديانتين المسيحية واليهودية (٢٥).

فالبحث مباح فيما إذا كان مذهبه صحيحا اتخذه ليؤيد به الحقيقة الدينية من حيث هي (٢٦) ولكن لا نسلم بإنكار هذه الحقيقة وحينئذ لا عجب إذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضع خصوصا إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها كما أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

وفي تحليل هذه القضية يقول «الكونت هنري دي كاستري»: والآن نلخص مذهب المسلمين في الديانات الثلاث فنقول: «إن دين الأنبياء كان كله واحدا، فهم متحدون في المذهب منذ آدم إلى محمد، وقد نزلت ثلاثة كتب سماوية هي: الزبور والتوراة والقرآن، والقرآن بالنسبة إلى التوراة كالتوراة بالنسبة إلى الزبور أو أن محمدا بالنظر إلى عيسى كعيسى بالنظر إلى موسى، ولكن الأمر الذي تهم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوي نزل إلى الناس وصاحبه خاتم الرسل، فلا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد ﷺ، ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلا» (٢٧).

إذا تقرر هذا لم يعد هنالك وجه للاستغراب من وجود بعض التشابه بين القرآن والتوراة، فمحمد كعيسى قال إنه ليتمم رسالة من قبله لا ليبيدها، فلم يكن من أمره الابتعاد عمن تقدمه. إذن ليس محمد من المبتدعين ولا من المنتحلين كتابهم وليس هو نبي سلاب كما يقول مسيو «سايوس» وجورج سيل ومن شابههما.

أما ما ادعاه كل من جورج سيل وريتشارد بل، وج إيراك وجوستاف فايل وكازانوفا.. من أن القرآن الذي نقله أصحاب محمد ليس بعينه القرآن الذي تلاه محمد على المسلمين أثناء حياته، بل إنه حرف وبدل بعد وفاته، خاصة في الصدر الأول للإسلام، فتجدر الإشارة إلى أن الذين زعموا هذا الزعم الفاسد هم من أشد المستشرقين تعصبا، أما كثرتهم فيقرون بأن القرآن الذي نقرأه ونرتله اليوم إنما هو بعينه القرآن الذي قرأه النبي محمد ﷺ أثناء حياته، لم يحرف ولم يبدل. وهم حريصون على أن يذكروا هذا وإن أضافوا إليه نقدًا للنظام الذي جمع القرآن به ولترتيب السور فيه، وكان على رأس هؤلاء المستشرقين السير وليم ميرو، وهو المسيحي الشديد الحرص على مسيحيته، فقد ذكر في كتابه «حياة محمد» ما ترجمته: كان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام فكانت تلاوة ما تيسر منه جزءا جوهريا من الصلوات اليومية (٢٨).

وكل ما لدينا مقنع تمام الإقناع بأن الأمر كذلك -وهو أن القرآن الذي نتلوه إنما هو نص مصحف عثمان لم يتغير- فليس في الأنباء القديمة أو الجديرة بالتصديق ما يلقي على عثمان أية شبهة بأنه قصد إلى تحريف القرآن. ونستطيع أن نستنبط مطمئنين أن مصحف عثمان كان وما يزال صورة مضبوطة لما جمعه زيد بن ثابت مع مزيد في التوفيق بين الروايات السابقة له وبين لهجة قريش، ثم استبعاد القراءات التي كانت منتشرة في أنحاء الدولة.

ولا مراء في أن ذلك النفر القليل من غلاة المستشرقين الذين نادوا بفرية تحريف القرآن وأنه كتاب من وضع الرسول محمد هم مسيحيون مغرقون في مسيحيتهم ظلوا يفترون على الإسلام ونبيه الكريم ويلتمسون المطاعن في تعاليمه السمحة بمعاونة أحبار الكنيسة وبتأييد من الاستعمار الغربي، فأتوا بآراء ونظريات مما يبرأ منها الإسلام وأدخلوا على سيرة الرسول الأعظم خرافات لا يسيغها العقل الواعي ولا يقبلها الذوق السليم.

الهوامش

١- اعتمدنا في هذا الصدد على ما أوردناه في كتابنا بعنوان: في ظلال سيرة الرسول ﷺ الصادر في سلسلة «دعوة الحق» -مكة المكرمة- رابطة العالم الإسلامي، العدد رقم (١٠٨) ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص٨٤.

٢- وهو من أصل يهودي، نال تربية تلمودية، ثم درس بالجامعات الألمانية وعرف المنهج التاريخي، عاش في الفترة من (١٨٠٨-١٨٨٩م).

٣- عبدالخالق أبورابية، جولة مع المستشرقين، مرجع سابق، ص٥٩.

٤- مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، مرجع سبق ذكره، ص١٢٢.

٥- المستشرقون ومشكلات الحضارة، د.عفاف صبرة، مرجع سابق، ص ٦٣.

٦- د.عفاف صبرة نفس المرجع، ص٦٣ وما بعدها.

٧- كتابنا: في ظلال سيرة الرسول ﷺ، دعوة الحق، المرجع السابق، ص٩١.

٨- الاستشراق.. د.محمود زقزوق، مرجع سابق، ص٨٤.

٩- القرآن والمستشرقون، د.التهامي نقرة، بحث منشور في كتاب «مناهج المستشرقين» مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٨٥م، ج١، ص٣٠-٣١.

١٠- المستشرقون ومشكلات الحضارة، د.عفاف صبرة، ص٦٩.

١١- وواضح أن هذا الفهم الخاطئ لـ«جيوم» يدحضه قول النبي ﷺ في حديثه الشريف.. إنه «أي القرآن الكريم» لا يخلق على كثرة الرد أي لا يمل قارئه ولا سامعه من آياته البيانات: انظر للمزيد والتفصيل: زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن القيم رحمه الله، طبعة المكتبة العصرية، القاهرة، «د.ت»، المجلد الأول.

١٢- الدكتور التهامي نقرة، البحث السابق، ص٣٢.

١٣- النقرة، نفس الصفحة.

١٤- في ظلال سيرة الرسول ﷺ، تأليف: السيد أحمد المخزنجي، مرجع سابق، ص١٠٠.

١٥- نقلا عن كتابنا: في ظلال سيرة الرسول ﷺ، المرجع السابق، ص١٠١ وما بعدها.

١٦- الإسلام خواطر وسوائح، للكونت هنري دي كاستري، ص٢٦.

١٧- المرجع السابق، ص٢٤- ٢٥.

١٨- جولة مع المستشرقين، عبدالخالق أبورابية، مرجع سابق، ص٧٠

١٩- ولئن كان «شتيلر» أخطأ هو الآخر حينما استبعد أن يكون القرآن أملاه عليه «أي على النبي محمد» جبريل الذي جاء به من عند الله عز وجل، فضلا عن اعتقاده الشخصي، بأن محمدا ﷺ مؤلف هذا الكتاب «أي القرآن الكريم»!!

٢٠- جولة مع المستشرقين، عبدالخالق أبورابية، مرجع سابق، ص٧٠.

٢١- عبدالخالق أبو رابية، المرجع السابق.

٢٢- أبو رابية، المرجع السابق، ص٧٠.

٢٣- الإسلام خواطر وسوائح، المرجع السابق.

٢٤- مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، مرجع سابق، ص١٢٦.

٢٥- إشارة إلى قوله تعالى على لسان رسوله الكريم ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الأحقاف: ٩).

٢٦- الإسلام خواطر وسوائح، الكويت هنري دي كاستري، مرجع سابق، ص٢٧.

٢٧- الإسلام خواطر وسوائح، المرجع السابق، ص٢٧.

٢٨- جولة مع المستشرقين، مرجع سابق، ص٥٩.

الفروق الفردية في كتاب الله

د. عبدالله رمضاني - باحث دراسات إسلامية

يختلف كثير من الناس في استعداداتهم وقدراتهم الجسمية والنفسية والعقلية، وإن وجهة النظر المتفق عليها الآن بين العلماء والمختصين هي أن الفروق الفردية إنما تعد نتاج التفاعل بين العوامل البيئية والعوامل الوراثية، ويمكن تحديد أوجه هذا التفاعل في:

- استعدادات الفرد وإمكاناته، وتمثل الجانب الوراثي.
- الخبرات أو الممارسات التي يمر بها الفرد، وتمثل الجانب البيئي.

ويعرف علماء النفس الفروق الفردية بأنها «تلك الصفات التي يتميز بها الإنسان عن غيره من الأفراد سواء كانت تلك الصفات جسمية أم عقلية أم مزاجية، في سلوكه النفسي أو الاجتماعي» (١).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القرآن الكريم قد أشار إلى الفروق بين الناس في كثير من المواضع، ولعل الآيات التي سنستشهد بها في هذا المقام كلها تشير إشارة واضحة إلى وجود الفروق الفردية بين الناس، كما أنها ترجع هذه الفروق إلى كل من العوامل الوراثية والبيئية.

فقوله عز وجلّ: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾ (الأنعام: ١٦٥)، يشير إلى أنه يغطي كل أنواع الفروق الفردية بين الناس على جميع المستويات التكوينية، سواء كانت وراثية أم مكتسبة.

وقوله تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًّا﴾ (الزخرف: ٣٢)، وهنا إشارة واضحة إلى اختلاف الناس في الغنى، وفي العلم والمهن، وقد جعل الله ذلك ساريا في عباده ليتم التعاون وتوزيع العمل بين أفراد المجتمع مما يكفل سد حاجاتهم، ويهيئ لهم أسباب التعايش فيما بينهم.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم...﴾ (الروم: ٢٢).

فمن الواضح من الآية أن اختلاف الألوان إنما يرجع إلى العوامل الوراثية، وأن اختلاف الألسن واللغات بين الناس يرجع إلى العوامل البيئية والاجتماعية والثقافية. وفي ذلك إشارة بينة إلى أثر كل من العوامل الوراثية والبيئية في الفروق الفردية.

وتوجد فروق أخرى بين الناس نجملها في النماذج الآتية:

١- فروق في العلم والحكمة: أي وجود فروق بين الناس في القدرات العقلية والذكاء، كما يفهم ذلك صراحة من قوله تعالى: ﴿...نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم﴾ (يوسف: ٧٦).

وقد فسر ابن كثير هذه الآية بقوله: «قال الحسن البصري: ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجلّ.

عن سعيد بن جبير قال: كنا عند ابن عباس فحدّث بحديث عجيب، فتعجب رجل فقال: الحمد لله، فوق كل ذي علم عليم، فقال ابن عباس: بئسما قلت، الله العليم فوق كل عالم، يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم» (٢).

٢- فروق في السلوك والعمل: إذا كان الناس مختلفين في استعداداتهم وقدراتهم، وبيئتهم وخبراتهم الشخصية، فإنه مما لا شك فيه توجد اختلافات كثيرة في سلوكهم أيضا مصداقا لقوله عز وجل: ﴿قل كل يعمل على شاكلته...﴾ (الإسراء: ٨٤)، أي كل يعمل على طبيعته أو طريقته حسب تفسير ابن كثير وصاحب تفسير الجلالين.

ويؤدي، بطبيعة الحال، اختلاف الناس في الاستعدادات والقدرات البدنية والعقلية إلى اختلاف قدراتهم على الكسب والعمل، وتحصيل العلم والمعرفة وغير ذلك، وتختلف تبعا لذلك واجباتهم ومسؤولياتهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفروق الفردية في آيات كثيرة نذكر منها ما يلي:

﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت...﴾ (البقرة: ٢٨٦).

﴿ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾ (المؤمنون: ٦٢).

﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها...﴾ (الطلاق: ٧).

نجد في هذه الآيات إشارة واضحة إلى وجود الفروق الفردية، وإلى أن الفرد لا يكلف إلا ما وسعه وطاقته، وفي إشارة القرآن إلى ذلك يمثل الفكرة الأساس «فيما وصل إليه علم النفس الحديث من الاهتمام بقياس الفروق بين الأفراد في الاستعدادات والقدرات لتنظيم عملية التعليم بحيث يوجه كل فرد إلى نوع التعليم المناسب لاستعداداته وقدراته، وهذا هو الهدف من عملية التوجيه التربوي في التربية الحديثة. ويستعين علماء النفس المحدثون أيضا بقياس الفروق الفردية بهدف تحسين عملية الاختيار المهني بحيث يمكن وضع كل فرد في العمل المناسب لاستعداداته وقدراته» (٣).

٣- فروق اجتماعية: قال الله تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًّا ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾ (الزخرف ٣٢).

٤- فروق أخلاقية: قال الله تعالى: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك إلا مادمت عليه قائمًا﴾ (آل عمران: ٧٥).

٥- فروق في الأهداف والغايات: قال الله تعالى: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ (الليل: ٤).

٦- فروق عقلية: قال الله تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذّكر إلاّ أولو الألباب﴾ (البقرة: ٢٦٩).

ومراعاة الفروق الفردية ذات أهمية كبيرة في شتى العلاقات التواصلية العلمية والمعرفية، فالناس يختلفون فيما بينهم في عديد من القدرات والصفات ويهم المخاطب أن يكون على دراية بما بين الناس من فروق ليتعرف على نواحي القوة والضعف فيهم، فيتواصل معهم حسب قدراتهم واستعداداتهم.

وفي هذا الصدد، يؤكد علماء الوراثة أن الفروق الفردية إنما هي حقائق بيولوجية أساسية لا يمكن نكرانها، ويسعى أصحاب هذا الاتجاه إلى الدعوة إلى ضرورة الانتفاع بالمواهب المتنوعة عوضًا عن محاولة التأثير عليها خارجيًّا دون جدوى مع الفرص المتاحة لهم.

فالاختلافات الفردية ظاهرةٌ عامة في جميع الكائنات، فلن نجد فردين من نوع واحد متشابهَيْن في استجابة كلّ منهما لموقف واحد، وتؤكّد الأبحاثُ أنّ أفراد النوع الواحد يختلفون فعلًا في قُدرتهم على التعلّم، وحلّهم للمشكلات، وأحوالهم الانفعالية؛ كالخوف والحب، ودوافع السلوك؛ كحُبّ الاستطلاع، والحاجة إلى الإنجاز.

إن وجود فروق فردية بين الناس يُساعِد على تحسين الحياة، وسيرها السيرَ الطبيعي، فالحياة لا يمكن أن تقومَ إذا كان الناس جميعًا على درجة واحدة، وهي تشمل نواحي الشخصية المختلفة: الجسمية، والعقلية، والمزاجية، والاجتماعية، فكما لا نستغرب اختلافَ الأفراد فيما بينهم من ناحية الطولِ أو الوزن، يجب ألاّ نستغرب كذلك وجودَ فروق بينهم في الذكاء، أو في الميول، أو في سمات الشخصية؛ كالانطواء، أو الانبساط.

ولقد وعى المفكرون المسلمون هذا جيدا عند تناولهم لأنماط المتعلمين، وأوضحوا أن العالم إذا لم يراع ما بين المتعلمين من فروق فردية كان هو والمتعلمون في تعب. ولهذا فقد أشاروا إلى أهمية ألا يبدأ المعلم في تعليم أحد تلامذته «حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله» (٤). فإذا أوقفه التجريب والعلم بحال المتعلم على حدود قدراته ومدى استعداداته، كان من الطبيعي أن «لا يلقى إليه ما لم يتأهل له، لأن ذلك يبدد ذهنه ويفرق فهمه» (٥).

واستفادة مما ورد في القرآن الكريم من إشارات واضحة المعالم والدلالة إلى وجود فروق فردية بين الناس، فقد ذهب المفكرون المسلمون، خاصة في مجال التربية والتعليم، إلى أن معرفة المعلم بتلاميذه معرفة تامة، تمكنه من مساعدتهم على بلوغ أهدافهم، فقد يخطئ المتعلم في تقدير إمكاناته واستعداداته، وتقويم قدراته، وهنا تبدو أهمية معرفة المعلم التامة بتلميذه، فيسارع إلى إرشاده وتوجيهه إلى ما يتلاءم مع قدراته وطموحاته.

الهوامش

١- د.عبدالحميد الهاشمي: الفروق الفردية- ص: ٧.

٢- تفسير ابن كثير ٤/ ٤٠١- ٤٠٢.

٣- القرآن وعلم النفس، ص:٢٢٧.

٤- ابن جماعة- تذكرة السامع والمتكلم- ص ٥٦.

٥- ابن جماعة ص ٥٦.

فتحها سبعمائة فارس من جيوش طارق بن زياد في عام ٩٣هـ

قرطبة .. أرض الفرسان

القاهرة- دار الإعلام العربية

حين تسمع اسم «قرطبة» يقفز إلى ذهنك- لا إراديًّا- صورة مجسمة لمئات الفرسان المسلمين، يمتطون صهوة جيادهم الشامخة، ويرفعون راية الحق فاتحين مدينة ذات تاريخ تليد، أصبحت- وعلى مدى ثلاثة قرون تالية- حاضرة الأندلس الإسلامية، ومركزًا للخلافة، فتحها نحو سبعمائة من فرسان جيوش طارق بن زياد دون مقاومة تذكر، ولم يجد المسلمون عناءً في التعايش السلمي مع أهل البلاد المسيحيين، الذين وجدوا في الإسلام قبلة للحق والعدالة والسماحة.. تعالوا نتعرف على تاريخ هذه المدينة التي سقطت غدرًا من خارطة العالم الإسلامي.

تقع قرطبة في غرب إسبانيا، وتمتد على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير، الذي ينحني مجراه نحو الغرب مؤلفًا أهم طريق طبيعي في إسبانيا الجنوبية، ويعود تاريخ المدينة إلى العصر الروماني، حيث تأسست في عام ١٥٢ق.م، وذاعت شهرتها منذ الصراع بين قرطاجنة وروما، حيث اتخذها الرومان عام ١٦٩ق.م عاصمة لإسبانيا السفلى.. وظلّت خاضعة للبيزنطيين حتى نجح ملك القوط الغربيين في الاستيلاء عليها عام ٥٦٨م، ثم أخذت تفقد أهميتها شيئًا فشيئًا حتى فتحها المسلمون عام ٩٣هـ/٧١١م.

الفتح الإسلامي

كان الفتح الإسلامي لمدينة قرطبة هينًا ميسورًا، فقد فتحت أبوابها أمام جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زياد دون عناء أو مقاومة تذكر، حيث بعث طارق قائده مغيث الرومي إلى المدينة في سبعمائة فارس، أقبلوا على المدينة ليلًا ونجحوا في ارتقاء سور المدينة، ووثبوا داخلها ليفاجئوا حراسها، ومن ثم تدفقت جيوش المسلمين، وفتحوا المدينة التي أصبحت حاضرة إسبانيا الإسلامية، واستعادت مكانتها القديمة التي سلبتها إياها طليطلة، واستقر بها منذ عهد أيوب بن حبيب اللخمي ولاة الأندلس على مدى ثلاثة قرون حتى سقوط الخلافة.. فكانت المدينة طوال هذه القرون مثالًا للتسامح الإسلامي، حيث احتفظ أهل المدينة الأصليون من النصارى بحريتهم الدينية والمدنية، وفقًا لعهد المصالحة بينهم وبين المسلمين.

فتحت أبوابها أمام جيوش المسلمين دون عناء أو مقاومة تذكر

اتخذها عبدالرحمن ابن معاوية عاصمة.. واستقر بها ولاة الأندلسّ ثلاثة قرون

عاصمة الخلافة

يعتبر عهد السمح بن مالك الخولاني الذي ولي الأندلس عام ١٠٠هـ/٧١٩م، بداية التاريخ الحقيقي لقرطبة الإسلامية، فقد عمل على رفعها إلى مصاف الحواضر الكبرى.. واستمرت في الازدهار الذي بلغ أوجه في عام ١٣٩هـ/٧٥٦م، عندما أعلنها عبدالرحمن بن معاوية- المعروف بعبدالرحمن الداخل- عاصمة له، بعد أن ساندة مسلمو الأندلس، ونادوا به حاكمًا عليهم. وقد جعلها مهدًا للعلم والثقافة، ومركزًا للفنون والآداب في أوروبا كلها، فقام بدعوة الفقهاء والعلماء، والفلاسفة والشعراء، حتى أصبحت منارة ثقافية عالمية.

وفي عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر من بعده، بلغت المدينة مستوى من الرخاء والثراء لم تبلغه حاضرة أخرى من قبل، حتى نافست بغداد عاصمة العباسيين، والقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، والقاهرة عاصمة الفاطميين.. وظلت قرطبة تنعم بهذا التفوق حتى سقطت الخلافة الأموية عام ٤٠٤هـ/١٠١٣م، حين ثار جند البربر على الخلافة ودمّروا قصور الخلفاء فيها، وهدموا آثارها، وسلبوا محاسنها.

وقد امتازت فترة حكم المستنصر- الذي تولى مقاليد الحكم في الثالث من رمضان سنة ٣٥٠هـ- بازدهار العلوم والآداب، فكان يبعث رجالاً بأموال طائلة لاستجلاب نفائس الكتب إلى الأندلس، وأنشأ مكتبة وصلت محتوياتها إلى أربعمائة ألف مجلد.. كما شهد التعليم في عهده نهضة عظيمة، وبَنَى مدرسة لتعليم الفقراء مجانًا، كما أسس جامعة قرطبة أشهر جامعات العالم آنئذ، وكان مركزها المسجد الجامع، وتدرس في حلقاتها كل العلوم، ويختار لها أعظم الأساتذة.

وقد أخرجت قرطبة كثيرًا من العلماء في جميع المجالات، أمثال: ابن عبدالبر، ابن حزم الظاهري، ابن رشد، الزهراوي، الإدريسي، العباس بن فرناس، والقرطبي، وغيرهم.

المسجد الجامع

ويعتبر المسجد الجامع بقرطبة أهم تحفة معمارية أنشئت في عهد عبدالرحمن الداخل، ولا يزال المسجد باقيًا حتى اليوم بكل أروقته الإسلامية ومحاريبه، وقد تحوّل إلى

كاتدرائية بعد الاستيلاء على المدينة، بعد إزالة كثير من قباب المسجد وزخارفه الإسلامية.

وقد وضع حجر تأسيسه في عهد عبدالرحمن الداخل، وأتمَّ بناءه ابنه هشام الأول.. وكان كل خليفة جديد يضيف للجامع ما يزيد في سعته أو فخامته أو زخرفته، حتى أصبح طوله ٣٣٠ ذراعًا، وعرضه ٢٣٠ ذراعًا، وكان يقوم على الخدمة

في عهد المستنصر ضمت مكتبتها أربعمائة ألف مجلد.. وشهد التعليم نهضة عظيمة

فيه ٣٠٠ رجل.. وقد احتل المسجد مكانة علمية مرموقة، حتى كان طلاب العلم من الشرق والغرب يفدون إليه للتزود بمختلف العلوم. ولم يهمل الخلفاء الجانب الثقافي الذي أعطى للمدينة مكانتها الحقيقية كعاصمة عالمية، فظهرت فيها المكتبات العامرة بنوادر الكتب والمخطوطات،

ويروى أن ابن رشد تناظر يومًا مع أبي بكر بن زهر، فقال ابن رشد: «إذا مات عالم بأشبيلية فأُريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات بقرطبة مطرب فأريد بيع آلاته حملت إلى أشبيلية».

وقد تأثر تصميم الجامع بالمنشآت التي بنيت في أيام العصر الأموي الأول، وبالأخص الجامع الأموي في دمشق، حيث يشترك معه في وجود الحرم المسبوق بالصحن، ووجود مئذنة واحدة في الواجهة، شأن مئذنة العروس في دمشق، ومئذنة جامع القيروان، وقد تم بناء

مئذنة جامع قرطبة في عهد هشام بن عبدالرحمن عام ٧٨٨م.. وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر عام (٩٦١م) تم إجراء بعض الإضافات الفنية المشابهة للفن الدمشقي، كجدار المحراب، والسقوف المزخرفة، والعقود المفصصة، إضافة إلى العقد الحذوي. واحتوى حرم المسجد تسعة أجنحة باتجاه العمق، والجناح الأوسط هو أكثرها عرضًا.. وتعتبر غابة الأعمدة الموجودة في الصحن أهم ما يميز الجامع، إضافة إلى وجود الشرفات التي تعلو سقوف الجامع في الواجهة الغربية، المتدرجة والمثلثة الأشكال، المشابهة لأسنان المشط، وقد تمت استعارتها من الفن الزخرفي الشرقي لتصبح فيما بعد ملمحًا أساسيًا من ملامح الفن الأندلسي. أما الجدران الداخلية فأهم ما يميزها المشبكات التي تغطي النوافذ، كما هو سائد في بعض المباني الدمشقية، في حين تحتوي الجدران الخارجية على روائع فنية زخرفية تتمثل في الأعمدة والأقواس المؤطرة، بينما تغطي الفسيفساء المذهبة والأحجار الرقيقة ذات الشكل المربع سقف القبة وإطار المحراب، وكذلك الأبواب المجاورة للمحراب.

وبهذا يمكن القول: إن فن العمارة الإسلامية ولد في عصر بني أمية، ثم نما وترعرع سريعًا بعد أن استفاد المسلمون من فتوحاتهم، ووحدوا كثيرًا من العناصر الفنية في أجزاء دولتهم.

قنطرة الدهر

ومن المعالم المهمة للمدينة أيضًا قنطرة قرطبة على نهر الوادي الكبير، التي عرفت باسم «الجسر» و«قنطرة الدهر»، كان طولها ٨٠ ذراعًا، وعرضها ٢٠ ذراعًا، وارتفاعها ٦٠ ذراعًا، ويذكر الإدريسي أنه كان بأسفلها «رصيف من الأحجار والعمد البديعة، وكان على السد ثلاثة مطاحن، في كل بيت منها أربعة مطاحن مائية».

مدينة الزهراء

بعد أن تعرّضت الدولة الأموية في الأندلس إلى عدد من الثورات، تمكّن أحد أحفاد «الداخل»- وهو عبدالرحمن الثالث الملقب بـ«الناصر»- من إعادة توطيد ملك الأمويين، وإخضاع معظم الأندلس إلى سلطته في قرطبة، وذلك في القرن العاشر الميلادي «الرابع الهجري»، وقد بلغ من قوته أن اتخذ لنفسه لقب خليفة المسلمين.. وقام بنقل حكومته إلى مدينة جديدة على بعد أميال من قرطبة سماها «الزهراء»، استغرق ٢٥ عامًا في بنائها، وظلّت موجودة ما يقرب من ٦٥ عامًا حتى دمرها البربر، والزائر اليوم لمدينة الزهراء لا يجد موقعًا أثريًا بالمعنى الكامل، إنما لابد أن يلعب الخيال دورًا في تخيل ما أصبح أثرًا بعد عين.

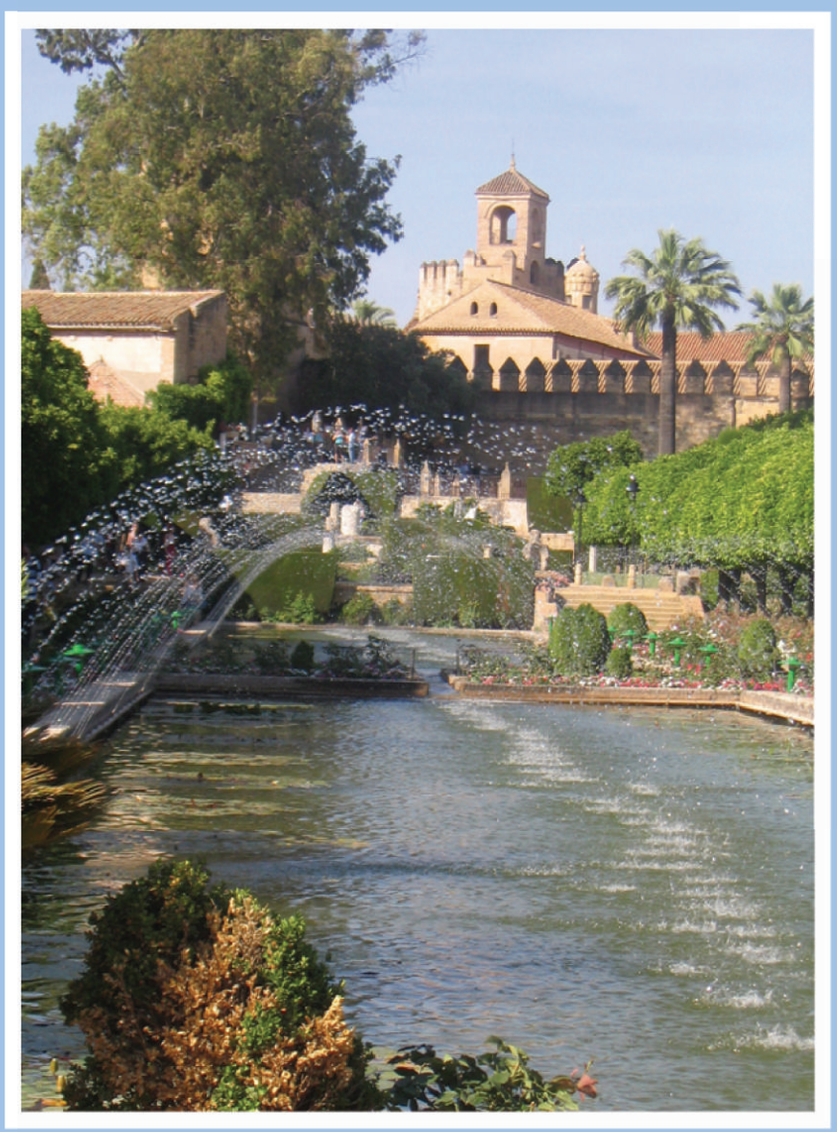

إعداد: محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

صِفَةُ المفتي وشرطُهُ

لاريب في أنّ المفتي مجتهدٌ في الاستدلال بالأدلة الشرعيّة واستنباط الأحكام منها، وهو مبلّغٌ عن الله تعالى، ومجتهدٌ في الوصول إلى حكمِ الله في الوقائع والنّوازل؛ ولذلك كان لابدّ من الحديث عن شروطه، وما يجب أن يتوفرَ من صفاته ونعوته.

وممّا ذكرَهُ الفقهاءُ وأهلُ الأصول من الشّروط المعتبرة الّتي يجب أن تتوفّرَ في المفتي لتؤهّلَهُ لهذا المنصب الرفيع ما يلي:

أولًا: الإسلام، فلا تصحّ فتيا الكافر. وهذا الشّرط لا خلاف فيه عند العلماء، فإنّ الكافر غيرُ مؤتَمن على الدّين، فضلًا عن الإفتاء فيه؛ فإنّ كفرَهُ لن يمنعَهُ عن الكذب والافتراء فيه.

ثانيًا: التّكليف، وهو كونه عاقلًا بالغًا، فلا تصحّ فتيا المجنون ولا الصّبي.

ثالثًا: العلمُ بالأدلّة الشّرعيّة ووجوه الاستنباط منها؛ فلا يصحّ اجتهادُ الجاهل ونظرُهُ، وقد سبق في العدد الماضي إفرادُ هذا الشّرط لأهميّته بمزيد بيانٍ وتوضيح.

رابعًا: العدالة، وأن يكون معروفًا بالتزامه وتديُّنِه واستقامته؛ فلا تصحّ فتيا الفاسق، وهذا شرط عند جماهير العلماء.

خامسًا: ترك التّساهل في الفتوى، وقد نصّ الإمام السّمعاني رحمه الله على هذا الشّرط، وفصّل فيه القول حيث يقول: «المفتي من العلماء مَن استكملت فيه ثلاث شرائط: أحدها: أن يكون من أهل الاجتهاد. والشّرط الثّاني: أن يستكمل أوصاف العدالة في الدّين، حتّى يثق بنفسه في التزام حقوقه، ويوثَقَ به في القيام بشروطه. والشّرط الثّالث: أن يكون ضابطًا نفسَه من التّسهيل، كافًّا لها عن التّرخيص حتّى لا يدخل تحت صلاحيته يترتب عليه ما هو أكثر شرًا، ويترتب بلاء كثير، وشر عظيم بينه وبين الناس، وبينه وبين الدولة.

ولكن عليه أن يغيّر باللسان، كأن يقول: «اتّقِ الله يا فلان، هذا لا يجوز»، «هذا حرام عليك»، «هذا واجب عليك»، يبيّن له بالأدلة الشرعية باللسان، أمّا باليد فيكون في محل الاستطاعة؛ في بيته، أو فيمن تحت يده، أو فيمن أذن له فيه من جهة السلطان أن يأمر بالمعروف، كالهيئات التي يأمرها السلطان ويعطيها الصلاحيات، يغيّرون بقدر الصلاحيات التي أعطوها على الوجه الشرعي الذي شرعه الله لا يزيدون عليه، وهكذا أمير البلد يغيّر بيده حسب التعليمات التي لديه. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

فتاوى الوعي

حق تغيير المنكر باليد

مجموع الفتاوى (٢٠٧/٨)

سُئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى السّؤال التّالي:

هل الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالذات التغيير باليد حقٌّ للجميع، أم أنّه حقٌّ مشروطٌ لولي الأمر، ومن يعيّنه ولي الأمر؟

فأجاب رحمه الله تعالى:

التّغيير للجميع حسبَ استطاعته؛ لأنّ الرسول ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان».

لكنّ التّغييرَ باليد لا بد أن يكون عن قدرة لا يترتب عليه فساد أكبر وشرٌّ أكثر، فليغير باليد في بيته: على أولاده، وعلى زوجته، وعلى خدمه، وهكذا الموظف في الهيئة المختصة المعطَى له صلاحيات، يغير بيده حسب التعليمات التي لديه، وإلا فلا يغيّر شيئًا بيده ليس له فيه صلاحية، لأنه إذا غير بيده فيما

حكم المظاهرات المصحوبة بالتخريب والاعتداء على ممتلكات الغير

الفتوى رقم (١٩٩٣٦)

عرض على «اللجنة الدّائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسّعودية السّؤال التّالي:

مرّ بعض من الأعوام في مدينتنا مظاهرات، وكانت تلك المظاهرات مصحوبةً بتخريب المؤسسات والشّركات، فكانوا يأخذون كل شيء في المؤسسات، وأنا أيضًا

يقومَ بحق الله تعالى في إظهار دينه، ويقومَ بحقّ مستفتيه»، «قواطع الأدلة في الأصول» (١٣٣/٥).

سادسًا: أن يُعرَف بفطنته وصفاء قريحته ونبوغه، حتّى لا يكونَ ممّن تقعُ فتياه على وَفْقِ أهواءِ النّاس وشهواتهم، بل معرفتُهُ بأحوالهم وسبْرُها وتفهُّمُها يساعدُهُ على إيقاعِ الفتوى موقعَها الشّرعيّ.

غيرَ أنّ هناك شروطًا اتّفق الفقهاءُ على عدم اشتراطها، وهي: الحريّة، والذكورَة، والنّطق؛ فتصحّ فتوى العبد، والمرأة، والأخرس؛ إن أفتى السائلَ بالإشارة المفهومة، أو الكتابة الواضحة، وكلِّ ما يقوم مقام النّطق إن كان صحيحًا معتبرًا، «إعلام الموقعين» (٢٢٠/٤)، و«صفة الفتوى» لابن حمدان ص (١٣).

وقد نصّ كثيرٌ من العلماء على شروط المفتي، والصّفات الّتي تؤهّله للقيام بحقّ هذا الواجب المَهيب؛ فقال ابنُ حمدان الحراني رحمه الله: «ومِن صفته وشروطه (أي المفتي) أن يكون: مسلمًا، عدلًا، مكلّفًا، فقيهًا، مجتهدًا، يقظًا، صحيحَ الذّهن والفكر والتصرف في الفقه، وما يتعلق به. أمّا اشتراط إسلامه وتكليفه وعدالته.. فبالإجماع، لأنّه يخبر عن الله تعالى بحكمه، فاعتبر إسلامُهُ، وتكليفُهُ، وعدالتُهُ لتحصل الثقةُ بقوله». «صفة الفتوى» (١٣).

أورد ابنُ القيم رحمه الله تعالى ما رواه ابنُ بطة العكبري رحمه الله عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنّه كتب كلامًا قال فيه: «لا ينبغي للرّجل أن ينصب نفسه (يعني للفتوى) حتى يكون فيه خمسُ خصال: أما أولاها: فأن يكونَ له نية؛ فإنه إن لم تكن له فيه نية لم يكن عليه نور، ولا على كلامه نور. وأمّا الثّانية: فيكون له خلق، ووقار، وسكينة. وأمّا الثّالثة: فيكون قويًا على ما هو فيه، وعلى معرفته. وأمّا الرّابعة: فالكفاية؛ وإلّا مَضَغَهُ النّاسُ. وأمّا الخامسة: فمعرفة النّاس». «إبطال الحيل» لابن بطة العكبري ص (٢٤)، وقد أثبتُّه منه.

ثم قال: «وهذا ممّا يدلّ على جلالة أحمد، ومحلّه من العلم، والمعرفة؛ فإنّ هذه الخمسةَ هي دعائمُ الفتوى، وأيُّ شيءٍ نَقَصَ منها.. ظَهَرَ الخللُ في المفتي بحَسَبِه». «إعلام الموقعين عن ربّ العالمين» (١٩٩/٤).

شاركت في تلك المظاهرات، وأخذت من بعض المؤسسات كتبًا ومصحفًا، وحينما التزمت عرفتُ أنّ ذلك لا يجوز، وأريد من سماحتك أن تفيدني بماذا أفعل بهذه الكتب وخاصة المصحف؟ وشكرًا، وجزاكم الله خيرًا.

فأجابت اللجنة بما يلي:

يجب عليك أن تردّ ما أخذته من أشياء بغير حقٍّ، ولا يجوز لك تملُّكُه أو الانتفاعُ به، فإن عرفتَ أصحابه وجب ردُّه إليهم، وإن لم تعرف أصحابه، ولم تستطع التوصل إليهم؛ فإنّك تتخلص منه بجعل هذه الكتب والمصاحف في مكان يستفاد منه؛ كمكتبات المساجد، أو المسجد، أو المكتبات العامة ونحو ذلك، ويجب عليك التوبة النّصوح، وعدم العودة لمثل هذا العمل السيّئ، مع التّوجه لله سبحانه وحده، والاشتغال بطاعته، والتزود من نوافل العبادة، وكثرة الاستغفار؛ لعلّ الله أن يعفوَ عنك، ويقبل توبتَك، ويختم لك بصالح أعمالك.

كما ننصحك وكلّ مسلم ومسلمة بالابتعاد عن هذه المظاهرات الغوغائية التي لا تحترم مالًا ولا نفسًا ولا عرضًا، ولا تمتُّ إلى الإسلام بصلة، ليسلم للمسلم دينه ودنياه، ويأمنَ على نفسه وعرضه وماله. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الاعتداء على زوّار البلاد الإسلامية

مجموع الفتاوى (٢٣٩/٨)

وسُئِل أيضًا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى السّؤال التّالي:

ما حكم الاعتداءِ على الأجانب السُيّاح والزّوّار في البلاد الإسلامية؟

فأجاب رحمه الله تعالى:

هذا لا يجوز، الاعتداء لا يجوز على أي أحد، سواء كانوا سيّاحًا أو عمّالًا، لأنّهم مستأمنون، دخلوا بالأمان؛ فلا يجوز الاعتداء عليهم، ولكن تناصح الدولة حتّى تمنعهم ممّا لا ينبغي إظهاره، أمّا الاعتداء عليهم فلا يجوز، أمّا أفراد الناس فليس لهم أن يقتلوهم أو يضربوهم أو يؤذوهم، بل عليهم أن يرفعوا الأمر إلى ولاة الأمور، لأنّ التّعدي عليهم تعدٍّ على أناس قد دخلوا بالأمان فلا يجوز التّعدي عليهم، ولكن يرفَع أمرهم إلى من يستطيع منع دخولهم أو منعهم من ذلك المنكر الظاهر.

أمّا نصيحتهم ودعوتهم إلى الإسلام أو إلى ترك المنكر إن كانوا مسلمين فهذا مطلوب، وتعمّه الأدلّة الشّرعيّة، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الوعي نت

إعداد : خالد محمد خلاوي

موقع «رسول الله» ..موسوعة لنصرة النبي ﷺ بـ١٣ لغة عالمية

يقدم موقع رسولنا rasoulallah.net مادة موسوعية للتعريف بسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه باللغة العربية ومترجمة إلى١٣ لغة عالمية، ومنها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والبرتغالية والهولندية والأوردو والصينية واليابانية والإندونيسية.

يشرف على الموقع عدد من العلماء من أنحاء مختلفة من العالم العربي والإسلامي، وتذكر إدارة الموقع أن الهدف منه ليس مجرد سرد السيرة فقط من منظور تاريخي وإنما الهدف الأسمى هو أن نجدد حبنا للمصطفى ﷺ، فهذا هو الغرَض الأول، ثم أن نتأسّى بالمصطفى ﷺ، وهذا هو الهدف الثاني، وصدق الله إذ قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، الهدف الثالث أن نجعل من الأخلاق التي أكرم الله عز وجل بها رسوله محمدًا ﷺ منهج دعوتنا إلى الله، وأساسَ حوارنا مع عباد الله.

ومن أهم محتويات الموقع:

- تعليم مختصر السيرة النبوية بصورة مبسطة من غير إخلال بالمضمون.
- أكثر من عشرين سلسلة صوتية لشرح السيرة النبوية الشريفة.
- يتم أسبوعيا إدخال كتاب أو بحث عن رسول الله ﷺ

بسبب مقاطعة المسلمين

جوجل بعيدا عن صدارة الإنترنت

تسببت حملة المقاطعة التي أطلقها مسلمون لشركة «جوجل» الأميركية، احتجاجًا على عدم حذف الفيلم المسيء للرسول ﷺ، في خسائر فادحة للشركة وصلت إلى ٢١٠ ملايين دولار.

وذكر موقع «أليكسا»، وهو أحد مواقع ترتيب المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت، أنّ محرك البحث الخاص بشركة «جوجل» قد تعرض لأضرار جسيمة على مدى سبعة أيام خلال شهر سبتمبر، وبحسب أليكسا فإن ترتيب «جوجل» هبط للمرتبة الثانية بعد أن ظل محافظا على الترتيب الأول طيلة ثماني سنوات، بعد حملة المقاطعة التي شنها شباب العالم الإسلامي لرفض الشركة حذف مقاطع الفيلم المسيء للرسول من كل خدماتها البحثية والمصورة، ووصلت خسائر «جوجل» ليوم واحد فقط هو يوم الثلاثاء ٢٥سبتمبر ٢٠١٢م، بحسب ما تناقلته عدة مصادر إخبارية - إلى ٣ ملايين مشاهدة.

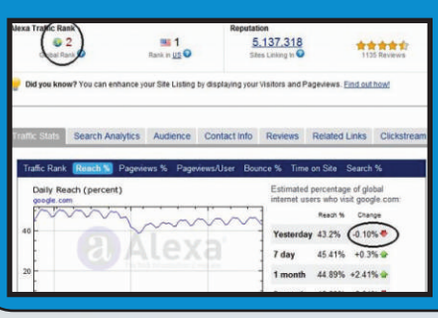

٧٠٠ مادة بأكثر من ٤٥ لـغة للتعـــــــ

يحتوي موقع www.islamhouse.com على صفحة تعد من أكبر الصفحات التعريفية برسول الله محمد ﷺ، بأشهر لغات العالم، حيث تحتوي على أكثر من ٧٠٠ مادة بأكثر من ٤٥ لغة عالمية.

وتهدف هذه الصفحة إلى التعريف بالنبي الخاتم وبيان شمائله وأخلاقه وصفاته وسيرته وموقفنا تجاهه، كما ترد على الافتراءات المثارة حوله ﷺ.

ويقوم فريق العمل في هذه الصفحة التي يشرف عليها المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالمملكة العربية السعودية بتقصي جديد الإنتاج العلمي والدعوي من المؤسسات

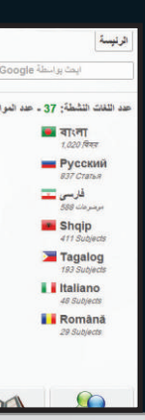

تغريدات لنصرة الرسول ﷺ على تويتر

13 Sep **أ.د.عبدالله بن بيه** @Bin_Bayyah
لقد كان هاجوك يتحدثون عن شخص آخر من نسج خيالهم المريض، فهؤلاء الذين لا يستحقون أن يذكروا.إنهم أعداء السلام، أعداء الإنسانية #كيف_ننصر_نبينا

20 Sep **د. سعد البريك** @saadalbreik
من جميل ما قرأت عبّر عن حبك للرسول بأخلاق **الرسول**) (عبر عن غضبك لرسول الله بما لا تخالف فيه رسول الله) اللهم صل وسلم على محمد واله وصحبه

21 Sep **د. فهد صالح السلطان** @falsultan11
أن عقلائهم ادركو أن بعض أفعالهم ضد المسلمين هي سبب كراهتهم وأن الكراهية لم تكن فطريه وانما جاءت كرد فعل لإساءة الطرف الآخر #بأبي_أنت_وأمي

15 Sep **د.عائض القرني** @Dr_alqarnee
#بأبي_أنت_وأمي إن لم تستطع الدفاع عن رسولك كتابة أو خطابة أو درساً أو ندوة أو مراسلة فأكثر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم.

15 Sep **عبدالرحمن العقيل** @AAlaqil
#بأبي_أنت_وأمي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) رواه البخاري"

20 Sep **د. عبدالرحمن السديس** @Dr_alsudaays
موقع قوقل يرفض طلب سحب الفلم المسئ للرسول تحت اسم حريه التعبير عن الراي !!! اعلمو ان مقاطعه تسبب خساره مقدار ٥٠٠ مليون دولار امريكي!!#ريتويت

22 Sep **فهد بن ثامر** @FahadThq
#بأبي_أنت_وأمي المحبة الحقيقة اتباع لا ابتداع وفي الأحباب مختصٌ بوجدٍ وآخريدعي معه اشتراكا إذا اشتبكت دموعٌ في خدودٍ تبين من بكى ممن تباكى

15 Sep **د. عوض القرني** @awadalqarni
المثقفون المنصفون من جميع الأمم لاتجادل بأن **الرسول** صلى الله عليه وسلم هو استاذالإنسانية بلامنازع حتى وإن لم يتبعه وكل من عرف حقيقته احترمه

15 Sep **ياسر العجيلي** @yasserAlojaily
القرآن معجزة الرسول ؛فانصروا نبيكم بقرائته .. فإنه غض طري مغدق مورق ؛؛ له حلاوة وعليه طلاوة ؛ ويعلو ولا يعلى عليه .. #القرآن #نصرة_الرسول

21 Sep **عبد الرحمن العشماوي** @Dr_Ashmawi
من أهم وسائل الدفاع عن **الرسول** صلى الله عليه وسلم ترويض النفس على اتباعه والاقتداء به من المسلمين والمسلمات

ويتم إدراجها ضمن قسم قرأنا لك عن رسول الله، باللغة العربية والإنجليزية، (نص كتابَي: السيرة النبوية لابن هشام، والرحيق المختوم للمباركفوري).

- يعرض الموقع يوميا مجالس الحديث الشريف.
- جمع أكثر من ألف سُنّة من سنن النبي ﷺ في اليوم والليلة.
- الوصايا النبوية في تربية الأطفال.
- جمع كل الشبهات المثارة حول رسول الله وترجمتها والرد عليها.

يذكر أن الموقع فاز بالجائزة الأولى كأحسن موقع تقني لعام ٢٠٠٨، على مستوى الوطن العربي في مسابقة الشيخ سالم للمعلوماتية الذي أقيم بدولة الكويت.

ريف بالنبي ﷺ

العلمية والدعوية في مختلف أنحاء العالم ثم يتفحص ما تم جمعه وينشر المناسب منه، وينسق مع المؤسسات العلمية والدعوية في مجال إنتاج وترجمة جوانب من حياة المصطفى ﷺ بمختلف للغات.

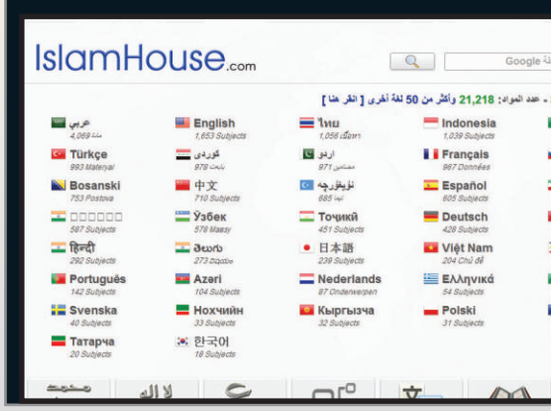

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

الكيل بمكيالين

يظهر بوضوح أن حرية التعبير تكيل بمكيالين حين يمس الأمر قضايا شخصية وأصحاب النفوذ السياسي كالسياسيين والصحافيين فحرية التعبير جاءت لتحمي الضعيف من القوي وليس العكس، ولابد من التذكير من المقصود بحيث بعدما تم نشر الرسوم الساخرة من طرف جريدة «شارلي هبدو» الفرنسية تم ترقية رئيس الصحيفة مباشرة إلى مدير للبرامج وقنوات الإذاعة الفرنسية فبم يفسر هذا؟

سوى بالرغبة المسبقة، والقصد.. التأثير على مجرى الإعلام وحرية التعبير والصحافة لصالح الحزب الحاكم، وبالخصوص حين يتعلق الأمر بإصدار الرسوم المسيئة للنبي ﷺ وهي تعتبر جريمة دولية بما أنها ستثير الشغب وأحداث خطيرة من ردود فعل أفراد وجماعات سيشعرون بالظلم وإثارة مشاعر الملايين من المسلمين وهو أمر مخالف للنظام العام والأمن والسلم الدوليين والتعاون والحوار بين الشعوب والذي تسعى وتهدف اتفاقيات الأمم المتحدة والمجتمع الدولي والهيئات والمجتمعات الديموقراطية بالغرب والشرق إلى الحفاظ عليه، وتكريسه وتفعيله من خلال الندوات والاتفاقيات الدولية كالقرار ١١ إبريل ٢٠١١ الصادر عن الأمم المتحدة، وفي نفس السياق من جهة أخرى عينت فرنسا ولأول مرة سفيرًا لها لدى منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، وهذه في حد ذاتها بادرة حسنة وتشير إلى تغير وتحول في السياسة الدبلوماسية الفرنسية نحو سياسة استباقية، فهل ستتدارك فرنسا دورها الريادي وتعيد التوازن في مصالحها الحيوية المستقبلية والعودة إلى السياسة الدولية أم هو مجرد هدوء بعد عاصفة؟ هذا ما ستظهره الأيام المقبلة وسياسة الحكومة الجديدة.

عمر الزاهري
باحث في العلوم السياسية والشؤون الإسلامية

قصة قصيرة

نهاية وردة

تقف بالكاد مستندة إلى عمود كهربائي إسمنتي نهاية الشارع المؤدي إلى قلب المدينة، تستر جسدها المترهل أسمال بالية، شعثاء شاردة، تجاعيد وجهها الشاحب توحي بسنوات عمرها الخمسين، تتفحص وجوه المارة كمن يبحث عن عزيز اختفى فجأة، بينما تتحاشاها أعينهم بين مشفق ولا مبال ومتشف.. مر بجانبها الحاج أحمد الذي يتذكر يوم حلت بالبلدة شابة تبسمت لها الحياة، وكيف استأجرت بيتًا بثمن مرتفع في زقاق ضيق صار في وقت وجيز مَحَجًا لمن استحلوا الحرام شيبًا وشبابًا ليلًا ونهارًا، وكان قد دعاها للتوبة مرارًا بحكم ترددها على دكانه الوحيد في الحي دون جدوى، مد يده لجيبٍ سترته الفضفاضة ليضع في يدها شيئًا تلتقطه بالشكر والامتنان، وتمتم متحسرًا لا حول ولا قوة إلا بالله، إن الله يمهل ولا يهمل.. طالت وقفتها دون أن يلتفت إليها أحد ممن استفرغوا الوسع يومًا ليحظوا برضاها، كفكفت دموعها إذ لم يعد الندم يجدي نفعًا، قمعت وردة بقايا الأنفة فيها، ورفعت عينيها إلى السماء منكسرة ومدت يدها وهي تقول «شكون لي يعطيني شي بركة الله أرحم الوالدين».

د. محمد آيتي دمنات

فاتبعوني يحببكم الله

هل أتى عام بدون الإساءة للمصطفى ﷺ ؟
وهل الشعوب والحكومات الإسلامية عظموا النبي وقدروه حق قدره حتى يعظمه أو يهابه غيرهم؟
هل النبي اليوم أحب إلى المسلمين من آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأنفسهم التي بين جنوبهم؟ أم أنهم ينطبق عليهم ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.
وما إن يساء للرسول ﷺ بقول أو فيلم إلا ويسارع المسلمون بهبة ثم يطوي الأمر النسيان ولو جد المسلمون اليوم لسارعت الشعوب بأمر الحكام بقطع العلاقات وقاطعوا المنتجات وأنشأوا المحاكمات لكل من تسول له نفسه الإساءة لشخص الرسول الكريم أو ما يتبع الإسلام بالذات ولكن هيهات هيهات فالمسلمون أجادوا الشتات.

د. الحسين محمد حميد

المحرر:

لا يمكن أخي الكريم التعميم، فبعض المسلمين أجاد الشتات، لكن الغالبية تنهض وتتوحد.

بين روح المسلمين وروح الإسلام

نتمنى من الله أن يتراجع هؤلاء المرضى عن مرضهم، فلهم هوس في إهانة ثوابت الآخرين.. كأن الحرية عندهم ليس فيما يملكون فقط، وإنما في ما يملك الآخرون أيضًا، إنه نوع من الاستبداد والمرض والكره لكل الشرائع في العالم بما فيها الشريعة الإسلامية ورموزها.

إن الانتصار لفكرة الإسلام لا يكون بالقتل أو الهجوم أو حتى التعصب الأعمى، كما أن مواجهتنا لمثل هذه الأحداث يكون وفق القيم الإسلامية الأصيلة، إن تعامل الرسول ﷺ لا يعدو إلا أن يكون درسًا لكل العصور الإسلامية بما فيها هذا العصر الذي نعيش فيه، وليس فقط مجرد فترة تنم عن ضعف، ولا أظن أن الإسلام مر بفترة من الفترات بضعف معين، بل من الممكن القول إن المسلمين هم من مروا بفترة الضعف هاته، فهناك فرق ما بين ضعف الفكرة- وهذا غير موجود في فكرة الإسلام- وضعف حامل الفكرة، وحينما تحدثت عن اغتيال العقل العربي والإسلامي فأنا قصدت أن هذا العقل المذكور آنفًا له قضية ناجحة؛ لكنه محام فاشل لم يحسن الدفاع عن عدالة قضيته وترك السماحة للآخر للتكالب عليه لأنه لم يحسن الدفاع عن قضيته إذا كان الفيلم الأميركي الأخير المسيء لنبي الإسلام محمد ﷺ قصد منتجه ومخرجه من ذلك استفزاز مشاعر المسلمين وامتحان قلوبهم في نصر نبي الرحمة المهداة ومستوى رقي وتأثير هذا الرد على الشعوب الأخرى، فإن هذه الأخيرة ستبحث عن شخصية الرسول بجميع اللغات وسوف تجد العجب العجاب، وستتغير خريطة العالم بالتأكيد وسيزداد عدد المقبلين على الإسلام في العالم في معدله السنوي، فنضحي آنذاك بدل أن نشتم المخرج الصهيوني والمنتج الماسوني فإننا بعد ذلك سنشكرهم ونقبل أيديهم فكم من أزمات صنعت المعجزات؟!.

يوسف الفاسي

المحرر:

إن شاء الله سيزداد عدد المقبلين - كما قلت - على الإسلام، فهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، كما نتفق معك أخي الكريم على أن الحكمة هي ملاذنا ووسيلتنا الأقوى في الرد على كل إساءة ولعلكم سمعتم الدعوات إلى إنتاج فيلم عالمي بتكلفة ضخمة تليق بسيرة خير الأنام ﷺ.

الكفاية في الابتعاث والرعاية

تجاذبت أطراف الحديث مع فضيلة الشيخ عبدالرحمن؛ الذي يتولى تحفيظ ولديَّ القرآن الكريم فأخبرني أن المبتعث إلى الأزهر كان يأخذ مبلغًا قدره ٩٠ جنيهًا «أقل من ٥ دنانير كويتية- قرابة ١٥ دولارًا»، وأن هذا المبلغ تضاعف منذ فترة قريبة ليبلغ ١٨٠ جنيهًا «أقل من ٩ دنانير كويتية- ٣٠ دولارًا أمريكيًا»، وأن هذا المبلغ بالكاد يكفي مواصلاتهم، وإن فاتت أحدهم إحدى الوجبتين اللتين يأكلونها- لداعي حضور محاضرة أو ندوة أو درس علم أو ما شابه- فإنه لا يستطيع تعويضها ولا أن يأكل بدلًا منها، ما لم يتصدق عليهم أحد الأثرياء من المشايخ أو الدعاة أو الصالحين فيدعوهم بعد هذه المحاضرة أو ذاك الدرس إلى مائدة تعوضهم ما فاتهم، وتساءلت: هل يليق بطالب العلم الشرعي أن يكون هذا حاله؟ وهل حقًا يكفي مثل هذا المبلغ احتياجاتهم الأساسية؟

قارنت حال أولئك الطلاب بما يحدث في بلادنا من إصرار جهات التمويل الغربية على تمويل أنشطتهم ومشروعاتهم البحثية بمبالغ طائلة تمكنهم من العيش حياة كريمة رغدة، وتجعلهم يتبوأون مكانات مجتمعية عالية تجعلهم قدوة وأسوة لحال ومآل من يعتنق ما يدعون إليه، قارنت هذا كله بوضع طلاب العلم الشرعي في الأزهر وحالهم، ورأيت أن الأزهر بحاجة إلى إعادة النظر في فقه الابتعاث وسياسته لكي يرجح مفهوم الكفاية على مفهوم الكثرة، بحيث يكون حالة جذب تبعد عن خبرة المعاناة التي يعيشها طلابه مقارنة بخبرات غيره من الجامعات.

وسام فؤاد

المحرر: شأن كل أوجه الإنفاق على العلم والعلماء في بلادنا ، يعاني المبتعثون ولكن الأمل في بلدان عربية بدأت تنتبه لهذا الأمر نشكر مساهمتكم وفي انتظار المزيد.

الإساءة بين الفخ والخدعة

إن أطروحات أو فرضيات تخلف المسلمين وديانتهم شكلت موضوعًا خصبًا للنقاش ومأدبة دسمة لمن أراد الاغتناء السريع سواء دول بعينها أو شركات كبرى. كما أن المضمون العام ربما يبدو هو اللعب على عاطفة المسلمين وحساسيتهم الدينية والثقافية من أجل تمرير خطاب خادع أو سياسة تدخلية في شؤونهم، لتحقيق نتيجة منطقية تتمثل في السيطرة على مقدرات هذه الشعوب وتعويم طموحاتها وتدمير هوياتها، ونطرح سؤالًا مهمًا يقول لو افترضنا جدلًا أن الرسول الكريم ﷺ كان بيننا في هذه اللحظة التاريخية وسمع ورأى الرسومات والأفلام المسيئة له ﷺ كيف سيكون تصرفه؟ بحكمته المعهودة ونظرته الثاقبة للأمور وعطفه وحلمه أبهذه الطريقة ستكون إجابة الرسول ﷺ ؟

لقد أدان كل أحرار العالم هذا الفيلم المسيء لصاحبه أولًا وقبل كل شيء، ويكشف كم هو سهل أن تثير زوبعة وتقطف نتائج مهمة من التضليل. المهم هنا هو المنهج الذي نتعاطى به مع الإساءة لمقدساتنا وتاريخنا فهل نرد الإساءة بأخرى؟ وكيف نحتج ونتظاهر من أجل الرد على تلك الإساءة وتمرير رسالة التحضر والوعي المسؤول واستيعاب الدروس من بواطن التاريخ في كيفية إرساء قواعد سليمة في تعاملنا مع مقدساتنا وحضارتنا من أجل إرغام الآخر على إلجام لسانه ويده، وتعليمه كيف يحترم حرية الإبداع التي تحمل قيمًا وأخلاقا نبيلة، إذ لا وجود لقيم السلام والتفاهم في بث الكراهية.

من جهة أخرى لايمكن لوم الآخرين على محاولاتهم النيل منا واستغلالنا ونحن نركز على سفاسف الأمور وإعطاء صور مضببة وغير واضحة على دين وحضارة وثقافة ساهمت بالكثير في إرساء دعائم الحضارة الإنسانية الحالية.

فالخدعة التي أرادت أن تروجها الوجوه التي قامت بتمثيل الفيلم السيئ الذكر؛ هي أنهم تعرضوا لدبلجة شيطانية وبأنهم ضحية، هذه الخدعة تحمل بين طياتها الكثير من علامات الاستفهام الكبيرة خصوصًا عندما يرددون بأن دبلجته باللغة العربية بعد الانتهاء من إخراجه مغايرة للحوار باللغة الإنجليزية. رد على هذا أن المخرج حسب الممثلة ساندي كان حريصًا على تصوير جورج الممثل الذي قام بالدور الرئيسي في أسوأ صورة ممكنة، وتأكيدًا على أمر الخدعة فلا أثر للفيلم في سجلات هوليوود بصورته الكاملة وإنما الجزء الموجود من الفيلم لا تتعدى مدته ١٣ دقيقة جرى بثها على موقع «يوتيوب».

إذن الفيلم المسيء للرسول هو فخ للمسلمين أولًا وأخيرًا لأنهم هم الضحية بانفعالهم الطبيعي وغير المدروس، فحسابات الخصوم بعيدة المدى وترمي إلى خلخلة البنية المجتمعية والتغلغل ببث الفتنة والخصومة بين أبناء الأمة الواحدة.

بخصوص حسابات المسلمين فمبنية على ردود الأفعال فقط.. ردود فعل آنية تذوب وتنسى مع الوقت ذلك لأن التحكم في الأفعال وردودها تتماشى مع الجو العام السياسي والاقتصادي والذي تديره آلة إعلامية جبارة. من ثم ضروري جدًا أن نرى الصورة من جوانب وزوايا عدة فنحن لا نحبذ الاعتداء على أي شخص وليس من شيمنا أن نرد الإساءة بأخرى، نعم للتعبير عن مواقفنا واعتراضاتنا بأسلوب يدعم من إنسانيتنا وما نطمح إليه من عيش كريم وحر.

محمد بن أمحمد العلوي

المحرر:

كم نحتاج إلى ردود فعل متأنية كما قلت يا أخي، لكن نحتاج أكثر إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة حتى يتعرف الآخر علينا وحتى نكون قد بلغنا وتكون «معذرة إلى ربنا».

جئت أبتهل

يا راحمًا كلّ ذي عسر وميسرةٍ
ارحم عبيدًا حيارى ما لهم حيلُ
أنت الرجاءُ إلهي أنت معتمدي
في كلّ ضائقةٍ من بعدها الزللُ
أنت العظيمُ شديدُ البأس مقتدرٌ
تبارك الله ربّي ما لهُ مثلُ
خلقتنا وخلقت الخلق قاطبة
سبحانك الله ما قد خطت الجمل
خلقت كونًا به الأفلاك دائرة
فما تصادم فيه النجم والزحل
في ظرف يومين أرسيت السماء بلا
عمد فهل ثم في إعجازها بدلُ
والأرض سخرتها للكائنات.. ولم
يعصيك فيما أمرت السهل والجبلُ
فجل من لا شريك له.. ولا ولدٌ
ومن لهُ الملكُ والأفلاكُ والفيلُ
وليس نحصي لهُ نعمًا ولا صفة
وليس يعجز عن توفير ما سألوا
الدرُ في البحر من أسرار حكمته
والزهر ينتج منهُ الشهدُ والعسلُ
يا من إليه أمورًا لستُ أعلمها
ومن لهُ الحكمُ والآياتُ والأجلُ
رباه إني ضعيفٌ لست محتملًا
وقد غزاني طويلًا أمرك الجللُ
كلُ الشدائد والكربات مفرجُها
الله ربي.. ودمعُ العين ينهملُ
ففرج الضيق يا سؤلي ويا أملي
فمن سهام الرزايا جفت المقلُ

محمد عبدالوهاب الشميري

نصائح أبوية

كان جالسًا أمامي في قطاري العائد من جامعتي إلى قريتي الصغيرة التي تربيت فيها وشهدت أجمل أيام حياتي.. طفولتي الجميلة.. كان جالسًا أمامي بلحيته البيضاء ووجهه المشع بالنور من طاعته لربه.. وجدت نفسي مشدوهًا، أريد أن أتكلم معه.. أن أحدثه بحالي وبأمري وبما أعاني، وما هو إلا قليل حتى وجدت نفسي أحدثه بما أتعرض له من إثارة جنسية شديدة في فترات.. فآخذ في إطلاق نظري للمحرمات دونما توقف فأشعر بضيق شديد.. ولكن سريعًا ما أتوب وأعود.. ومرة أخرى أقع ثم أتوب وأقسم بالله إني أحس براحة كبيرة عند الانقطاع عن هذا، وبضيق عند العودة إليه، وكل ذلك بسبب هذه الشهوة التي أنهار أمامها.

فوجدت بسمة على وجهة لم أر لها مثيلًا من قبل.. رأيت فيها حنان الأب ورقة الحبيب.. قال: يا ولدي أشعر بقلبك ينبض بالإيمان.. يريد رضا ربه فزعًا خائفًا من غضبه، نعم أشعر بكل هذا.. أشعر بك وأنت كاره لما تصل إليه وما تقع فيه.

ثم أكمل شيخي الحبيب كلامه: يا ولدي الحبيب أرى أنه لا ينقصك علمًا، فكلماتك تدل على أنك ممن يعلمون الكثير.. ولست محتاجًا لأن أذكرك بأمر الله بغض أبصارنا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

ولكن يا حبيب القلب تنقصك الإرادة.. نعم الإرادة القوية التي تخرجك من الدائرة التي تعيش فيها.. الإرادة التي تأخذ بيدك فتخرج من دائرة الوقوع والتوبة، السقوط، ثم البكاء، ثم الصلاة، ثم صلاح فترة معينة، ثم وقع مرة ثانية، نعم الإرادة.

قلت له ولكني أريد أمورًا عملية وخطوات أسير عليها نحو العلاج فقال لي: لك هذا لنتكلم في خطوات عملية لمشكلتك:

أولها: أن تلجأ لخالقك فتنصب قدمك بين يدي الرحمن ليرحمك.. أطل سجودك.. بلل وجهك بالدموع .. يا ولدي قل يارب ليس من فمك ولكن من قلبك. وثانيها: أن تبتعد عن الأماكن التي تكثر فيها النساء.. وتجنب الخلوة فالشيطان هو الثالث.. في كل مكان ابتعد.. بل فر كما تفر من المرض المعدي ففي هذا النجاة. وثالث هذه الخطوات: أن تجتنب القنوات الهابطة والمواقع الساقطة والمجلات الخليعة. وأما رابعها: فابتعد عن رفقة السوء. وخامسها يا ولدي فتجنب أن تجلس منفردًا مهما كان الأمر.. فالشيطان من الواحد أقرب ومن الاثنين أبعد ومن الثلاثة أبعد وأبعد وهكذا فألقي بنفسك في أحضان الصالحين ولا تفارقهم.

ومن المهم بمكان أن تشغل نفسك بالخير وما أكثر هذه السبل.. زر مريضًا.. صل رحمك.. اقرأ شيئًا نافعًا.. اجلس مع أصحابك.. اعتكف في المسجد.. المهم ألا تجلس فارغًا ولو دقيقة.. فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.. وإن كانت أمورك متاحة فاجتهد في طلب الزوجة الصالحة فإنها العلاج الكامل لمسألة الشهوة.

وهنا كانت محطة نزولي فاستأذنته ووجه البشوش لا يفرق ذهني عازمًا ألا أعود إلى معصيتي مهما كانت المغريات.

الشيخ محمود القلعاوي
عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

المحرر:

جزاك الله خيرًا على أفكارك التي أرسلتها وسنقوم بدراستها إن شاء الله كما نشكرك على المساهمة عسى الله أن ينفع بها ويهدي أبناءنا إلى كل خير، ويعصمهم من كل سوء.

ردود سريعة

- الأخ الكريم أحمد مصطفى علي نشكركم على مساهمتكم «ثورة يناير .. الشعب يصنع المستحيل» ولكننا نعتذر عن عدم نشرها كونها دعاية لأحد الإصدارات بينما يخالف سياسة تحرير «الوعي الإسلامي» كما إنها ليست عرضًا للكتاب المشار إليه بل مجرد خبر.
- الدكتور الفاضل يحيى سنبل، مقالكم حول «الأزواج في القرآن الكريم» جهد مشكور، لكن سبق نشر نفس الفكرة قبل أيام قليلة ولذا فلكم حرية نشر المقال في أي إصدار آخر وفي انتظار المزيد من مساهماتكم.
- الأستاذ إبراهيم علي إبراهيم: تحقيقكم الصحفي بعنوان «صرخة فتيات أنقذونا من تسلط الأخ» استحوذ على إعجاب منسق مجلة الوعي الشبابي الإلكترونية وسينشر قريبًا على صفحاتها.
- الكاتبة ناهد السيد شعبان، مساهمتكم جديرة بالتقدير لكنها سياسية بامتياز بما يخالف قواعد النشر في المجلة، لكم جزيل الشكر وفي انتظار مساهمات أخرى أقل «سياسية».
- الأخ الكريم عبدالمجيد إبراهيم شعير، وصلنا مقالكم «المؤمن.. وتحويل العادات إلى عبادات» وبقدر ما هو مهم من حيث الموضوع إلا أن المصطلحات التي أوردتموها في المتن تحتاج إلى ضبط كالأمور الواجبة والمحرمة والمندوبة.

القراء الافاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيمانًا من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دوماً.

من غرر الحكم

بشار بكور

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ- رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزّهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» . وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

– الرافعي: البلاء محمولٌ على همّةِ الروح لا على الجسم.
– وحي القلم ٢/٩٢.

– مَنْ تذكّرَ قُدْرَةَ الله لم يَسْتَعْمِل قُدْرَتَه في ظُلْم عباده.
– التذكرة الحمدونية ١/١٨٣.

– مَنْ ترك لله شيئًا، لم يجد لما ترك فَقْدًا.
– للطالب المُنْجِح لذّةُ الإدراك، وللطالب المحروم لذّةُ اليأس٣.
أخلاق الوزيرين، ص ٣٩٠.

– لو عرفتَ قَدْرَ نفسك عندنا ما أهنتها بالمعاصي. إنّما أبْعَدَنا إبليسَ إذ لم يَسْجُدْ لك وأنت في صُلْبِ أبيك، فواعجبًا كيف صالحتَه وتركتنا!.
– الفوائد، ص١٠٠.

– بقدْرِ السموّ في الرِّفعة تكون وَجْبَةُ الوَقعة، ولكل ناجِمٍ أُفولٌ٥.
المجتنى، ص ٦٢.

– التاجرُ مَجْدُه في كيْسه، والعالم مَجْدُه في كَرَاريسه.
– معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «لا أضَعُ لساني حيث يكفيني مالي، ولا أضع سَوْطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، فإذا لم أجِدْ من السيفِ بُدًّا ركبتُه»٧.
المجتنى، ص٥١.

– لا تتحدّ إنسانًا ليس لديه ما يخسره.
– ذُلّ الطّالبِ بقَدْرِ حَاجَتِه.
– عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «حدّث النّاس ما حَدَجُوك بأبْصارهم و أذِنُوا لك بأسْماعِهم، وإذا رأيتَ منهم فَترةً فأمسِك».
البيان والتبيين ١/١٠٤.

– خالطوا النّاس مخالطةً إنْ غبتمْ حَنُّوا إليكم، و إنْ مُتُّمْ بكَوْا عليكم.
– الصداقة والصديق، ص ٢١٢.

– في القلب شعَثٌ لا يلمُّه إلا الإقبالُ على الله.
– القلَمُ صائغُ الكلام، يَسْبُكُ ما يُفْرِغُهُ القلبُ، ويَصُوغُ ما يجْمَعُهُ اللّبُّ.
– البصائر والذخائر٢/٣٨.

– علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسن».
– علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الكريمُ لا يَلينُ على قَسْرٍ، ولا يَقْسُو على يُسْرٍ».
– سُقراط: «كما أنّ الأطبّاء بهم يكونُ صَلاحُ المَرْضَى وتخلُّصُهم، كذلك بالشّرائع يكون صَلاحُ الجَائرينَ».
– البصائر والذخائر٢/١٧٣.

– محمد بن علي بن الحسين: كُنْ لِمَا لا ترجو أَرْجَى منْكَ لما ترجو، فإنّ موسى بنَ عِمْرانَ خرج يَقْتَبِس نارًا فعاد نبيًّا مُرْسَلًا.
– التذكرة الحمدونية ١/٢٧٣- ٢٧٤.

– رُبّ غيظٍ تجرّعتُه مخافةَ ما هو أشدّ منه.
– البيان والتبيين ٢/٧٦.

- رُبّ كنايةٍ تُرْبي على إفصاح، ولحْظٍ يدلُّ على ضمير.
- مَنْ لم يقبل من نُصحائه ما يَثْقل عليه مما ينصحون له به لم يُحْمَدْ رأيُه، كالمريض الذي يدع ما يبعث له الطبيب، ويعمد إلى ما يشتهيه.

- كليلة و دمنة، ص ١٣٨.

- إنّ السلطان إذا كان صالحًا، ووُزَراؤه وزراء سوءٍ، مَنَعوا خيرَه، فلا يقدر أحَدٌ أن يدنوَ منه. ومَثَلُه في ذلك مَثَلُ الماء الطيّب الذي فيه التماسيحُ، لا يقدر أحدٌ أن يتناوله، وإن كان إلى الماء محتاجًا.
- ركّزْ على المظاهر الإيجابية في النّاس الذين تتعامل معهم.
- ابن عطاء الله السكندري: «مَنْ لم يعرف قَدْرَ النِّعَم بوِجْدانها عَرفها بوجود فِقْدانها».

- الحكم العطائية، ص ١٣٦.

يعني: أن مَنْ لم يعرف قَدْرَ النِّعَم التي أنعم اللّه بها عليه بوجودها عنده لغلَبة الغفلة عليه، عرفها بوجود فقدانها فإنه لا يعرف قدْرَ نعمة البصر إلا مَنْ وصل العمى إليه، ولذا كان بعض الصالحين يقول في دعائه: اللهم عرِّفْنا النعم بدوامها، ولا تعرِّفْنا لها بزوالها.

- الحكم العطائية بشرح الشرنوبي، ص ١٣٦.

- مُعَالجةُ الموجودِ خَيْرٌ مِنَ انْتِظارِ المَفْقُودِ.

- البصائر والذخائر ٤/ ٩٦.

- العَيْشُ حُلْوُ الدّرّ مُرُّ الفِطَام.
- عِيٌّ صامتٌ خيرٌ مِنْ عيّ نَاطِق.
- غايةُ كلِّ مُتَحَركٍ إلى سكون، ونهايةُ كلِّ مُتَكَوِّنٍ ألاَ يكون.

- زهر الآداب ١/ ٤١٥.

- رُبّ صَفْوٍ في إناءٍ مَشُوب بكَدرِ البَلاءِ.

- البصائر والذخائر ٤/ ١٥٣.

- الرافعي: «لا موعظةَ في كلام لم يمتلئ من نفس قائله، ليكونَ عملًا فيتحوّلَ في النفوس الأخرى عملًا ولا يبقى كلامًا، وإنّه ليس الوعظُ تأليفَ القول للسامع يسمَعُه، لكنّه تأليفُ النّفْس لنفس أخرى تراها في كلامها، فيكون هذا الكلامُ كأنه قرابةٌ بين النّفْسَيْن، حتى لكأنّ الدمَ المتجاذبَ يجري فيه ويدور في ألفاظه».

- وحي القلم ٢/ ١٦٣.

- العارف المتمَكّنُ لا شيءَ عنده من العرش إلى الثّرى أعظمُ من سروره بربه، والجنّة وكلُّ ما فيها في جَنْب سروره بربّه أصغرُ من خَرْدَلَةٍ مُلقَاةٍ في أرضٍ فلاة.

- البرهان المؤيد، ص ٤٧- ٤٨.

- لا تَخَفْ مَوْتَ البَدَنِ، ولكنْ خَفْ مَوْتَ النّفْس.

- البصائر والذخائر٢/ ١٠٩.

- كلّما عَظُمتِ الحقيقةُ عَظُمَ نَقْدُها.

- «من الأقوال المأثورة في الأدب الغربي والعربي»، مجلة الثقافة- العدد ٣٧٣، ص ٦.

- إننا نملك قدرةً كبيرةً على تفسير الأشياء بتفسيراتٍ عديدة، فاجْنَحْ دائمًا إلى التفسير الإيجابي ما وجدتَ إليه سبيلًا.
- الممالك بلا عدلٍ غاباتٌ مُلِئت باللصوص.

- المرجع السابق.

- إذا كان المالُ عَصَبَ الحرب فهو أيضًا شَحْمُ السِّلْم.

المرجع السابق.

- «النّاس كإبلٍ مائةٍ لا تكاد تجدُ فيها رَاحلةً».

الرّاحِلَة من الإبل: البَعيرُ القويُّ على الأسفار والأحمال.

- مِن اتّكلَ على زادِ غيره طال جوعُه.

في طريق الهجرة

في طريق الهجرة يولد الرشد، وتُدفَن السفاهة، فينشُر الإسلام عبيره.. في طريق الهجرة يلين القلب، ويسمو العقل، فتتشط الجوارح من عقالها. شاء الله تعالى أن أتلو في طريق الهجرة سورتي الرعد وإبراهيم، وأن أتوقّف طويلاً عند دعاء أبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ، لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم:٣٧)؛ فكلّ حاجّ وكلّ مُعتمر إلى يوم القيامة، هو من ذرية إبراهيم، وهو في وادٍ غير ذي زرع.. إذنً هو في حاجة إلى مسبّب الأسباب، وفي احتياج إلى الصلاة والضراعة لربّ الأرباب؛ الجميعُ ثمرة ونفحة من دعاء إبراهيم، عليه السلام والكلّ استجابة لندائه وأذانه.. فنحن اليوم بإذن الله تعالى كذلك، ونرجو أن ننال أجر ذلك.

أرسلتُ خاطري يستبق الخطوَ، ويلاحق الزمن، ويزوّدني بالأخبار من سالف الأزمان.. وبخاصّة يومَ خطت الرِّجْلُ الكريمة للنبي الكريم محمد ﷺ هذه المسافات: أمامَه أمل ورجاء لا حدَّ لهما، ووراءه مشركون متنطّعون يلاحقونه بسيوفهم وأحقادهم؛ علّهم يظفرون به ويطفئون نوره إلى أبد الآبدين.. ساعتها نزل مما نزل: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التّوبة:٤٠). فنجا الصاحبان، وظهرت كلمة الدين، ثم نجت على إثرهما البشريةُ قاطبةً إلى يوم الدين..

وبعد بضع من السنين، عاد ﷺ إلى مسقط الرأس، وآب ﷺ إلى مثابة الناس؛ مكّة المكرّمة، لكنّ حماقات الكفّار ورعوناتهم منعته ووقفت حاجزًا جلفًا في طريقه، فكان صُلح الحديبية وهو يومٌ للمسلمين مشهود، وفَتحٌ للنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين معهود، يكفيه فخرًا أنْ نزل فيه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفَتْح:١) .

ثم جاء يوم الفتح المبين؛ فتح مكّة وانتشار نور الإسلام في الآفاق جميعها، يومها هلّلت الملائكة واستبشر الثقلان، وفرحت السماوات والأرضون؛ وها نحن اليوم نتفيأ ظلال هذا الخير العميم إلى يوم النشور، ونشهد ارتفاع راية الإسلام واضمحلال ملّة الأصنام: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ × وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا × فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر).

ثم بعد حجّة الوداع، عاد ﷺ من هذه الطريق؛ طريق الهجرة.. ولكنّه عاد هذه المرّة ليَلقى الحبيبَ.. يلقاهُ بقلب موقن في جواره وحسن مقامه، وكان المقصد أن يفصل الحكيم العليم بين «الربّ الذي يُعبد» و«الرسول البشر الذي هو عبد لا يُعبد»، ويصدق فيه ﷺ: «من كان يعبد محمّدًا، فإنّ محمّدًا قد مات؛ ومن كان يعبد الله، فإنّ الله حي لا يموت» (رواه البخاري).

ويموت المصطفى ﷺ، ويولد على إثره الملايين من البشر، من كلّ جنس ولغة ولون، كلّهم أهلاً وسهلاً في ضيافة الرسول الكريم، لا يردّ ﷺ أحدًا، ولا يغضّ الطرف عن أحد.. كلّهم من أمّته وكلّهم محلّ عنايته وهو يدعو: «يا ربِّ أمّتي أمّتي!» (رواه البخاري).

د. محمد باباعمي
باحث أكاديمي جزائري

اقرأ في العدد الأول من

الوعي الشبابي

www.shabab.alwaei.com

- الفتية الذين آمنوا بربهم زادهم هدى .
- جرائم الإنترنت على مقاس الشباب .
- أجازة سعيدة بصحة أفضل .
- كيف تضع قدمك على أعتاب النجومية .
- في عطلة الصيف أتفرغ لمهاراتي .

والمزيد من الموضوعات والتحقيقات ..

الوعي الشبابي مجلة شبابية إلكترونية تصدر عن «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير : فيصل يوسف العلي

للتواصل زوروا موقعنا
www.shabab.alwaei.com
البريد الإلكتروني
info@shabab.alwaei.com

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني
رحمة للعالمين
صلى الله عليه وسلم
محمد
نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
الفكرة والإعداد والإشراف العام
صلاح أبا الخيل
برنامج تلفزيوني باللغتين (العربية / الإنجليزية)
إلى كل من تعثر في خطاه .. إلى كل من أشقته الحياة .. إلى كل من يلتمس النجاة ..
تهدي إدارة الإعلام الديني برنامجها التلفزيوني
" نفائس رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم "
ويتضمن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم باستخدام أحدث التقنيات الإعلامية، داعيةً المولى بأن يكون بصمة في قاموس الأخلاق والقيم، وثروة تتوارثها الأجيال على مر الزمن.
إنتاج إدارة الإعلام الديني - مجمع الوزارات
بلوك ١٦ - الدور الأول - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
تلفون : ٨/ ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦
الآن.. اطلب نسختك
تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com
info@nafaess.com
youtube.com/nafaesscom
twitter.com/nafaesscom
facebook.com/nafaesscom
DVD VIDEO
عربي / إنجليزي